أغسطس ١٩٤٦
٣ قروش

المختار من ريدرز دايجست

فى كل مقالة لذة دائمة

مختار سبتمبر ١٩٤٦ عدد فاخر

من دواعى فخر « المختار » أن يعرض لك بعض ما فى عدد سبتمبر من المقالات الممتازة ، وهو العدد الذى يفتتح به سنته الرابعة .

* مقالة خاصة عن **العالم العربى** كتبها محرر «المختار» الطواف إدوين مولر الذى كتب مقالة: « لا تتغير حال قوم حتى يغيروها بأنفسهم » فى هذا العدد . ومقاله هذا خلاصة دراسة عميقة قام بها فى رحلته فى الشرق الأوسط منذ عهد قريب . ولن يقتصر الاهتمام بما جاء فيها على العالم العربى ، بل سيقرؤها ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ قارىء فى أقطار الأرض بلغات كثيرة .

* خريطة خاصة ملونة تبين **الروابط الثقافية** التى تصل ما بين قراء مجلة ريدرز دايجست فى القارات الخمس .

* **كتابان مختصران** ، أحدهما كتاب وليم بوليت، سفير أمريكا الأسبق فى روسيا ، عن الاتحاد السوفيتى ، وهو كتاب لم يكد يخرج من المطبعة حتى تخاطفته الأيدى .

* أما الثانى ، فقصة **مغامرة تاريخية رائعة** عنوانها : « جزيرة بتكيرن » ألفها نوردهوف وهول مؤلفا قصة « ثورة على السفينة بونتى » ، فترى فيها وصفاً حياً بارعاً لما حدث لجماعة مشهورة من العصاة المتمردين فى جزيرة مقطوعة عن سائر أرض الله .

* مقالة على غلاف العدد كتبها للمختار خاصة **الدكتور حافظ عفيفى باشا** مندوب مصر فى هيئة الأمم المتحدة ورئيس مجلس الأمن السابق .

* وأيضاً طائفة كبيرة من أمتع المقالات وأحفلها بالأنباء والمعلومات والفوائد .

وفى عدد سبتمبر أيضاً تجد السلسلة الثانية من القسائم التى ترى وصفها فى داخل هذا العدد ، وهى قسائم تمكنك من أن تظفر مجاناً بنسخة من كتاب عنوانه : **« هل أنت حى »** يضم مجموعة منتقاة مما نشر فى المختار منذ ظهوره . وهذه المجموعة الممتازة الأنيقة قد طبعت خاصة لقراء « المختار » **ولن تعرض للبيع** ، فاحرص على أن تقرأ البيان الوافى عنها فى قلب هذا العدد .

المختار

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

أغسطس ١٩٤٦

لا تتغير حال قوم، حتى يغيروها بأنفسهم

إدوين مولر

كلمة المحررين: إن إدوين مولر، الذي كتب قصة النايل، هو أحد محررينا الطوافين. فمهمته مهمة يحسد عليها. وميدانه هو العالم بأسره، وموضوعه هو **النهضة والتقدم**.

وقد جاء إدوين مولر إلى الشرق الأوسط، ليكتب خاصة عن نواحي النهضة والتقدم في اليقظة العربية التي ترقبها سائر أمم الأرض باهتمام عظيم. وقد اختار قصة « شلبي، وعائدة، ومشروع النايل » يسوقها مثلا رائعاً على ما يدخل في طوق الناس من بذل العون لإخوانهم في الإنسانية، إذا اجتمعت فيهم ثلاث خصال: الهمّة: والمثابرة، وأعظمهن **العزيمة**.

ولعل مما يملأ قلبك غبطة أن تعلم، وأنت تقرأ هذه القصة، أن ملايين من الناس في سائر أقطار الدنيا يقرأونها أيضاً — بلغاتهم المختلفة، منشورة في سائر طبعات **المختار**. وأن طبعات اللغة الإسبانية، والبرتغالية، والسويدية، والدنمركية، والفنلندية، واليابانية، والإنجليزية، تحمل اليوم قصة النايل إلى أقطار المعمورة لتكون ملهماً ومرشداً لسائر الناس يهتدون بهديها. وهذه هي المقالة الأولى من سلسلة من المقالات التي عنى إدوين مولر بكتابتها عن العالم العربي. وسننشر الثانية في عدد قريب.

لا تتغير حال قوم حتى يغيروها بأنفسهم

صدور الصحف حافلة بأنباء المجاعة فى أرجاء الأرض، نقرؤها ونحن نفطر فنغصّ باللقمة الشهية ، بل ربما رددنا اللقمة الأخرى حين نتصور مليوناً من البشر أو عشرة ملايين يهلكون جوعاً .

بيد أن الأنباء لا تذكرنا قط بالفاقة الدائمة التى تمهّد للمجاعة فى الحين بعد الحين . إن هلاك بضعة ملايين من الجوع ، لأقلّ فجيعة من أن يظل مئات الملايين محرومين أسباب العيش والحياة ، وعدد سكان المعمورة يبلغ ألفى مليون نفس تقريباً ، فترى ثلثيهم موثقين بقيود الفاقة والجهل والمرض ، فلا يعيشون إلاّ عيشة دون الكفاف لا تليق بالبشر .

وهذه قصة حرب شنت فى ساحة صغيرة من ميدان مترامى الجوانب ، هو ميدان البؤس الإنسانى . وهى خليقة بأن تروى ، لأن الفكرة التى أوحت بهذا الكفاح تصلح للتطبيق فى أرجاء الأرض ، حيث تبذل الجهود لإغاثة الناس وإصلاح أمورهم .

إن القرى المنشورة على ضفاف النيل الخضر النضيرة ، تقع فى أرض من أخصب أرض الزراعة فى العالم كله، ولكن الفلاحين الذين يحرثونها ويزرعونها ، لا يصيبون الكفاف من الغذاء ، فترى عظامهم بارزة تحت جلودهم الشاحبة . وهم سلالة حضارة من أقدم الحضارات على الأرض ، ولكنهم لا يقرأون ولا يكتبون . وهم يعيشون فى إقليم مشهور بطيب هوائه وجودته ، إلا أن المرض قد هدّ من قواهم ، حتى أصبح يؤودهم العمل الذى لا يكاد يعجز عن أدائه طفل سليم البدن .

ولعل قرية المنايل* كانت أسوأ قليلا من أوساط هذه القرى ، فقد كانت طرقها غير ممهّدة تغطيها الأقذار ، وكان بها ثلاث برك آسنة كأنها مجارير مكشوفة ، ولم تكن بها مدرسة ، كلا ولا مسجد ، إذ كان مسجدها القديم المهدّم قد أغلق خشية أن ينقضّ على المصلين . وكان نحو ٩٠ فى المئة من فلاحيها مصابين بالبلهارسيا والديدان التى تعيش متطفلة فى أمعاء البشر ، فتضعف أبدانهم وعقولهم ، وكان أكثر من ٥٠ فى

* شمال القاهرة مديرية القليوبية مركز قليوب.

المئة منهم مرضى بالأنكلستوما والملاريا ، وكان ٨٣ فى المئة منهم أميين ، وكان أهل القرية جميعاً يرزحون تحت أعباء البؤس الشامل .

قررت فئة من أهل القاهرة ، أكثرهم من المسلمين المثقفين ، أن يقوموا بتجربة فى المنايل ، إذ رأوا أن ماتبذله الحكومة فى الحين بعد الحين من جهود فى سبيل تطبيق أصول الصحة وقوانين التعليم ، تنتهى إلى الإخفاق حين ترتطم بصخرة عاتية هى قلة مبالاة الفلاح . ولم تكن ثمة إلا طريقة واحدة لم تجرب بعد ، هى أن يزينوا للفلاحين أن يغيّروا حالهم بأنفسهم .

وكذلك أرسلت الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية* شخصين مصريين مسلمين إلى قرية المنايل : أحدهما محمد شلبى خريج جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، وهو شاب أسمر رقيق الحديث يفتر ثغره عن ابتسامة حلوة آسرة ، فيلقى فى روعك أن خلقه مزيج من الكفاية والمروءة والنجدة . والأخرى عائدة قابيل خريجة مدرسة الممرضات فى الجامعة نفسها ، وهى سيدة مرحة سرعان ما تملك صداقتها قلب الشيخ الحديد الطباع والطفل الغرير على السواء . وشلبى وعائدة هما بطلا هذه القصة ، وكل فكرة مصيرها الموت إذا لم تجد من ينفخ فيها من روحه .

استأجرا منزلين من بين منازل القرية ، فأقام شلبى فى أحدهما ، وأقامت عائدة فى الآخر . ولم يُدخلا على المنزلين إصلاحاً ، إلا أنهما تولياهما بالنظافة التامة ، ووضعا فى كل منهما عدداً من الدكك والمقاعد لاستقبال من يزورهما من أهل القرية ولكن لم يزرهما أحد ، فقد كان أهل القرية يتوجسون منهما خيفة ، فهم من عمال الحكومة — ناس غرباء . ولم يكن لشلبى وعائدة من عمل إلا التودد إلى الناس ، ولكن مضى الزمن الطويل ولم يظفرا بصديق .

وخطرت لشلبى فكرة موفقة ، فاستعان بأنصاره فى القاهرة واشتروا مذياعاً ، ولم يكن بالقرية مذياع . وأخذ ينتهز فرصة عودة الفلاحين من حقولهم مساء للعشاء ، فيديره خافت الصوت . وأنشأ يذيع البرامج العربية المذاعة من القاهرة ، ولاسيما ترتيل القرآن . وبدأ قليل من الرجال يقتربون من المنزل حتى يسمعوا التلاوة . ولم يحاول شلبى أن يغريهم بالدخول ، ولكنه وضع لهم عدداً من الدكك والمقاعد أمام [illegible] وأخذ يرقب ما يكون منهم [illegible]

* تعترف الجمعية بالفضل لأحد أعضائها ومرشديها هو الدكتور وليم ويدل كايلاند رئيس قسم الخدمة العامة فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

كان أول رجل جاذبه المودة هو حسن أبو النصر . وكان حسن هذا شيخاً مغضّن الوجه استطاع أن يفلت من الموت ويعيش سبعين عاماً في المنايل ، بل حافظ أيضاً على تلك النعمة الإلهية النادرة ، نعمة الشوق إلى المعرفة . فدخل عليه ذات ليلة يريد أن يستمع إلى المذياع ويجاذبه أطراف الحديث .

كان لحسن سبعة أولاد وست بنات أكثرهم متزوج ويعيش معه في القرية ، فأخذ منذ تلك الليلة يأتي معه ببنيه وأصهاره ، ومنهم تألفت أول ندوة للرجال في المنايل . وكانت تلك هي أول مرة اجتمعت فيها مثل هذه الجماعة ، أو تيسرت لها أسباب تكوين رأى عام والإعراب عنه .

اعترضت طريقهم العقبات ، فقد كان شلبي يستأجر الدكك والمقاعد من ثرىّ القرية الذي يملك خمسة أفدنة . وكان رجلا من طلاب المنافع لا تنقضي مآربه ، وكان لا يزال يسأل شلبي أن يبحث لابنه عن عمل في القاهرة ، وأشباه ذلك . فلما أصم شلبي أذنيه جن جنون الرجل ، وجاء ذات يوم يقود جملا ، فحمل الأثاث ومضى به . فظل الرجال زمناً طويلا يجلسون على الثرى في ندوتهم ، حتى اضطر الرجل تحت ضغط الرأى العام النامي أن يعدل عن سيرته .

وكانت عائدة خلال ذلك توثق صلا[تها] بالأطفال في بيتها ، فكانت حين يحفّون [بها] كالهائبين تداعبهم وتلاطفهم ، ثم أخذ[ت] تعلمهم بعض الألعاب . وأخيراً أفضت بـ[ها] صلتها بالأطفال إلى أمهاتهم ، وسرعا[ن] ماتألفت في القرية ندوة للنساء تشبه ندو[ة] الرجال .

ولم يحاول شلبي ولا عائدة في أول الأمر أن يعلما الفلاحين كيف يصلحون أحواله[م] ولكنهما ظلا أبدا ينتظران الفرصة المواتية أن تنبعث شرارة من سخط يتقد في صدو[ر] الفلاحين فيؤججان نارها .

انبعثت هذه الشرارة حين حاولت الحكومة أن تطبق قانون التعليم الإجباري على القرية ، فإن الذهاب إلى المدرسة في مصر مفروض فيه أنه إجباري ، وإن لم يكن فيها من المدارس ما يكفي لتعليم جميع الأطفال . وكان ثمة مدرسة في قرية تبعد عن المنايل قليلا ، فكان على أطفال القرية أن يذهبوا إليها ، وكان الطريق إليها شاقاً طويلا ، فأضرب الأطفال عن الذهاب ونزل بالمنايل ذات يوم مفتش فرض الغرامة على بعض الآباء ، قدرها خمسة عشر قرشاً على كل منهم ، وهي تعادل كل مايحصله الفلاح من عمله في ثلاثة أيام . فهوى الخـــبر

كالصاعقة ، حتى لم يكن للرحال حديث سواه فى ندوتهم .

واقترح شلبي مترفقاً : لم لا تكون للمنايل مدرسة خاصة ، ولعل الحكومة نفسها تتولى بناءها ؟

كانت الفكرة أكبر وأجلّ من أن يدركوا كنهها لساعتهم ، ولكن سرعان ما أخذت جماعة من أهل الجرأة وأصالة الرأى أمثال حسن أبو النصر يبحثونها جادّين . وجيء إلى شلبي ذات يوم بوثيقة هامة استغرقت أربع صفحات ، كتب فى نصف إحداها التماس إلى الحكومة أن تبنى مدرسة فى المنايل ، واسودّ باقيها ببصمات أصابع الفلاحين .

رفع شلبي الطلب إلى القاهرة ، وبذلت مساعٍ ، وجاء الرد بأن الحكومة مستعدة لأن تبنى مدرسة فى المنايل، إذا هيأ أهل القرية مكاناً للبناء .

وأذهلهم الرد . فقد كان فى المنايل ٤٣٠ أسرة تعيش على ٩٠٠ فدان ، وكل قدم مربعة من الأرض تستغل فى الزراعة كل استغلال، وتقوّم بثمن كبير، أو يشغلها بيت أو طريق ، فلا مكان لهذه المدرسة .

وعرض شلبي اقتراحه الثانى : إن أكبر البرك الثلاث الآسنة تغطى قرابة فدان ، فلو مهدت شوارع القرية، لكان ما يخرج من ترابها وأقذارها كفيلا بأن يردم البركة ويهيء مكاناً للمدرسة . ثم إن ردم هذه البركة كفيل بأن يقضى على منبت من منابت الأمراض فى القرية ، بيد أن شلبي لم يكاشفهم بذلك .

وقُبل الاقتراح بعد تبادل الرأى، وأخذ الرجال يعملون فى أوقات الفراغ .

ولكن العمل أخذ يتراخى ، فإن الرجل الذى نهكت البلهارسيا قواه حتى يشق عليه عمله فى حقله ، عسير عليه أن يشارك بجهد آخر يبذله فى مشروع لخير الجماعة. وكذلك أخذ ردم البركة يسير رويداً رويداً حتى ما يكاد يظهر له أثر، فلم يحاول شلبي استعجالهم ولا حثّهم .

ثم أصابت العمل صدمة شديدة ، فقد كانت الحكومة تراقب سير العمل، فلما عيل صبرها قررت أن تعالج الأمر بالمأثور من وسائل الحكومات ، فدهم المنايل ذات يوم عشرة فرسان من رجال الشرطة ، وساقوا القرويين قهراً ليردموا البركة ، واضطروهم أن يستعملوا فى ردمها كل ما يقع تحت أيديهم حتى حطب القطن وقش الذرة والأرز الذى اختزنوه فوق سطوح دورهم للوقود .

وسخط الناس سخطاً شديداً ، وأسرع شلبي إلى أقرب تلفون ، ولكن قبل أن يتاح له أن يتصل بأولى الأمر كان الضرر

قد وقع ، فقد أصاب منزلته عند الناس أذى شديد .

كان عليه أن يبدأ عمله من جديد ، فظل يجاهد عدة أسابيع حتى استعاد ثقة الفلاحين بالتدريج ، وعاد العمل يتقدم تقدماً مطرداً .

كان شلبي وعائدة يسيران خلال ذلك نحو هدفهما الثاني : الصحة ، وهي أهم شأناً من التعليم .

كانت حاجات القرية الصحية واضحة : إنشاء المراحيض ، وحفر الآبار لتزويد القرية بماء الشرب والغسل بدلا من ماء المستنقعات الآسنة ، وإزالة الزبالة ، وتغيير ما ألفه القرويون. وكان إنشاء هذه المرافق أمراً يسيراً شيئاً ما ، ولكن العقبة كانت في جعل القرويين يؤمنون بضرورتها ، وهي عقبة أعجزت كل السلطات الصحية في مصر .

اتصل شلبي بأنصاره ، فأرسلوا إليه ميكروسكوباً طلبه ، وراح يستعمله بحيث يراه القرويون ، فاستثار فضول حسن أبو النصر وسواه من الأذكياء . فشرح لهم شلبي عمل الميكروسكوب ، ثم طلب منهم أن يحضروا قليلا من ماء المستنقع ، فوضع قطرة منه على زجاجة ، وأخذ يريهم يرقات البلهارسيا وهي تسبح فيها سبحاً . ثم أخذ يسهب لهم في وصف عمل اليرقات وكيف تخترق الجلد ، وتدخل مجاري الدم ، وتصبح ديداناً تشق طريقها إلى الأمعاء أو جهاز البول ، وتعيش في عائلها فتستل قواه .

ولكن إقناعهم كان أمراً عسيراً ، فقد ألفوا منذ ولدوا شرب ماء النيل الذي تمدهم به الترع ، والله هو الذي أنزل الماء من السماء ، وخلق فيه الدود ، كما قال أحد شيوخ القرية

فقال شلبي : « أيها الشيخ . حقٌّ ما تقول ولكن نبئني . إذا كنت سائراً بين قضبان السكة الحديدية وسمعت قطاراً يقترب ، أتظل سائراً بين القضبان أم تتنحى عنها ؟ »

« لا يصرّ على السير بينها إلا مجنون » .

« حقّ ما تقول ، فهذه الديدان كالقطار يتجنبها الرجل الحكيم » .

وهز الشيخ رأسه بعناد . كان تحوّل الناس عما ألفوه بطيئاً ، وقد بنيت المدرسة قبل أن تحفر البئر ، ولكن البئر حفرت في النهاية ، وصار في المنايل ماء نقيّ .

وجعلت عائدة بيتها مركزاً لرعاية الطفل ورعاية الحوامل والوالدات . كان أطفال المنايل من قبل يولدون على أيدي اثنتين من القوابل العجائز الجاهلات ، وكان معدّل وفيات الأطفال الرضع ٢٩٥ رضيعاً من كل ألف مولود حي في العام . وكان من العسير تبديل ما اعتاده الناس ، ولكن عائدة نجحت أخيراً فأغرت القابلتين بأن

تعملا معها بأجر ، وعلى مر الزمن صار لحوامل يذهبن إلى عائدة رأساً ، حتى سمى اسمها كثير من مواليد المنايل بعد ذلك .

بيد أن الخطوة الحاسمة فى تجربة المنايل لم تكن إلا يوم بدأ القرويون يقترحون وسائل الإصلاح وينفذونها بأنفسهم .

فقد قررت ندوة الرجال مثلا — دون إيحاء من شلبي — أن تجرى مسابقة لأنظف بيت فى القرية خلال فترة من الزمن ، وكانت الجائزة التى منحت للفائز أن تطلى مجاناً جدران بيته المبنى بالطين بطلاء من الجير مختلف الألوان بين أبيض ووردى وأزرق ، وهو نوع من الامتياز والوجاهة فى قرى مصر .

ومثل آخر : قرر النساء إنشاء جمعية تعاونية ، ومضين فيما عزمن عليه قدماً . أو عندما أسست القرية مبرّة لإعانة أسرها الفقيرة ، فالفقر درجات حتى فى المنايل . واشترت المبرة أنوالا للنسيج ، وأمدت الفقراء بغزل القطن ، فصار الفقراء المدقعون يجدون بمزاولة العمل فيها مرتزقاً يقيم أوَدهم .

وأشرف الأمر على غايته حتى أصبح لقرويون يتبرعون بأموالهم لمشروعات لإصلاح التى اقترحوها وأسسوها ونفذوها بأنفسهم ، دون أن يحثهم على ذلك أحد .

زرت المنايل بعد مضى ست سنوات منذ بدأت التجربة ، وقال لى دليلى فى الطريق : إن إصابات البلهارسيا قد هبط معدلها من نحو ٩٠ فى المئة إلى أقل من ثلاثين ، وانخفض معدل الأمية عاماً بعد عام ، إذ صار كل طفل يذهب إلى المدرسة .

واستقبلنا وفد من القرويين يرحبون بنا ، وعلى رأسهم الشيخ حسن أبو النصر ، مهيباً فى جبته الطويلة الزرقاء وعمامته البيضاء ، ومعه خمسة أو ستة من أعيان القرية ، كلهم فرح بالزوار ، مزهوّ بما صنعت أيديهم ، ويودّ أن يراه الناس ويعرفوه .

وسرنا فى موكب صغير اجتاز شوارع القرية المتعرجة ، ومررنا بدورها المبنية بالطين . وكان يعترض الموكب بين الحين والحين بعير يحمل حملا من الحطب تحتك أعواده بالجدران على جانبى الطريق ، أو بعض من الماعز يروح ويغدو حتى صرنا ندفعها بأقدامنا لنفسح السبيل ، ووقف النساء على أبواب دورهن خَفِرات ولكنهم باسمات .

رأيت المدرسة ، ورأيت كيف اتسعت مناهج التعليم المألوفة فى المدارس القروية ، فبعد أن كان المنهج لا يتجاوز عادة تعليم القراءة ، وأكثرها قراءة القرآن والكتابة والحساب ، أصبحت اليوم تشمل تعليم

الطرق الزراعية الحديثة وتربيـة الدواجن والخياطة وحفظ الفواكه والخضروات .

ثم زوت غرفة الاجتماعات ، ومركز رعاية الطفل وعيادة الوالدات، والحمامات الشعبية وسواها ، وجُلِّيَت فى طرق مكنوسة لا أثر فيها للأقذار، وزرت دوراً نظيفة على الرغم من بقاء بنائها كما كان .

نعم كانت المنازل متلاصقة ، وليس فيها أنابيب للماء الجارى ، ولم يكن فى أكثرها من الأثاث أكثر من طست كبير يستعمل فى العجن وغسل الملابس،وحماماً للأطفال، وجرة أو جرتين لجلب الماء من البئر ، وفرن مبنى بالآجر . إنهم لم يزالوا فقراء ، ولا يمكن أن يكونوا غير ذلك فى المساحات المحدودة من الأرض التى يملكون ، ولكن المنايل مع ذلك إذا قورنت بأوساط القرى المصرية اليوم بدت كأنها فردوس .

على أن منظر القرويين كان أعمق أثراً فى النفس من هذه المظاهر . ففى ريف مصر يألف المرء هيئة المصابين بالبلهارسيا — هذه المشية المتهدجة ، وهذه العيون الخابية المتعبة التى خلت من بريق الشوق ، وهذا الكلال الجاثم بصاحبه بين الموت والحياة . ولكن فلاحى المنايل يبدو عليهم أنهم أحياء مرهفون ، كأنما يتأهبون لإنجاز عمل جليل وسيفعلون . « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

لم تكد تجربة المنايل تنجلى عن هـذا النجاح ، حتى أخذت جمعيــة الدراسات الاجتماعيــة ترتاد قرى أخرى ، وتعالجها بنفس الأساليب . وكان شعارها دائما وفى كل خطوة ، أن يعينوا النـاس على أن يغيروا أحوالهم بأنفسهم .

وأخذت فى تدريب عدد كبير من الرجال والنســاء على عمل ما عمله شلبي وعائدة ، وقد رُقِّيا ، وأصبحا الآن مفتشين على مراكز التجارب ، يهديان المرشدين الاجتماعيين فيها إلى سواء السبيل .

واليوم تطبق خطة المنايل فى أربعين قرية من ٤٠٠٠ قرية فى مصر ، وبدأت النتائج تظهر قليلا قليــلا فى الإحصاءات المصرية العـامة للصحة والتعليم . وستصبح هـذه المراكز الأربعون وما يضاف إليها فى المستقبل ، واحات خضراً فى الفيافى المغبّرة التى يعمرها الفقر والجهل والمرض .

ولعل أخطر ما فى الأمر هو الأثر الذى تركته هذه التجارب فى الحكومة المصرية. لقد كان الإصلاح الاجتماعى دائماً هدفاً من أهدافها، ولكنها كانت ترتطم دونه بصخور العادات المتقادمة الموروثة التى عمـرت خمسين قرناً ، والتى آثرت أن تقيم التماثيل

للموتى على أن تصلح من حال الأحياء ، والتى بنت الأهرام فأفقرت فى بنائها أرض مصر عدة أجيال ، كأنما كانت الأهرام حرباً طاحنة أو وباء ، والتى جعلت إقامة الأضرحة للأبطال الوطنيين ، أيسر من إقامة المستشفيات .

لقد حارب دعاة التقدم فى الحكومة هذه العادات ، وحاولوا أن يرفعوا اعتمادات الإصلاح الاجتماعى ، ولكنهم كانوا يصطدمون دائماً بعقبة هائلة هى قلة مبالاة الفلاح ، ومقاومته لكل عمل يفرض عليه فرضاً وقسراً .

فأما وقد أصبح جلياً أن الفلاح يستطيع أن يغير حاله بنفسه ، فإن دعاة التقدم فى الحكومة قد ازدادوا إيماناً بما يعملون ، واستطاعوا أن يزيدوا عدد المدارس ، وأن ينشئوا مراكز زراعية للتعليم أتاحوا بها للفلاح سبيل العلم بالأساليب الزراعية الحديثة ، وأن يؤسسوا سلسلة من المستشفيات المتنقلة ، لن يمضى إلا قليل من الزمن حتى تجعل العون الطبى فى متناول عدد كبير من السكان .

وثمة فى مجلس الوزراء الذى تولى الحكم هذا العام وزارتان مهمتان يشغلهما رجلان كانا عضوين فى جمعية الدراسات الاجتماعية منذ زمن طويل ، وقد تقدما للمجلس باقتراح يبهر النفوس ، يطلبان فيه — وهما يتوقعان أن يجابا إلى ما يطلبان — فتح اعتماد بمبلغ ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه لإصلاح ألف قرية على غرار المنايل .

وقد تذكى هذه الجهود لهيب العزائم الكامنة تحت خمود الفلاحين الذين هم حوالى ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ من ١٧٫٥٠٠٫٠٠٠ من المصريين ، فهم إذا صحت أبدانهم وقويت ، وقرأوا وكتبوا وتعلموا الأساليب الحديثة ، فقد لا يصبرون على بقائهم مصفدين فى أغلال نظام امتلاك الأرض الحاضر ، الذى يقضى على الأسرة المتوسطة فى مصر بالكدح والنصب لتعيش على قطعة من الأرض مساحتها فدانان .

ويومئذ سيكون على الحكومة المصرية أن تأخذ أهبتها وتصنع شيئاً ما لعلاج هذا الأمر على خير وجه مستطاع .

● إن الناس لا يرون الأشياء كما هى فى حقيقتها ،
بل يرونها على صورتهم هم فى حقيقتهم
[هـ . م . توملنسن]

هذه طبائع البشر

إلى جانبي في مباراة الكرة فلاح عجوز استرعى انتباهي بهتافه لكلا الفريقين. وأخيرا استبد بي حب الاستطلاع فسألته عن سر ذلك، فقال:

« أنا لا أستطيع مشاهدة المباراة أكثر من مرة في السنة، فلا بد لي من أن أهتف للفريق الفائز أياً كان » [فيليس بتكر]

يوماً للصيد ووقفنا على شيخ نسأله أي الجهات يكثر فيها الصيد؟

فسألته: « أأنت مقيم هنا من أمد بعيد؟ » فأجاب: « ما يقرب من ستين عاماً »

فنظرت إلى ما حولي من أرض ممحلة موحشة وقلت مازحاً: « عجباً! » ففكر الرجل هنيهة وقال: « هذا بلد إذا لم تجد فيه ما تريد، أمكنك أن تعيش بدونه، أو هكذا يبدو لي »

[هـ . ب . وينبرج]

أسوق سيارتي في الريف في السنة الماضية فوقفت أمام قطيع من الماشية كتب على كل واحدة منه كلمة « بقرة » من الجانبين بخط أبيض عريض. ورأيت فلاحاً بالقرب فسألته عن السبب.

فقال: « إن بعض أهل المدينة يأتون إلى هذه الجهة لصيد الغزال ولا يفرقون بين الغزال والبقرة، وقد قتلوا بقراً كثيراً في هذه النواحي. إنهم يذهبون إلى المدارس حتى يبلغوا العشرين من العمر، فلا أكاد أشك أن المدن بها كثير من البلهاء المتعلمين »

[أ . هـ . فيدبس]

كنت أنتظر السيارة العامة في بلد صغير، سارت بي قدماي إلى مقبرة قريبة، وأخذت أتصفح شواهد القبور، ولم أر أحداً سوى رجل شيخ ينعم النظر إلى المكتوب على أحدها. فلما اقتربت منه استوى وأومأ محيياً، وأشار بعصاه إلى قبر جديد لم يكتب على شاهده شيء وقال: « هذا قبري، وقد جئت لأتعرف إلى جيراني في المستقبل! »

[جوزيف . ب . برينان]

أنتظر القطار في قلق بإحدى المحطات، وقد خرجت من الجيش بعد أن قضيت نحو ثلاث سنوات في الخارج. وإذا بعجوزين شاب رأساهما تجلسان إلى جانبي.

وامتد الحديث بينهما فى أخبار الناس ، ولما كان هذا أول حديث عن الناس يطرق سمعى بعد غيبة طويلة ، فقد أصغيتُ إليه إصغاء ظاهراً حتى أن إحدى السيدتين استدارت إلى وحملقت فى قائلة : « نرجو أن تكون قد استمتعت بحديثنا أيها الشاب » .

واعتذرت من فورى وأوضحت لها الأمر . فأومأت موافقة وقالت : « أصغ كل الإصغاء ، فإننا لم نبلغ بعد خير ما فى الحديث ، أنتظر حتى نبدأ الكلام على مسز جونسون ! » [ستان بلدكوت]

لوالدتى صديقة تبلغ من العمر ٨٥ عاماً وكان الناس جميعاً يدعونها « الجدة » ، ولكنها كانت على شىء كثير من النشاط ، فأزمعت رحلة طويلة بالقطار ، وأراد أولادها الأربعة وأحفادها الأحدعشر أن يصرفوها عن سفرها ، ولكنها أصرت على السفر ورافقتها الأسرة بأجمعها إلى المحطة يزودونها بنصائح تنفعها فى سفرتها .

وقال لها أحد أبنائها : « إذا حزبك أمر ياجدتى فاسألى أى إنسان بالقرب منك »

فقالت : « لا يشغلك أمرى فحين أجدنى فى مأزق فسأتظاهر بأنى عجوز » .

[أليس رتلدج]

فى يوم من أيام شهر يونيو قرية جميلة تكتنف الأشجار بيوتها النظيفة . وقفنا نحادث رجلا شيخاً فقلت له متحمساً : « إنا نحب بلدتكم حباً جماً حتى أننا لنود أن نعيش فيها »

فقال « ولِمَ » ؟

فقلت : « لأنها جميلة ونظيفة ، ولأننا نحب أهلها ، إذ يظهر أنهم من خيار الناس » .

فقال الشيخ : « لا يغرنّك ذلك ، إن فيها من الفساد مثل ما فى أى بلد آخر ، بيد أن الناس هنا من الحكمة بحيث يمسكون ألسنتهم عن الحديث بشىء عما يجرى ! » [كايو وهارى فلاور]

كراهية العم هوراس للمحاريث الآلية معروفة فى الناحية التى فيها مزرعته ، ومساحتها ٢٦٠ فدانا ، وكان لا يستخدم غير الخيول فى حرثها كلها . فجاءه أحد بائعى هذه المحاريث وأقنعه بأن يقوم بتجربتها أمامه ، وقال له إن قوة كل محراث كقوة مئتى حصان .

فقال العم هوراس بعد انتهاء التجربة : « عظيم جداً ! عظيم جداً ! إنى مستعد أن أشترى أحد هذه المحاريث إذا ضمنت المئتى حصان أن تزودنى بما يلزمنى من السماد أيضاً ! » [وين بلومبرج]

جاسوس ذو وجهين

ج . إدجر هوفر

مختصرة من " ذي أمريكان مجازين "

هذه قصة رائعة بطلها رجل، سمّه إن شئت ألبرت فان لوب ، وهو يقيم اليوم فى مدينة من شرق الولايات المتحدة حيث تراه يروح ويغدو بين داره ومحل الجواهر الذى اشتراه فى أواخر الحرب .

وقد أخبر رئيسُه السابق قلم المخابرات الأمريكى أن فان لوب كان أعظم جواسيس النازى فى هذه الحرب ، ولكنه لم يكن يدور بخلده قط أن فان لوب كان جاسوساً ذا وجهين ، يتجسس لأمريكا متظاهراً بأنه يتجسس للألمان .

وفان لوب رجل هولنـــدى ، وفى ٦ إبريل سنة ١٩٤٢ دخل دار القنصلية الأمريكية فى مدريد يطلب الإذن له بالسفر هو وزوجته إلى أمريكا . وقد قص عليهم خبره ، فزعم أن الألمان اختاروه للسفر إلى أمريكا ليتجسّس لهم على جيوش أمريكا وصناعاتها ، وقد أمر أن ينشىء محطة إذاعة ليوافى همبرج بالتقارير يوماً بعد يوم .

وأحبّ أن يثبت للقنصل صدق ما قال ، فعرض عليه صوراً مصغّرة تشرح كيف يصنع الراديو القصير الأمواج وكيف يدار ، وعرض عليه بيانا ذكرت فيه المواد اللازمة لذلك ، وكيف يكون تركيبها ، وجداول الذبذبات ، والرموز ، ومفاتيح الرموز . وأراه أيضاً مبلغ ١٦,٢٣٠ ريالا ، نقداً وشيكات .

وقد أصرّ فان لوب على أنه إنما انطوى تحت لواء الألمان ودرس فى مدارس الجاسوسية الألمانية ، لكى تتاح له وسيلة يفرُّ بها من أوربة . وها هو قد جاء ليخدم الحلفاء ، فإذا نال الإذن بدخول الولايات المتحدة ، فأحبُّ شىء إليه أن يتجسّس لهم متظاهراً بأنه يتجسّس للألمان .

فقال له القنصل إنه سينظر فى طلبه ، وأبلغنا الخبر من فوره . فراجعنا محفوظاتنا فوجدنا فيها ذكره وخبره ، فهو مولود فى هولندة ، ويبلغ من العمر نحو خمسين سنة ، وزوجته ألمانية ، وهو مهندس وخبير بالجواهر ، وكان جاسوساً فى حربين .

فأبرقنا إليه : « أرسله على الفور . »

وما هو إلا أن بثثنا عليه العيون ، فعرفنا أنه تسلّم قبيل سفره هذه الأوامر : « يجرى العلماء الأمريكيون تجاربهم فى تحطيم ذرّة الأورانيوم . من المهم أن نقف

على سير هذه التجارب » . وتلقّ بعد ذلك بيانا بأسماء كثير من العلماء العاملين فى بحوث الذرّة وعناوينهم . ولاتنس أن هذا كان فى أوائل سنة ١٩٤٢ يوم كانت أبحاث القنبلة الذرية مجهولة لايكاد يعرفها إلا نفر قليل من العلماء أو من رجال الدولة .

فاستقبلنا فان لوب وزوجته حين وصلا على سفينة برتغالية ، وما زلنا به نسأله ونضيّق عليه ونحتال حتى اعترف أخيراً أنه كان جاسوساً ألمانياً فى الحرب العالمية الأولى ، وأنه سجن زمناً لأنه سرق ٧٠٠٠ ريال من صديق له . ولما تبين أننا أخذناه بأكاذيبه الكثيرة ، ارتاع ارتياعاً شديداً.

ثم أنزلنا فان لوب فى فندق ، وأبحنا له أن يذهب حيث يشاء ، غير أننا أتبعناه أشدّ المراقبة . وكانت خطتنا أن ننشىء محطة الإذاعة ، ونتصل بقلم المخابرات الألمانى باسم فان لوب ، فلو وقعت أدنى هفوة لحبط كل تدبير . فلدى الألمان مثلا رجل يدعى فايزتوم ، يستطيع أن يتبين كل أسلوب من أساليب إرسال الإذاعة التى يمتاز بها كل من اتصل به ولو مرة واحدة ، وهو يعرف أسلوب فان لوب أتم معرفة .

فسجلنا أسلوب فان لوب فى الإرسال على أسطوانات ، وظل ثلاثة رجال منّا يتدرّبون حتى أتقنوا محاكاته دون أن يقعوا فى خطأ ، ودرسوا لغة فان لوب فى التعبير — وبخاصة بعض العبارات الغريبة التى تجرى على لسان الهولندى حين يتكلم الألمانية .

أقمنا محطة الإذاعة فى مكان قصى منعزل فى لونج أيلند بولاية نيويورك ، وفى ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ بدأنا الاتصال بالألمان بما يأتى :

« أنا الآن على أهبة العمل . ينبغى أن تحذروا كل الحذر ، وإن كنت أشعر أنى فى مأمن . سأستمع إليكم فى السابعة مساء »

وبعد خمسة أيام جاء الرد : « العمّ فى غاية الغبطة . وهو يعرب لك عن تقديره ويتمنى لك كل خير » .

فابتهجنا بذلك ، وظللنا أكثر من عامين — إلى أول مايو سنة ١٩٤٥ — على صلة بهمبرج لم تنقطع . وزوّدنا الألمان بأنباء عن الحرب والصناعة أكثرها صحيح ، وقدّمنا إليهم تقارير عن الجوّ ، وذكرنا لهم أسماء بعض السفن الراسية فى الموانىء الأمريكية والسفن الحربية التى يجرى إصلاحها ، وأخبار الصحف عن اعتمادات الحكومة للسفن والذخائر .

ولم يكن من الحكمة أن نظهر لهم أن فان لوب قد عرف أسراراً كثيرة ، فالألمان يدركون ولاريب أن جُهد جاسوس وحيد

فى أمريكا جهد محدود ، ولكن لفقنا لهم خبراً عن عاملين ألمانيين فى أحواض السفن زعمنا أن أحدهما فى بروكلين والآخر فى فيلادلفيا ، وأنهما كانا يوافيانه بالتقارير . فأخذ نجم فان لوب يسطع شهراً بعد شهر فى أفق القيادة الألمانية العليا .

ولم يكن كل هذا عبثاً ولهواً ، بل كنا نريد أن نعرف : أفى أمريكا جواسيس آخرون ، فلربما أمره الألمان أن يتصل بهم . وكنا نريد أن نعرف كيف يموّل الألمان صنائعهم فى أمريكا ، وأهم من ذلك كله أننا كنا نرجو أن نضلّل القيادة الألمانية بأنباء ملفقة نوافيهم بها .

وكنا نزعم لهم فى الحين بعد الحين باسم فان لوب أنه أوشك أن يفلس ، وأنه لايستطيع أن يستمرّ . فجن جنون رئيسه القائد النازى حرصاً على إرضائه ، وعرض عليه بادىء ذى بدء أن يرسل ٢٠٠٠ ريال إلى بنك سويسرى فيحولها إليه بالتلغراف على بنك آخر فى نيويورك . فأردنا أن نعرف كيف يصنع الألمان وما هى أساليبهم ، فعارضنا هـذا الرأى ، وقلنا إنه محفوف بالمخاطر ، فما كان من القائد النازى إلا أن أخذ يرسل له طوابع بريد نادرة عن طريق أمريكا الجنوبية . ولقد مضت سنتان ولم يصل إلى فان لوب سوى مجموعتين اثنتين لاتزيد قيمة كل منهما عن ١٥٠ ريالا . فإذا كان الألمـان يلقون مثل هذه المشقة فى إرسال المال إلى جاسوس من جواسيسهم ونحن نيسر له الأمر ، فما ظنك بما يلقونه بغير هذه المعونة ؟

وظللنا نطالب بمزيد من المال . وأخيراً أوفد الألمان رجلا هولندياً من أقطاب صناعة الصور المتحركة إلى أمريكا ، وكان بين الأعمال التى كلف بها أن يسلم فان لوب جواهر قيمتها ٦٠٠٠ ريال . فلما بلغنا أن جاسوساً جديداً أوشك أن يحضر ، أخذتنا حيرة . فلو نحن قبضنا على الرجل (سمّه مثلا شوبرت) لاسترابت ألمانيا . وخشيت أن يفضح سر فان لوب . وإذا تركنا شوبرت يتصل بفان لوب ، فنخشى أن يتصل بالألمان وينبئهم أن فان لوب جاسوس ذو وجهين .

ومن العجيب أن شوبرت هذا أيضاً يمم شطر القنصلية الأمريكية فى مدريد يعرض جهوده على الحلفاء ، وأظنه كان مخلصاً ، فقد عاوننا ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وتلقى فان لوب أمراً بالراديو أن يتصل بالتلفون بشوبرت فى فندقه ، فاتصل به أحد رجالنا باسم فان لوب وقال له : « أنا كاليان أحمل لك تحية العم . هل معك شىء لى ؟ » فأجابه شوبرت أنْ نعم . وتمّ الاتفاق بينهما

على أن يلتقيا فى ردهة أحد الفنادق ، وأنه سيسلمه الجواهر بعد ترديد كلمة السر وهى « كليان » . فلم يلبث شوبرت أن ذكر لنا كل هذه التفاصيل حتى نستطيع أن نترصد للرجل ونقبض عليه ساعة يتم اللقاء .

فلما وصل شوبرت ووجد الفندق غاصاً بالناس ، أخذه الغم . ثم دنا منه رجل وغمغم فى أذنه : « كليان » ، واختطف حقيبة الجواهر وغاب فى الزحام . فكاد شوبرت يبكى ، فلا هو ولا أحد من رجال قلم المخابرات ، كما يظن ، رأى فان لوب . ولو كان قدر لشوبرت أن يرى الرجل الذى همس باسم « كليان » لرأى زنجياً أسود حالكا فى ثياب سائق سيارة ، ولن يستطيع قط أن يخبر الألمان أنه رأى وجه فان لوب .

والآن دنت لنا الساعة الفاصلة . فقد طلبوا من فان لوب أن يجمع باله على خطط الأمريكيين لغزو أوربة ، وأن يصف لهم شارات الجيوش التى يراها فى نيويورك ، وأن يذكر الأرقام المسلسلة المثبتة على عربات النقل العسكرية ، وما إلى ذلك . فوافيناهم بأنباء كثيرة . ثم أخذنا نحتال برفق حتى تذكر لهم اسم أيسلندة ، وكان فان لوب فى ذلك الوقت عاملا فى أحد محال الجواهر ، فأخبرناهم على لسانه بما يأتى :

« أنبأنى أحد زملائى فى المتجر أن ابنه سافر منذ قليل إلى أيسلندة » .

وجعل دأبنا أن نردد فى كلامنا كلمة كأنها تأتى عفواً هى « أيسلندة ، أيسلندة أيسلندة » .

ثم أرسلنا فى ٣ مارس سنة ١٩٤٤ رسالة إلى همبرج تزيد الأمر تأييداً .

« رأيت فى يوم الأحد الماضى جماعة من الضباط فى بار فندق ، وقد جلسوا يشربون ويتحدثون ويتندرون على الخدمة فى أيسلندة ، فقال لهم ضابط من كبار الضباط إنه ليس مما يجمل بهم أن يتهوروا فى التندر والضحك ، فيوشك أن يرحل بعضهم إلى أيسلندة ، فإنه قبيل أن يغادر أيسلندة رآهم يعدون العدة لإيواء عدد كبير من القوات المحاربة » .

لقد مضت أشهر ولم تحلق طائرة استكشاف ألمانية واحدة فوق أيسلندة ، ولكن بعد إرسال هذه الرسالة ، ظهرت فى الجو طائرة ، وكان فى وسع الطيار أن يرى معسكرات أيسلندة قد غصت بالثكنات — ثكنات مزيفة طبعاً — وأن الميناء غاص بالسفن ، فمن أجل ذلك لم تلبث القيادة الألمانية أن تأهبت لصد الغزو من جهة النرويج .

وجعلنا نطاول لهم الأيام ، ونحن لا نزال في خلال ذلك نوافيهم بالتقارير ذاكرين أن الغزو قد أرجىء إلى حين . فلما انتهى الجيش الألماني في فرنسا إلى حالة من الضعف والوهن من جراء نقل الجنود إلى النرويج ، انقضت الجيوش والأسطول على نورمندى ، ولم يكن طريقها ممهداً آمناً ، فقد كان عليها أن تقاتل وهى تتقدّم — ولكن ماظنك لو كان الجيش الألماني كله في هذا الطريق مستعداً للقائنا ؟

ومن الغريب أن فان لوب لم تسقط مكانته من جراء تقاريره المضللة، ولا وُجّه إليه توبيخ قط . وظللنا نتابع إرسال الأنباء التي يدل أكثرها على عظيم ما بلغته قوات أمريكا البحرية ، وهى أنباء نعلم أن الألمان سيبلغونها إلى اليابان .

ثم جاء يوم ٢٧ إبريل سنة ١٩٤٥ ، فجاءتنا هذه الرسالة من همبرج :

« إن الموقف الراهن يقتضى قطع الصلة التي بيننا ، ولكن انتظر رسالة منا مرة في الأسبوع . وسيتولى العم جميع أمرك في المستقبل ، كما كان يفعل فيما مضى » .

وظللنا نترقب يوماً بعد يوم نتنظر الإشارة ، ولكن بلا جدوى . لقد فرّ العم وهلكت ألمانيا . وبقى فان لوب — ذلك الجوهرى الهولندى وحده يروح إلى عمله ويغدو ، ناكس الرأس مغموماً بالذى كان من غدره وخيانته .

فتركناه وشأنه، فقد صانعنا زمناً طويلاً — والسيف مسلولٌ على عنقه .

راحة العمر

ظل الجنرال بريهون سمرفيل رئيساً لقسم التموين في الجيش الأمريكى أربع سنوات في زمن الحرب الأخيرة ، فكان يشتغل اثنتى عشرة ساعة كل يوم من أيام السنة ، حتى بلغ منه الجهد . فلما اعتزل الخدمة سأله أحد أصدقائه ماذا ينوى أن يفعل ؟ فقال :

« سوف أستريح . فسأظل ستة أسابيع جالساً في كرسى على شرفة دارى ثم أبدأ بعد ذلك في هز الكرسى قليلاً قليلاً » [كارل دترز]

رجل من أصحاب حمام السباق يعدد ما بين الحمام والبشر من التشابه !



الحمام والبشر

ت . ماكيان داوز

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

لقد أقبل الربيع ، وكان حمامى الذى اتخذته للسباق قدقضى الشتاء لا تبالى واحدة منه بصاحبتها ، فهو إذا عاد إلى بيته انقلبت كل حمامة رأساً إلى مجثمها . أما اليوم فقد أخذ ترجيعه وهديله يتردد فى جوانب بيته، وقصرت ساعات رحلته ، وقلّ تسكعه فى نواحى السطح ، وتراه يدخل بيته عجلاً ليتم شغله الشاغل، من اختيار أليفه وبناء عشه .

وكانت خصالها أحياناً تثير العجب لقرب شبهها بخصال البشر . فمن ذكورها وإناثها العربيد المشاكس ، ومنها الوديع المسالم ، ومنها العنيد ، ومنها الدمث الطباع ، ومنها المدبّر الدؤوب . ومنها البليد المهمل ، ومنها اللعوب الغزل . ومنها المحصنات العفيفات . ومن صغارها الذى عجّل نموّه ورشده ، ومنها المتخلف النمو .

والمعاشرة بين الذكر والأنثى تستمر مدى الحياة . وكبار الأزواج تبدأ تدبير بيتها حين يطول النهار ، وذلك فى فبراير . أما صغارها فتبدأ ذلك يوم تختار أليفها . والذكر يرجّع سجعه نافخاً طوقه ليعرض محاسن ألوانه الزاهية ، ويختال اختيالا عجيباً ساحباً ذيله على وجه الأرض ، غير أن الأنثى تبدو كأنها لا تبالى بما يفعل ، ولا تكاد تلقى إليه بالاً حتى يغلو غلوًّا شديداً فى غزله واختياله ، وعندئذ لا يزيد ما تفعله على أن تخفقه خفقات بجناحها ، ويخيل إليك أنها تقول له : « لشدّ ما تجرّأت أيها العربيد ! »

بيد أن الأنثى ولا ريب ترقبه باهتمام أشد مما يبدو عليها ، إذ يكون عليها أحياناً أن تختار بين خطابها المدلهين . والحمائم كالبشر كثيراً ما تختار الزوج الذى لا يصلح لها . وفى الحين بعد الحين ينضم إلى جماعة الحمام الآلف جماعة وحشية « شريدة » ، ويخيل إلى صاحب الحمام أن هذا الطائر الشريد بائس مسكين، فهو ريش كله ، نحيل البدن ، خلو من الأناقة والرشاقة ، ولكنه على ذلك لا يلقى تعبا فى الظفر لنفسه بأليف .

والحمائم إذا ظفرت بأليفها أخذتها نشوة كنشوة الزوجين منّا بعد العرس. فهما دائماً معاً، قد تلاصقا ما استطاعا، ويبلغ ما يجرى بينهما من القبل والمغازلة مبلغاً فاضحاً.

وأنا قلما أدع لحمائمى اختيار أليفها إذا كنت أريد منها نسلها، فقد رأيت أن الجمع بين أليفين متماثلين فى القدرة وكرم الأصل أفضل عاقبة. ويكفيك أحياناً أن تحبسهما معاً فى مكان منعزل — ولكن بعد أن تعقد بينهما شيئاً من المعرفة، وإلا فقد يحدث بينهما من النفور ما يشق عليك أن تزيله.

ومن دأبى، إذا أردت أن أعقد بين حمامتين معرفةً، أن أخرج الحمائم كلها من البيت، وأترك الذكر والأنثى طليقين وحدهما فى تلك الحجرة الواسعة. والأغلب الأعم أن يألف أحدهما صاحبه فى أقصر وقت، وعندئذ أنقلهما إلى المكان المنعزل.

أما استبدال زوج مكانَ زوج فلم يكن أمراً سهلا فى كل مرة. وقد كان عندى حمامة ذكر كريم رشيق، فسألنى الذى ربّاه أن أعيره إياه زمناً، فقبلت وأرسلته إليه فى بلد آخر.

وبعد أشهر جاءتنى منه رسالة ذكر فيها أن الطائر قد ردّ إلىّ، وأنه قد أبى أن يعاشر أنثى ويستولدها بيضة واحدة. وقد قدم إليه عشرات من إناث الحمام، فصدّ عنهن جميعاً، وظل كئيباً جاثماً فى عشه قد أضناه الحنين وهدّ قواه.

وجاءنى على القطار السريع مجهودا ساغباً ظامئاً أشعث أغبر، فلما دنوت من بيت الحمام حاملا قفصه، كان جذله برؤية وطنه جذلا لاحدّ له، وحاول أن يقتحم القضبان قبل أن أفتح باب القفص، وما كدت حتى انفلت طائراً إلى وكره القديم، وأهوى على الدخيل الذى احتله فأوجعه ضرباً وأجلاه عنه. ثم جعل يحيّي أليفته القديمة تحية صادق الحب، ولم يذق طعاماً ولا شراباً حتى فرغ من ذلك كله.

وعلى أن أنثى الحمام هى التى تختار أليفها، إلا أن الذكر هو الذى يختار مكان العش، ولها هى حق الرفض والامتناع، فربما اختار عدة أماكن قبل أن يبلغ رضاها. فإذا ماتم اختياره، فقلما يمكن تحويلها عنه.

والذكر والأنثى يتعاونان على بناء العش، فهو يجمع لها العيدان والريش، وتتولى هى نسجه وتنضيده. وبعض الذكران أحسن همة من بعضها فى جلب العيدان، فتحمل إلى البيت أكواماً منها، وأما بعضها فيقنع بقليل من أعواد القش. وسواء قلّ المحمول أو كثر، فهو يحتفل بما جاء به بالترجيع

والقرقرة والتودّد إلى صاحبته. وهو لا يجعل همه أن يلق ما يحمل ، بل يقضى بضع دقائق ليحدث صاحبته بما لقى من الجهد فى البحث عنه ، ويثنى على العش الجميل الذى تصنعه ، وليسمع ثناءها على همته وحسن بلائه .

وقبل أن يدنو ميقات وضع الأنثى بيضها بأيام قلائل ، ترى الذكر قد استبدّ به الخوف من أن البيضة لن تنزلق إلى مكانها اللائم . وتراه حزيناً كئيباً حين تفارق الأنثى عشها ، فيرغمها على العودة إليه ، وأصحاب الحمام يسمون هذا المسلك « الإرغام » . ويبلغ من قلق بعض الذكور أن لا تتيح لإناثها فرصة للأكل . وقد كاد أحد الذكور التى عندى يقتل أنثاه جوعاً بعنفه فى إرغامها عنوة على العودة .

والذكر والأنثى يتقاسمان حضانة البيض بترتيب مقدّر ، فتتولاها الأنثى منذ الأصيل حتى يطلع الفجر ، أما الذكر فيتولاها نهاراً ، ولكنه لا يجثم عليه كل الجثوم ، بل تراه يطير عنه إذا سنحت له فرصة للمغازلة .

وكثيراً ما يكون فى بيت الحمام حمامة أو أكثر لا أليف لها ، فيكن فتنة للأزواج . وطالما استمتعت برؤية حمامة ذكر قد أخذ يحتفى فى ساعات راحته بإحدى الحمائم العزّاب ، ولكنه قلما يبلغ ما يريد ، فإن أنثاه لا تزال ترقبه ، فإذا رأت أنه قد جاوز الحدّ فى مغازلته ، انقضت كالصاعقة ونقرت تلك الغاوية الفاتنة .

والفراخ أول ما تخرج من بيضها تتطلب ، كواليد البشر ، غذاء خاصاً . وآباؤها ذكوراً وإناثاً تفرز مادةً تسمى « لبن الحمام » تقذف به من حواصلها . وصغار الحمام لا تطيق فى أول الأمر أن تقيم أعناقها زمناً يكفى لإطعامها ، ولكنها لا تلبث أن تنمو حثيثاً وتشتدّ قواها .

فلا يكاد ينصرم أسبوعان حتى يتم ريشها وتقوى على بعض الحركة ، وإن كانت سيقانها أضعف من أن تحملها أكثر من لحظة فى كل مرة . فإذا كان ذلك أصبحت الأم لا تحفل بهم إلا أقل حفل ، فهى لا توجه رعايتها إلا إلى الصغار التى لا حول لها ولا قوة ، ويومئذ تبدأ نفسها تتشوّق إلى ذرّية جديدة . أما الأب فهو الذى يولى هؤلاء الصغار عنايته ويتعهدّها بكفالته . وهو عمل ضخم ، فإن الصغار تأكل أكلا لمّاً .

وما يكاد عمر الصغار يتجاوز ثلاثة أسابيع حتى تنفلت خارجة من بيوتها ، فربما ضلت وحارت ، ولم تستطع أن تعرف أين مكان العش . فإذا أخطأت ودخلت عشاً غير عشها فهنالك تلقى بلاء شديداً ، فإن صاحب هذا العش لا يعنّى نفسه بالنظر إلى عمر الدخيل أو الفحص عن نيّاته . وهنالك أيضاً

لا يؤمّل الفرخ الصغير نجدةً من أبويه ، فإن الحمام يرعى حرمة الجـوار ، وما من شيء يحمله على أن ينتهك حرمة جاره ، حتى ولا الذود عن ولده وفلذة كبده .

فإذا تجاوز عمر الأفراخ أربعة أسابيع قليلا ، فقد صارت أهلاً لأن تفارق بيتها فراق الأبد . فيعلمها الأب كيف تميز طعامها وتعرفه ، ويعوّدها التقاط الحب حتى تصير ماهرة محنكة . فإذا بلغت ذلك ، فعليها أن تعول نفسها .

والذكر والأنثى جميعاً يصلحان للسباق ، ولكن الزوجين الأليفين أصلح للسباق في المسافات البعيدة .فالأنثى تبذل أعظم جهدها في السـباق حين يكون لها بيض تحضنه أو فراخ زُغْب تتعهدها . والذكر خليق أن ينطلق عائداً بأسرع ما يطيق حين يكون في زمن « إرغام » أنثاه ، قبل أن تضع بيضها بيوم أو يومين . وربما جمعنا على الذكر الغـيرة مع القلق ، وذلك بأن نحبس مع أنثاه ذكراً غريباً في عشهما ، فيكون آخر شيء يتذكره قبـل الفراق أن له في بيته منافساً متقحِّماً ينبغي له أن يطرده ويقصيه . وقد جازت هـذه الحيلة على حمامة من خِيرة حمامي ، فأتى في سباقه بما لم يأت بمثله من قبل .

ولقد درست خصال الحمام وطِباعه ، فنفعتني دراستها أحسن نفع في فهم خِصَال البشر وطبائعهم فيما يأتون أو يذرون .



هذا عذر !

قال الجاحظ : « ورأيت أنا حمامة في المنزل لم يعرض لها ذكر إلا اشتدّت نحوه بحـدّةٍ ونزَق وتسرُّع ، حتى تنقر أين صادفت منه ، حتى يصدّ عنها كالهارب منها . وكان زوجها جميلاً في العين رائعاً ، وكان لها في المنزل بنون وبنو بنين ، وبناتٌ وبناتُ بناتٍ ، وكان في العين كأنه أشبُّ من جميعهنّ . وقد بلغ من حُظْوته أني قلّما رأيته أراد واحدة من عُرْض تلك الإناث فامتنعت عليه ، وقد كنّ يمتنعن من غيره . فبينا أنا ذات يوم جالس بحيث أراهنّ ، إذ رأيت تلك الأنثى قد زَافَتْ لبعض بنيها ! فقلت لخادمي : ما الذي غيّرها عن ذلك الخلق الكريم ؟ فقال : إني رحّلْتُ زوجها إلى مكان آخر فذهب ، ولهذا شهر . فقلت : هذا عُذْرٌ ! » . [كتاب « الحيوان » ج ٣ ص ١٦٧]

كيف دخلت "الديمقراطية" أذربيجان



إدوين مولسر
مختصرة من مجلة "ذي أميركان ميركيوري"

سارت بنا الطائرة مع الشاطىء الجنوبي لبحر قزوين، ويمتد على الشاطىء طريق عام أخذنا نرقبه بإنعام، فلم نلبث أن رأينا عليه صفاً من سيارات يتلو بعضها بعضاً، فحوّمنا فوقها دانين منها دنوًّا أتاح لنا أن نرى وجوه راكبيها، ونتبيّن زيهم الروسى.

ثم وصلنا إلى ثغر بهلوى، فإذا على الرصيف ثلاث سفن نقل روسية، ورأينا صفاً من الجنود يعبر صاعداً إلى إحداها، على حين احتشدت فى فناء الميناء سيارات نقل ودبابات ومدافع مضادة للطائرات، تنتظر كلها الشحن، ذلك أن الجيش الروسى قد أخذ يجلو عن إيران

وهكذا انقشع — فى الوقت الحاضر — أول خطر تعرض له السلم العالمى فى حداثة عهده. ولن يحدث بعد ذلك، فيما نرجو، أن تتوغّل دولة كبيرة بقواتها العسكرية فى أرض دولة مجاورة ذات سيادة وتسيطر عليها.

وتبقى مسألة أخرى: ما القول فى التوغّل السياسى؟ فثمّ وسائل أخرى غير الجيوش يتم بها غزو الدول. وإيران اليوم هى محكّ التجربة، فالذى يحدث فيها حادث فى أنحاء أخرى كثيرة من العالم. فالمسألة فى إيران هى هل تصبح ولاية أذربيجان — التى ظفرت باستقلالها الذاتى حديثاً — شيوعية؟ أم ماذا يكون من أمرها؟

والآن يتسنى لأول مرة أن نروى ماوقع من الأحداث فى هذا الجانب القصىّ الزاخر بالدلالات.

تقع أذربيجان فى الركن الشمالىّ الغربى لإيران، على تخوم الحدود الروسية، ويبلغ عدد سكانها أكثر شيئاً من مليونين، ولسانهم قريب من التركية، ويقيم منهم ٢٠٠٫٠٠٠ فى تبريز عاصمتها. وهى بلدة رثة المنظر كثيرة التراب، وليس فيها إلا طريق واحد معبّد، أما سائر الطرق فأوحال وحصباء. وفيها ثلاث دور للسينما كانت تعرض قبل الحرب أفلاماً أمريكية طال عليها القدم، أما الأسواق فمتاجرها مظلمة ضيقة كالكهوف، وليس فيها إلا مصانع قليلة

للثياب والجلود ، وعمالها يشتغلون ساعات طويلة فى أمكنة لاتتوفر فيها شروط الصحة .

ولكن أغلب أهل أذربيجان أهل زراعة ، وقليل منهم من يملك مزرعة أو بيتاً ، أما الفلاحون فيعيشون فى قرى مزدحمة يتراوح عدد سكانها بين ١٠٠ نفس و ٣٠٠٠ نفس أو ٤٠٠٠ ، وهم يخرجون كل يوم للعمل فى الحقول .

وقرية كاليفانا مثال صادق لحالة أذربيجان، فإن الذى جرى على سواها من قرى الولاية جرى ، أو كان من الجائز أن يجرى عليها أيضاً. وكاليفانا تقع فى وادٍ عريض عارٍ بين تلال تكسوها الأشجار ، تبين من ورائها قنن جبال سَبَلان العاتية ، والتى تغطيها الثلوج معظم السنة .

ويعيش فى كاليفانا ٦٠٠ رجل فى بيوت مبنية باللبن مسقوفة بعيدان النبات ، وليس فيهم فرد واحد يملك أرضاً ، فإن القرية وما حولها من أرض تمتد أميالا ، ملك لرجل واحد ظلت أسرته تتوارثها جيلا بعد جيل . ذلك أن نظام الإقطاع لايزال سائداً فى إيران كلها . وليس الفلاحون رقيقاً بمعنى الكلمة ، ولكنهم لارتفاع أجور الأرض وغلبة الجهل وقلة الحيلة والفُرَص ، قد أصبحوا فى الواقع كالمقيدين إليها بالأغلال طول حياتهم. وكان من شأنهم إلى عهد قريب أنهم كلما لمحوا سيّدهم قادماً حسروا عن رؤوسهم وركعوا له .

وفى العهود الماضية كان السيّد المالك يقيم فى أرضه ويشرف على العمل بنفسه ، أما المالك اليوم فيعيش فى منزل أنيق فى طهران ، ويبعث بناظر زراعة ليتولى جباية الأجور .

ولم تتبدل أساليب الزراعة تبدلاً يذكر عما كانت عليه منذ ١٠٠٠ سنة، فالفلاحون يشقون الأرض بمحراث غليظ من الخشب يجره ثوران .

وليس فى كاليفانا مدارس ، وأقربها إليها مدرسة فى قرية تبعد أربعة أميال ، وليس بين سكانها من يعرف القراءة والكتابة إلا ١٥ رجلا أو ٢٠ رجلا وامرأتان ، وشروط الصحة غير متوفرة ، ويموت هناك أربعة أولاد من كل خمسة .

وقد ساءت الأحوال الاقتصادية فى السنوات العشرين الماضية . وقلّما يرى الفلاح شيئاً من النقود ، والغالب أنه يجد نفسه فى نهاية كل سنة وقد ازداد غرقاً فى ديونه لصاحب الأرض .

وإذا لقى ناظر الزراعة مشقة فى جباية الأجور، وما أكثر مايحدث ذلك، استنجد بالخفراء ، وهم حراس الأمن ، تجمعهم

الحكومة من بين الجنود الذين ينبذهم الجيش الإيرانى، وكلهم أناس لا يوثق بهم، إذ لا يزيد مرتب أحدهم فى اليوم عن ٦٠ مليما، بل لقد ظل الشاه رضا السابق سنة بأكملها لا يدفع لهم مرتباتهم قائلا: « فليرتزقوا من غلة الأرض » ففعلوا، وكانوا إذا حلوا بأرض ليجبوا أجورها، جمعوا منها نصيباً لأنفسهم أيضاً، وكذلك أصاب بعضهم مالا وفيراً.

ومع ذلك بقيت كاليفانا إلى سنة ١٩٤١ لا تحرك ساكناً ولا تتذمر أو تثور، فقد ظل سكانها على ولائهم للشاه، مع أنه لم يبال بأمرهم إلا قليلا. وجند الشاه فتيان القرية فى جيشه الجميل الجديد، وكانت قلوبهم تمتلىء برهبة الإعجاب كلما رأوا ضباطه يتبخترون فى شوارع طهران. ولكن قلما تسامع الناس بما يحدث فى روسيا وراء الحدود.

ثم جاءت الحرب، ولكن كاليفانا لم تتأثر بها فى مبدأ الأمر إلا قليلا — اللهم إلا بعض غلاء السعر. وفى سنة ١٩٤١ راجت الإشاعات بأن الروس والبريطانيين يهمون بغزو إيران، فسرعان ما دعى فتيان القرية إلى الجيش، وسيقوا إلى الحدود الروسية، ولبثت القرية تترقب الأنباء متوجسة مذعورة.

فوصلتهم أنباء تورث الكمد، إذ ما كاد الروس يطلقون بضعة طلقات من مدافعهم وترمى طائراتهم قليلا من القنابل الخفيفة حتى تبدد الجيش الإيرانى الجميل. كان لهذه الهزيمة أثر بليغ، إذ أصبح أهالى كاليفانا لا ينظرون إلى سادتهم كما كانوا ينظرون من قبل، وابتدر بعض الرجال ماطرحه الجيش الهارب من البنادق وخبأوها حيطة لما قد يأتى به الغد. ولم يكن أهل كاليفانا كلهم من الفلاحين المسالمين، بل كان فيهم نفر من الأشرار.

ثم تتابعت الأنباء، لقد خلع الشاه، ونفى، وخلى العرش لابنه. وسرعان ما عسكرت جيوش الروس على مقربة من كاليفانا.

ودب القلق والذعر فى قلوب أهل كاليفانا — وبخاصة نساؤهم — فالألسن تتحدث عن النهب وهتك الأعراض، ولكن الجيوش الروسية ظلت بمنأى عن الأهالى، ولم يصدر منها عمل يعاب. وأقام الروس مخفراً لحراسة الطريق المؤدى من كاليفانا إلى تبريز، فلا يعر فيه إنسان إلا بعد فحص دقيق، وكذلك لم تلق كاليفانا من شر الروس إلا قليلا.

ولكن الأحوال فى إيران أخذت تتدرج من سيىء إلى أسوأ كلما طالت الحرب، إذ

كان الحلفاء يحتكرون شراء البضائع حتى لاتقع فى أيدى الألمان ، فأخلّ هذا الاحتكار بالحالة الاقتصادية فى البلد ، واستولى الحلفاء على أغلب وسائل النقل حتى يكفلوا وصول إمداداتهم إلى روسيا ، وتضخم النقد تضخماً هائلاً ، وارتفعت الأسعار وبلغت عشر أمثالها .

وأخذ أصحاب الأملاك فى كاليفانا وغيرها يشدّدون من وطأتهم على مستأجرى أرضهم ، وأدلى الخفراء دلوهم أيضاً ، فلم يسلم منهم نعجة ولا حمار فى كاليفانا .

وحينئذ بدأ الروس يستغلون تذمر أذربيجان ، وكانت الحدود بين تلك الولاية وبقية إيران كالمغلقة ، والاتصال بينهما عسير ، على حين كانت الحدود بين أذربيجان وروسيا مفتحة الأبواب ، ومن وراء الحدود ولاية أذربيجان الروسية ، ولغة الولايتين واحدة .

وبُذلَ كل جهد لحمل أهالى الولايتين على الشعور بأنهم شعب واحد ، وكان أهل كاليفانا إذا ذهبوا إلى تبريز يعدلون عن الأفلام الأمريكية إلى الأفلام الروسية ، ووزعت عليهم صور عديدة تقارن بين عذاب إيران ونعيم روسيا .

ثم جاء دور حزب توده ، وهو حزب شيوعى أو قريب من الشيوعية ، وقد ظهر أمره منذ سنة ١٩٢٠ ، وكان يُعدّ أثناء حكم الشاه السابق حزباً من الخوارج ، فلجأ إلى العمل سرّاً . أما أعضاؤه فأشتات مختلفة بعضهم من الطبقة العاملة ، ومن رؤسائه نفر من سَراة إيران ، وهم رجال يهيمون بالمثل العليا ، وقد يئسوا من أن يبلغوا ما يريدون من إصلاح الشئون الاجتماعية المحزنة فى بلادهم ، عن طريق تعاونهم مع الفئة القليلة الفاسدة التى تستبد بالحكم فى إيران .

وجعفر بيشافارى أحد هؤلاء الرجال ، وهو يتولى اليوم رياسة الوزارة فى ولاية أذربيجان بعد أن ظفرت باستقلالها الذاتى ، وهو أيضاً رئيس حزب توده ويسمى الآن « الحزب الديمقراطى » . وهو سليل أسرة عريقة فى إيران ، ومكث بضع سنين فى روسيا ، ما بين سنة ١٩٢٠ و سنة ١٩٣٠ ، فلما عاد إلى وطنه أخذ يدعو للمبادئ التى تعلمها هناك ، فسرعان ما ألقاه الشاه السابق فى السجن ، وتوصل الروس إلى إطلاق سراحه سنة ١٩٤١ ، فشرع هو وحزبه فى العمل جهراً ، وأخذ ينظم صفوف رجاله ، وبدأ ثورته .

ويقول عنه الذين رأوه أنه رجل حلو اللسان وَدُودٌ حذر ، ولا يضارعه فى التربية



والمنبت إلا نفر قليل من المنتمين إلى الحزب الديمقراطي . ولم يبق في الحياة العامة اليوم سوى رجال قلائل ، هو أحدهم ، من المؤمنين بمذهب ماركس كل الإيمان .

ولم يصادف حزب توده في مبدأ أمره نجاحاً كبيراً ، ولم تجذب اجتماعاته الأولى إلا نفراً قليلا، ولم تلق تأييداً يجدى . فأهل أذربيجان لا تنفذ فيهم مثل هذه الدعاية ، إذ جلهم من المسلمين ، والمسلمون ينفرون من الشيوعية ، والفلاح الإيراني من طبعه التمسك بنوع من الاستقلال والعزة ، ولا يرضى أن يكون نكرة مسيرّة في جماعة خاضعة لنظام صارم .

ولم يكن للروس في مبدأ الأمر صلة ظاهرة بحزب توده ، ولعلهم ظنوا أنه قادر على اكتساب الأمة بغير حاجة إلى مساعدة منهم ، أو لعلهم كانوا في شغل شاغل عنه وهم يخوضون غمار حرب عصيبة . حتى إذا حل صيف سنة ١٩٤٥ أدركوا — فيما يبدو — أن الشيوعية لم تلق نجاحا كبيراً في أذربيجان ، والظاهر أنهم عزموا أن يعالجوا الأمر بأسلوب جديد .

وفيما يلي مثال يدل على تطبيق هذا الأسلوب في كاليفانا :

« حدث ذات مساء ، بعد أن آب الرجال من حقولهم وتعشّوا ، أن أقبلت سيارة روسية تقل نفراً من حزب توده ، ولكنهم يختلفون عن خطباء الحزب في الاجتماعات السياسية السابقة . ووقفت السيارة في الساحة أمام المقهى الصغير ، وهو منتدى سكان القرية ، ثم أطلقوا أبواق السيارة ، فتجمعت حولهم جماهير غفيرة .

وكان كلامهم يخالف ما كان يلقى في الاجتماعات السابقة من خطب سياسية نظرية ، إذ كان الهدف واضحاً محدّداً : « لا تدفعوا منذ الآن شيئاً إلى أصحاب الأرض ، فإذا وثبنا إلى الحكم فستكون هذه الأرض ملكا لكم . »

وهزّ شيوخ القرية رؤوسهم شكا وريبة ، ولكن كثيراً من الرجال — وخاصة من غرق منهم في الدين — جاهروا بمناصرتهم .

فلما جاء ناظر الزراعة في المرة التالية ، أبى كثير من أهل كاليفانا أن يدفع الأجر ، ولما اشتدّ في مطالبتهم انهال عليه بعض شبان القرية يضربونه . ومع ذلك فليس لأغلبيتهم العظمى أغراض سياسية ، بل هم يعدّون أنفسهم مقيمين على ولائهم للشاه .

ولكن الطريقة الجديدة وجدت لها مرتعاً خصيباً بين العمال في تبريز ، فكان يقال لهم : « لا تعملوا هذه الساعات الطوال بأجر زهيد ، فإذا وصلنا إلى الحكم فإن



ســاعات العمل ستقل ، والأجر يزداد ، فاطلبوا الغنى لأنفسكم لا لأصحاب المصانع » .

وظل الروس يظهرون تباعدهم عن نشاط حزب توده ، وقلّ من كان يعرف أن بيشافارى يلقى كل يوم قنصل روسيا ليتشاورا معاً . وانضم إلى حزب توده كثير من أهل أذربيجان الروسية بعد أن دربوا على أساليب الشغب والتمرد .

وقام الحزب — تأييداً لقضيته فى نظر العالم ، وإثارةً للفلاحين — بتنظيم دعاية واسعة عن فظائع زعم وقوعها . فنشر فى صحفه روايات مسهبة عن مظالم أنزلها الخفراء وأتباع الملاك بالفلاحين ، ولا شك أن أكثر هذه الروايات صحيح . فمثلا حدث فى إحدى القرى أن شدّ الخفراء وثاق الفلاحين إلى الأشجار ثم نهبوا بيوتهم ، وكذلك قتلوا فلاحيْن فى قرية أخرى رمياً بالرصاص .

وأعلن الحزب أنه ستجرى انتخابات لجمعية وطنية تعلن الاستقلال وتضع دستوراً . وفيما يلى وصف لإجراءات الانتخابات التى اتبعت فى كاليفانا : أقبلت سيارات نقل لحمل الناخبين إلى مقر لجنة الانتخاب فى قرية كبيرة على بعد بضعة أميـال . وقد أحجم كثير من شيوخ الفلاحين عن التصويت ، وقال بعضهم لبعض : « لنصبر حتى نرى نتيجة كل هذه الأمور » ، ولكن ما إن بدت سيارات النقل عند أبواب مساكنهم ، ورأوا مسلك من فيها من حزب توده ، حتى قرر هؤلاء الشيوخ أن الأولى بهم أن يذهبوا لإعطاء أصواتهم . فلما وصلوا إلى مقر اللجنة ، وجدوا هناك أعضاء آخرين من الحزب لإعانة الأميين من الناخبين ، ونسبتهم ٩٥٪ ، على كتابة تذاكر الانتخاب. وأسفرت الانتخابات عن فوز مرشحى الحزب فوزاً ساحقاً .

تفشت الثورة فى تبريز ، وكثر عدد الخارجين من بيوتهم وعلى رؤوسهم قلنسوة العمال والفلاحين بدلا من قبعات الأثرياء الموسرين ، فقد غدا أصحاب القبعات يقابلون فى الطرقات بالسخط أو بالرجم بالحجارة ، وبدأت جموع من أصحاب الأرض وأتباعهم يهاجرون من أذربيجان .

وبدأت الصحف تنشر جداول بأسماء الموظفين وأصحاب الأرض الذين يراد « تصفيتهم » . وبدأت التصفية ، فقتل رجلان ضابط بوليس فى تبريز يدعى على وليدى رمياً بالرصاص فى زقاق من الأزقة .

وقد سارع بيشافارى وغيره من الزعماء يتنصلون من أمثال هذه الجرائم ويستنكرونها ولكن تحقيقات رجال البوليس كانت تعاق بطرق مختلفة ، وندر بين رجال البوليس

من رضى بالاشتراك فى إجراء هذه التحقيقات خشية أن تدرج أسماؤهم فى جداول التصفية.

أما فى الريف فقد أخذت عصابات مسلحة من الفلاحين تذرع الدروب ، فإن رأوا أحد أصحاب الأرض يهم بالفرار أنزلوه من سيارته وقتلوه رمياً بالرصاص ، وصارت مراكز الخفراء تهاجم ليلا ، وإذا قصدت سيارة تحمل جنوداً إيرانيـة إلى مكان الاعتداء على مراكز الخفراء، تصدى لها فى الطريق ضابط روسى وأمرها بفظاظة أن تعود من حيث أتت .

ولما سيطر الحزب الديمقراطى على القرى شرعت قواته المسلحة تزحف من كل جانب إلى تبريز ، فوصلت إلى ضواحيها سيارات نقل حافلة برجال عليهم ثياب العمال وفى أيديهم البنادق .

ولم يبد الحاكم الإيرانى أقل مقاومة ، وسلم المبانى العامة، وأذن له أن يهاجر. وهكذا ظفرت بالسلطان المطلق حكومة الاستقلال الذاتى فى أذربيجان .

وتهافتت حجة الروس فى أن لا يدَ لهم فى تلك الحوادث ، فقد تولت الجنود الروسية حراسـة المبانى العامـة ومكاتب الحزب الديمقراطى ، وطاف زعماء الحزب المدينة وهم فى سيارات روسية. ونشطت الحكومة الجديدة نشاطاً كبيراً لتظهر أنها عاملة على إعادة القانون والأمن إلى نصابهما. وحُوِّلت عصابات الفلاحين المسلحة إلى جيش جديد وقوة خفراء جديدة . وأرسل بيشافارى إلى القنصل الأمريكى يستدعيه ، ليرى شنق رجلين فى الميدان العام فى تبريز ، لأن أولهما قد سرق والثانى قد هتك عِرْضاً .

أصبح حزب توده وإذا زمن الوعود قد انقضى وجاء زمن الوفاء بها ، وهو أشد الزمنين . فلا بد للحكومة من المال لتقوى على تصريف شؤونها ، كدفع مرتبات الجند والخفراء ، حتى لا يكونوا عالة على الأرض يفرضون على أهلها فريضة .

وبدأت حملة عنيفة لجباية الضرائب ، وكانت فيما مضى تجبى من الفلاحين على التراخى ، إذ كانت عناية الحكام السابقين مصروفة كلها إلى جباية الأجور للملاّك .

وظهر جباة الضرائب فى كاليفانا ومعهم جداول بالمبالغ المتأخرة ، فوجم الفلاحون . حقاً لقد تحرروا من دفع الأجور إلى أصحاب الأرض ، ولكن أصبح لزاماً عليهم أن يدفعوا ضرائب عن الأرض فوق ما يدفعونه من ضرائب أخرى ، وضرائب الأرض أكبر من أجرها . هـذا ولم يكن جباة الضرائب اليـوم أقل عنفاً من الخفراء بالأمس .

ثم نجمت مشاكل أخرى ، فإن كثيراً

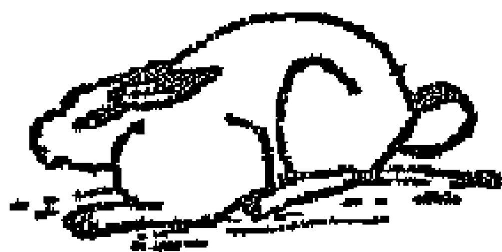
من الفلاحين بددوا ما كان عندهم من مال بدلا من أن يدفعوه إلى أصحاب الأرض ، فلم يبق فى أيديهم شىء يشترون به البذور . فالدلائل كلها تدل على أن المحصول القادم ينذر بالخطر .

ونشأت مشاكل فى تبريز أيضاً ، إذ قيل لأصحاب المتاجر إنهم إذا لم يدفعوا الضرائب فإن الحكومة ستتولى إدارتها ، وإنّ لهم إذا شاؤوا أن يبقوا فيها يتولون عمل الكتبة.

وظفر عمال المصانع بتخفيض ساعات العمل وزيادة الأجر ، ولكن أغلب رؤسائهم الفنيين كانوا قد هربوا، ولم يبق أحد تعينه خبرته على إدارة المصنع، إلا أن تكون إدارة عاجزة مختلة . وكذلك أدّى خفض ساعات العمل وزيادة الأجر إلى ارتفاع الأسعار ، فكسدت السوق، وأغلقت كثير من المصانع أبوابها . أو استبقت عدداً قليلا من عمالها، وواجهت الحكومة مشكلة إطعام العمال المتعطلين .

ومستقبل إيران اليوم تحوطه الريب ، والرأى العام مضطرب حائر ، ويقول المراقبون الموثوق بهم أنه لو أجريت اليوم انتخابات بالاقتراع السرى، لتبين ان ٩٠٪ من السكان يعارضون فى الانضمام إلى روسيا، وأن قدراً مثله يعارض فى العودة إلى النظام السابق ، أى إلى عهد أصحاب الأرض والخفراء والفئة القليلة التى تستبدّ بالحكم فى طهران .

وصحف إيران اليوم تفيض أعمدتها بالمشاريع الجديدة التى تعدّها الحكومة للاصلاح الاجتماعى ، وللقضاء على الفقر والجهل والمرض بين الفلاحين ، وتحقيق إقامة الحكم على أسس ديمقراطية سليمة . ولو خلصت هذه النيات ، لكان من حق هذه الحكومة أن تعان على تنفيذها ، فإن سلم العالم سيتاح له قسط أوفى من الاستقرار ، إذا اعتمدت الحكومات على أسس النظم الديمقراطية ، بدلا من أن تستبد بالحكم فئة قليلة : سواء أكانت من طبقة العمال ، أم من طبقة السراة التى تملك الأرض .



صنعت إحدى شركات العطور عطراً جديداً أطلقت عليه اسم « سيدة » ، فلم تقبل عليه النساء لسبب ما . ثم خطر لأحدهم خاطر ، فإذا العطر قد ذاعت شهرته وعظم الإقبال عليه ، ذلك بأنه اقترح على أصحابه أن يغيّروا اسمه ففعلوا ، فجعلوه « غانية » .

الينبوع الذى لا يغيض

هارى إمرسون فزديك

نحن جميعاً نتوجّس خيفة على مصير العالم بعد الحرب ، وعلى أحوالنا الاقتصادية وعلى أعمالنا ، وعلى العلاقات بيننا وبين أصحابنا من الناس ، وعلى مالا نهاية له من الأزمات والأخطار . ولكن احصُرْ هذه النظرة فى أقرب مايخصُّك ، تجد أن الذى يساور قلب كل امرىءٍ منّا إنما هو الجزَعُ على خاصّة نفسه وعلى حوْله وقوّته. فنحن جميعاً نشعرُ بعجْزٍ باطنٍ عن لِقاء الأزمات التى تحيق بنا من خارجٍ .

وهذا هو الموضع الذى تلتقى عنده أعمق حاجات النفس بأعمق حقائق الأديان. وإذا تيسّر لنا اليومَ أن نؤلف بينهما، فربما أفضى ذلك إلى أن يتغير مجرى حياة آلاف مؤلفة من الناس. إن بعضنا أشبه شىء بصهاريج الماء فنحن بخير مابقى الماء ، غير أن الغدير الذى نستمدّ من مائه قليل الغوْر ، ومادّته محدودة ، فإذا طالت أيام الجفاف علينا عجزنا عن احتمالها. ولكن بعضنا يكون كالعين الثرّة البعيدة الغور ، لا تستنزف ماءها صروف الزمن الطارئة .

وكل امرىء منا فى حاجة إلى هذا الينبوع الدّفين الذى لا يغيض. وأعمق حقائق الدّين وأقواها أثراً فى تغيير النفوس هو الإيمان بالله، ذلك الينبوع الفيّاض الذى لا ينفد مدده على الأيام .

اسأل من شئت منا : « هل تؤمن بالله؟ » يأتك الجواب : « نعم » ، ولكن ما أقل مايحمله هذا الجواب من المعنى أحيانا . فقليل منا من يبلغ به اليقين أن يكون لرجائه فى الله الغلبة على ساعات القنوط : إيماناً بأن الله معنا حيثما كنا ، وأنه هو الذى يمدّنا بحوله وقوّته ومعونته فى كل ساعات حياتنا ، وأنه هو الذى يجعلنا كالينابيع المتفجرة لا كالصهاريج .

ولنتدبر بعض التجارب التى تمر بالإنسان. فمن الناس مثلا من يبقى فى زمن الرخاءِ متماسكا صابراً بغير مشقة كبيرة ، فله أسرة آمنة

مطمئنة تشدّ أزرها مكانتها فى المجتمع، فتراهم متماسكين مجتمعين كأنهم حزمة من عيدان القمح .

ثم تصيبهم محنة ، فإذا الأمن والدعة وما ألفوه من قوة شدت أزرهم تتبدد جميعها ، ويصبح كل فرد منهم موكولاً إلى حوله وقوّته ، فإذا به لا يحتمل المحنة وتتفرق نفسه شَعاعاً . ومن عادة الناس أن يقولوا إن تبدُّد الأمن والدعة هو الذى جرّ علينا الدّمار، ولكن الحقيقة هى أنه كشف ما كان كامناً فى النفس من خلل وفساد، وأنها لم تكن قطُّ فى داخلها سليمة قوية الجوانب. وكان مثلنا كمثل الحزمة من عيدان القمح ، فلما انحلّ رباطها تفرّقت شذر مذر ، ذلك بأن الأواصر التى تجمعنا لم تكن وثيقة العرى .

لم يأت على الناس زمان كزماننا كثر فيه من أصبح وحيداً موكولاً إلى حوله وقوته، فقد فعلت الحرب ذلك بجماهير غفيرة منا ، فلا عجب إذا وجدنا أن أمراض الأعصاب تربى على سائر الأمراض مجتمعة .

ولا يدُرْ بخلدك أنه مما يدخل فى وسع الأطباء النفسانيين أن يحلوا لنا هذه المشكلة. نعم ، أنا أومن بالطب النفسانى ، حتى إنه ليخطر لى أحيانا أنى لو لم أكن معلماً لوددت أن أكون طبيباً نفسانياً. بيد أن علاج هذه العلة الإنسانية العميقة يقتضى معارف أخرى غير معرفة الطب النفسانى وحده ، أو أن يكون بعض الأطباء النفسانيين فى صورة خير من الصورة التى هم عليها . وقد رأيت ورأى سواى، مئات من الناس ممن عرضوا أنفسهم مراراً على جمهرة من الأطباء النفسانيين حتى صار أحدهم يحفظ تشخيص مرضه عن ظهر قلب ، ومع ذلك تجده لا يزال يعانى الخلل والاضطراب. وسر ذلك أن ليس فى نفسه مدد يعينه ، ولا ينبوع من قوة كافية، وأنه لا يعرف أين يجد بغيته منها . فهذا الرجل وأشباهه صهاريج قد أخذ ماؤها يجفّ، لا عيون ثرّة بمائها. وهذه الحقيقة تجعل كل نصيحة تبذل لهم سدًى وهباء .

إنه لهول فظيع أن يشعر المرء ، حين يكون وحيداً ، بأنه حقاً وحيد ! وهذا الشعور هو الدمار المخرب الذى يجلبه الكفر وعدم الإيمان . والكافر غير المؤمن يصبح مُوكولا إلى حوله وقوته ، وإذا به يجد فى أعماق نفسه فِجاجاً رحبة موحشة لا أنيس فيها . وأول شىء يقوله الدين العظيم للإنسان: لا ، لست وحيداً ، ففى أعماق نفسك التى لا تدركها الأبصار ، ينابيع من ماء الحياة يمكن أن تتفجر فتملأ فراغ نفسك بمدد وافر كافٍ .

فهذا مثلا رجل يشعر أنه قادر لا يعجزه شىء فى هذه الحياة ، فهو حى زاخر القوة

حديد الإرادة ، يستطع أن يأخذ الحياة بقوة وعزيمة، ولم يحس قط أن قوته تخذله ، فإذا ما أراد شيئاً هجم عليه هجمة النمر على فريسته لايعوقه عن مراده شيء .

ولم يقع نظرى على أحد من أمثال هذا الرجل إلا عرفت أنه سوف يبتلى عاجلا أو آجلا بمحنة تجعل هذا الأسلوب الذى اتبعه شيئاً لاغناء فيه كالكتابة على الماء .

وانظر إلى الحزن الصادق مثلا . هذا أحد أصدقائى كانت له بنت فى الخامسة من عمرها ، لطيفة رقيقة ، فدهمها داهم فقتلها أمام باب داره ، فحمل أوصالها الممزقة على يديه إلى البيت . فماذا يصنع المرء لصديق فى ساعة كهذه ؟ من السخف ولاريب أن تقول له : « املك نفسك ، وسر فى الحياة بعزم وقوة » . ولكن هناك كلمة ينساها الناس والوعاظ هى «الصبر» . نعم لابد من العزم والقوة ، ولكنهما ليسا كل شيء ، فنحن نفتقر إلى مدد من داخل النفس يجعل الصبر أمراً ممكناً .

وكثير من الأحداث التى تلم بنا تحتاج إلى شيء أعمق من القوة والعزم ، كالإخفاق الشديد مثلا. فكل امرىء منا يحدث له يوما أن يدخل داره ذات ليلة فيرى ضيفا ينتظره ، يالضيعة الأمل! لقد تبدد كل ماقدره وعزم عليه . فلو صرخ المرء فى مثل هذه الساعة كما صرخ بتهوفن حين أصابه الصمم: «ربّاه ! آتنى قوة تجعل لى الغلبة على نفسى» لكان استنجاده بالقوة والعزم شيئاً لاغناء فيه ، وماهو إلا تعزية وتعليل . فإذا أراد المرء أن يخلص مما يلم به وهو حى النفس غير منغص ولامكدر، فلابد له من مدد عميق يستمد منه.

ولاتقصر فكرك على مثل الحزن والإخفاق، بل فكر فى مطالب النفس التى لاغنى عنها فى عيشة راضية مطمئنة ، كسكينة النفس مثلا ، حتى تظفر نفسك ببعض الاطمئنان حين تدخل بيتك مع الليل وتفارقه فى وجه الصباح. وأينا لايريد ذلك ؟ ولكن مامن أحد ينال سكينة النفس قسراً وعنوة، بأن يعقد عزماً مصمماً على نيلها . وسكينة النفس مدد من القوة يكتنف مطالبنا وحاجاتنا فى كل يوم، وهى ضرب من الشعور بينابيع فى النفس يبلغ عمقها مبلغاً بعيداً ، فلا تستنزف ماءها صروف الحياة الدنيا . وهى من النعم التى لاتدرك بالجهد المبذول ، بل تأتى من كرم النفس وصفائها. وأشباه الصهاريج من الناس حائرون قلقون ، وأما أشباه العيون الثرة فوادعون مطمئنون. وفى هذا الأمر أيضاً تلتقى أعمق حاجات النفس بأعمق حقائق الأديان .

ومنا آخرون يعانون مشكلة أخرى مختلفة . فقد دبر المرء منهم أمر حياته وسار

فيها على نهج معين، حتى صارت على مرّ الزمن عادة مألوفة وافية من جميع نواحيها . وإذا به يرى أن كل ما دبّره خطأ، وأن النهج فاسد لا يصلح ، وأنه في حاجة إلى أن يخرج من كلّ هذا ، ويدبّر أمر حياته تدبيراً جديداً وعلى أسس جديدة .

فهل سَلِمَ امرؤ منا من أن يشعر بمثل ذلك، وبأنه محتاج إلى أن يجدّد حياته ويغيّر ما بنفسه ؟ لقد قال براهمز الموسيقيّ يوماً وهو يذكر ألحانه الموسيقية : « إن ألحاني على العموم خيرٌ مني، فهي أقل مني حاجة إلى الإصلاح ! » وهذا اعتراف رجل من الناس، خليق أن يعترف بمثله أشدُّ أهل الأرض كفراً، فنفوسنا نفسها هي التي تحتاج إلى الإصلاح والتغيير .

وما من هوّة في هذه الحياة الدنيا هي أشد إفزاعا للنفوس من الهاوية التي تفصل بين هاتين الكلمتين « ينبغي » و « أستطيع » . يقول ملايين من الناس : « ينبغي أن أغير ما بنفسي، ينبغي أن أبدّل هذا التدبير الفاسد الذي أسير عليه، ينبغي أن أجدّد نهج حياتي » ولكن إذا قلت : « أستطيع — أستطيع أن أجدّد حياتي » فما أوسع المسافة بينهما . وفي هذا الموضع تلتقي أعمق حاجات النفس بأعمق حقائق الأديان .

وماذا يقول الدين لأحدنا إلا : « إنك تستطيع » ؟ فإذا كانت الوحشة المتغلغلة في ضمير النفس ، حيث يجد المرء كلمة « ينبغي » تلوح له بعيدة نائية ، وحيث يرى كلمة « أستطيع » بعيدة خافية لا تكاد تبين — تجعل المرء عندئذ وحيداً حقاً ولا أنيس له، فهذا إذن أمرٌ حقيق بالجزع .

ولكن الأمر يختلف إذا صحّ أن ما يصدق على شئون الحياة الدنيا يصدق في شأن النفوس . فنحن مثلا وإن كنا نعجز عن أن نصنع الكهرباء بأيدينا ، إلا أننا نستطيع أن نطلقها ونظفر منها بالضوء والقوة ، فهل يمكن على هذا المنوال أن نطلق القوى الكامنة في النفس الباطنة ونظفر منها بالضوء والقوة المستكنة فيها ؟ هذا هو جوهر الفرق ما بين الكفر والإيمان، وهذا هو سرُّ القوة في الدين الذي يقول للمرء : « ينبغي لك » ، فإذا عرفت ذلك فأنت « تستطيع » — تستطيع أن تغير ما بنفسك، إذا جدّدت طريقة تفكيرك .

ونحن حين نوكل إلى حولنا وقوتنا ، ونحسُّ بحاجات لا نستطيع أن نسدّها وحدنا بلا معين، وحين يختلُّ أمرُنا ونحتاج إلى أن نرأب صدوع حياتنا ، وحين نلقى في كل يوم عنتاً ومخاوف في دنيا لا تستقرّ على حال — فحياتنا عندئذ اختبارٌ للينابيع المستقرة في أنفسنا . وليس يكفي أن يكون المرء صهريج ماء ، بل يجب أن يكون عيناً ثرّة لا ينضبُ ماؤها على مرّ الزمن .

[كاتبة مشهورة — وأم لخمسة أطفال تبنتهم — توجه رسالة إلى من يريد أن يتبنى طفلا .]



حديث مع بنتي المتبناة

بيرل بك
مؤلفة "الأرض الطيبة"
وحاملة جائزة نوبل في الأدب

مختصرة من مجلة "كوزموبوليتان"

عشرين سنة تبنيت أولى أطفالي ، وعلى كر الأعوام وجدنا أربعة آخرين ليكونوا لها أخوة وأختاً . وقبل أن أجلس لأكتب هذا المقال طلبت من كبراهم رأيها فيما ينبغي أن أقوله لمن عسى أن يريدوا أن يتبنوا الأطفال أيضاً .

فقالت فتاتنا التي بلغت العشرين: «أولا ، لا أظن أن كل إنسان يجوز له أن يتبنى . ولست أعنى الأغنياء والفقراء ، فما لهذا شأن بالموضوع » .

فتباحثنا في أي الناس أليق وأصلح لتبنى الأطفال ، فقالت : « لا أرى أن يكون الأبوان في غضارة الصبي ، فإن الشباب يفكرون على الأكثر في الاستمتاع أولا ، وقد لايولون الطفل من الحب ما فيه الكفاية » .

فقلت : « ولكن الشباب كثيراً مايرزق البنين ولادةً » .

فقالت : « إنهم قد يحبون الأبناء من أصلابهم بمجرد الغريزة الحيوانية ، ولابد من شيء أكثر من هذا للطفل المتبنَّى » .

ومضت تقول: « وطبعاً لاينبغي أن يكون الأبوان أسن مما يجب ، فإنهما خليقان أن لا يرتاحا إلى ضجة الأطفال ، وإنما ينبغي أن يسمح بالتبنى لمن يحبون الأطفال » .

والذى عنته بقولها هذا هو شيء أحسست به أنا نفسى إحساساً قوياً ، فإن كثيرين من الآباء يحبون أطفالهم ولكنهم لا يحبون الأطفال . فليس يجوز التبنى إلا لمن يحبون كل الأطفال ، فقبل التفكير في التبنى يجب أن يتبين الرجال والنساء أي ضرب من الناس هم ، فهل يحبون الناس ؟ وهل يقدرون أن يحبوا طفلا صغيراً ليس من صلبهم ؟

والأطفال يشبّون، فهل يرضى الآباء عن ذوى النمش والعبث والطيش من صغار

الصبية والبنات الذين يتبنونهم ؟ وهل فى وسعهم أن يضحكوا إذا رأوا بعض المكر ؟ وهل فى مقدورهم أن يحبوا طفلا لا تخفى عليهم عيوبه ؟ فإذا كنت مفطوراً على حب الأطفال ، ولا ترى أنهم يضايقونك ، فإن لك أن تتبنى .

والخطوة التالية هى أن تهتدى إلى الطفل ، وهذا صعب . وأحب أن أقول إن عليك أن تجد طفلك بمعونة وكالة أو معهد للأطفال يعتمد عليه ، غير أن الحقيقة المحزنة أن هذه المنشآت قليلة ، وأن القوات المنظمة التى تعمل ضد التبنى ، هى من القوة بحيث تزداد الصعوبة .

وينبغى لأجل الأطفال أن يسهل التبنى ما أمكن ، ولابد بطبيعة الحال من البحث فى حالة الآباء وبيوتهم ، ولكنه ليس ثم سوى بديل واحد صالح من الآباء الصالحين للطفل ، وذلك هو آباء صالحون آخرون .

وقالت بنتى بعد تفكير آخر : « لست أرى أن يعامل الطفل المتبنى معاملة خاصة ، وينبغى أن يُعَلموا ، ويُحَبوا ، ويعاقبوا كغيرهم من الأطفال ، ولا يجوز اختصاصهم بألطاف ، لأنهم خليقون أن يشعروا أنهم غرباء » .

وقد سرنى قولها هذا ، فقد عوّدنا أطفالنا أن نكون معهم على حقيقتنا ، وهم يشاطروننا حسن حظنا كما يشاطروننا ما لا مهرب منه من سوء الحظ أيضاً . وكنا إذا أرهقنا أنفسنا بالعمل — كما نضطر كثيراً إلى ذلك إذا كانت أسرتنا كبيرة ونفقاتنا على قدرها — فإنه يكون عليهم أن يحتملوا جرائر تعبنا ، وما يبدو منا من قلة الصبر أحياناً ، ولكنهم يستطيعون دائماً أن يكونوا على ثقة من حبنا لهم .

وعلى الآباء أيضاً أن يتقبلوا الطفل على علاّته ، فإنه مهما تكن البيئة فإن لكل طفل طبيعة لا تتغير ، وهو من الساعة التى يخلق فيها تحدد له صفاته الجوهرية ، وليس للتدريب والقدرة من أثر إلا إنماء ما هو موجود فعلا ، وتوجيهه . والمبالغة فى الأمل لا نتيجة لها إلا الخيبة والشقاء للجميع .

وكيف يعرف الإنسان أنه وجد الطفل الصالح للتبنى ؟ وهل العيون السود مهمة ؟ أو العيون الزرق ؟ إن كل شىء يصبح مُهماً إذا رأيت أنت أنه مهم ، والشعور له قيمة فيما بين الآباء والأبناء . ويجب العناية بالعواطف أول شىء ، لأن لها أعظم الأثر فى إقامة العلاقة بالطفل الجديد .

وإنما اخترت صفة جسمانية على سبيل المثال ، وطبيعى أن تكون الصفات الأخلاقية والنزعات أهم . وإذا اختار أبوان نزعتهما إلى الظهور قوية بارزة ، طفلاً حساساً

خجولا منطوياً على نفسه ، فإن هذا الاختيار يكون سيء المغبة للجميع . ولكن كيف نعرف؟ ولنسلم جدلاً بأنه ليس ثم وسائل مقطوع بهديها ، فإن هناك بعض الأمور التي يمكن الانتفاع بها . من ذلك أن أرومة الطفل — بل خصائصه القومية الأساسية — ينبغي أن تكون أقرب ما يمكن إلى أرومة الأبوين اللذين يتبنيانه . فإذا كان يجري في عروقك الدم الإيطالي الحار ، فليس لك أن تتبنى طفلا منحدراً من أصل إسكندناوي بارد ، إلا إذا كنت قد تزوجت امرأة من هذا الجنس أحببتها .

والناحية الثقافية أيضاً لها قيمتها ، فالآباء الذين لا يعبأون بالكتب ، والذين تركوا المدرسة في سن مبكرة ، لا ينبغي لهم أن يتبنوا أطفالا أنجبهم آباء كانوا أساتذة في الجامعات ، والعكس أيضاً صحيح .

والذين يشتهون أن يتبنوا البنات أكثر ممن يطلبون البنين ، لظنهم أن البنات « أيسر » . على أن الواقع أني وجدت أمر البنين أيسر ، فإنهم أكثر استقلالاً ، وأصرح بطبيعتهم على وجه العموم ، ولكنه يجب أن يفكر المرء في الطفل المتبنى على اعتبار أنه فرد لا على اعتبار أنه صبي أو بنت .

وقالت بنتي بلهجة جازمة : « إنه لا ينبغي أن يكون هناك طفل واحد ، فإن الطفل المتبنى يجب أن يكون له أخوة وأخوات يعيش معهم ويبادلهم الحب ، فضلا عن أن يكون له أبوان . وهذا يجعل حياته أوفى وأوطد »

نعم ، كل امرىء يحتاج إلى الراحة المستفادة من أن يكون له أكثر من قريب واحد في البيت ، لأنه يخشى إذا لم يكن ثم سوى قرابة واحدة ، أن تصبح العلاقة أشد استحكاماً مما ينبغي ، والآمال تعظم جداً ، وتجاوز الحد في حرارتها حين تكون منحصرة في طفل واحد ، والطفل يتحمل من أجل ذلك وقراً ، ومثله الأبوان . وينبغي دائماً أن تكون للطفل أسرة ، وقد يكون مؤدّى هذا زيادة الجهد لكسب الرزق ، وأن تكون الحياة بسيطة ، ولكن السعادة تكون أكثر ، فإن الأطفال يساعد بعضهم بعضاً ، فضلا عن مساعدة الآباء .

ووجهت إلى بنتي سؤالا آخر ، قلت : « هل أحسنتُ إذْ أخبرتك من أول الأمر أنك متبناة ؟ »

ولم تكن إلا رضيعة حين دخلت في زمرتنا ، فلما شبت عن الطوق إلى الحد الذي تصغي فيه إلى القصص قبل النوم ، رويت لها قصتها البديعة وكيف اهتديت إليها ، ولماذا اخترتها وآثرتها دون غيرها من الأطفال ، وتكررت القصة على مدار السنين .

وفى ذات ليلة ، بعد أن بلغت السابعة ، شرعت أعيد عليها القصة مرة أخرى فتثاءبت وقالت : « أعرف كل هذا ، فهاتى شيئاً جديداً » فاطمأن قلبى ، فقد صارت القصة الآن قديمة حقاً ومفروغاً منها ، وكان مما تؤمن عواقبه أن ينساها المرء كل النسيان ، فقد توثق ما بينى وبينها .

وقد قالت الآن وهى فى العشرين وعليها هيئة التى تتفكر : « إنى مسرورة لأنك أخبرتنى قبل أن أستطيع حتى أن أتذكر . وقد كنت ، وما أزال ، أسلم بأن الناس يجيئون بالأطفال ولادة أو بالتبنى ، وهذا كل ما فى الأمر ، ولكنى لو لم أكن عارفة بالحقيقة من البداية ، لكان من الممكن أن أضطرب حين أعلم »

فسألتها : « ولكن هبى أنك لم تعرفى الحقيقة أبداً ؟ » فقالت : « قد يخبرنى بها بعضهم ، وأنا أفضل أن أعرفها منك ياأمى »

لم يساورنى الخوف قط بعد تلك الليلة حين كانت فى السابعة فى عمرها ، وبعد ذلك بعامين زرتها فى مخيم صيفى ، فأقبلت على تعدو وهى تلهث :

« إنى سعيدة يا أمى بحضورك ، فهل لك أن تتحدثى إلى إحدى أترابى ؟ إنى شديدة الأسف من أجلها ، فإنها متبناة ! »

فجاهدت أن لا أبتسم وقلت : « ولكنك تعرفين ياحبيبتى أن هذا لاشىء »

فقالت فتاتى الصغيرة جادة : « ولكنها متبناة حقاً ، فليس لها أم ، وهى تعيش مع خالتها »

وكانت هذه عندى لحظة من لحظات السعادة العميقة ، فإن فتاتى لا تشعر أنها متبناة ، فإن لها أمها .

وسألتنى بنتى الصغرى ليلة وأنا ألفها فى فراشها : « هل ولدنا جميعاً نحن الأخوة والأخوات ، من سيدات مختلفات ياأمى ؟ »

فقلت بلا احتفال : « نعم » .

فقالت : « ولكن هذا لاقيمة له لأننا كلنا لنا أم واحدة هى أنت ، لاقيمة على الإطلاق » فوافقت ، وبعد دقائق نامت .

ليس ثم سوى قاعدة واحدة للإجابة عن الأسئلة : أجب بصدق . وكلما كان الطفل أصغر ، كان من الممكن الإجابة بإيجاز وبلهجة الكلام العارض دون احتفال . وفى طور المراهقة ينبغى أن تكون الإجابة أوفى مع الشرح ، وينبغى أن يعلم الطفل أن له إذا شاء أن يبحث عن أصوله . والمألوف إذا كانت العلاقة فى البيت سليمة ، ولم تحدث صدمة عند العلم بالتبنى ، أن لاتبدو من الطفل رغبة فى البحث عن أبوين مجهولين .

وأعتقد أن التبنى المبكر — بعد الميلاد على قدر الإمكان — خير أساس للسعادة

فيما بعد مع الطفل ، فإن الآباء والأطفال يحتاجون جميعاً إلى تقاسم تجربة الطفولة .

وأنا أعرف أن البعض يشعر باطمئنان أكثر إذا تبنى طفلا اجتاز الاختبار العقلى والجسمانى للسنة الأولى أو السنتين الأوليين ، ولكن الآباء يواجهون شيئاً من المخاطر سواء كان الطفل بالولادة أو التبنى . ومن الممكن أن يولد طفل به نقص عقلى أو جسمانى فى أية أسرة ، بل إن التبنى أقل تعريضاً للأخطار . أما العيوب العقلية ، فإن منها ما هو بين ، فمن السهل التفطن إليه عند الميلاد ، أما التى أخفى فقد تبقى مستورة إلى أن يبلغ الطفل سن التعلم .

إن تبنى طفل مع الجهل التام بما ورث أمر خطير ، كالزواج بسرعة وجهل من شخص ليشاطرك أبوة أولادك . وفى وسع وكالة الطفولة يعتمد عليها أن تقوم عنك بالتخير اللازم ، وهذا عمل يقوم على التعاون . فالأبوان يصفان نفسيهما ، ويصفان الطفل الذى يريدان ، ويزور بعض رجال الوكالة بيت الأبوين ، فإنه لاينبغى أن يسمح لأحد بتبنى طفل إذا كان لايستطيع أن يكفل له الامن المعقول الذى قوامه بيت ثابت من الوجهتين المالية والوجدانية ، فليس يجوز مثلا أن يستخدم الطفل « لإنقاذ » حياة زوجية قد أشفت على الانهيار .

وهل يمكن أن تكون العلاقة بين الأبوين والطفل المتبنى كما تكون بينهما وبين ابنهما بالولادة ؟ إنها يمكن أن تكون أوثق . فإن مجرد كون الأبوين يختاران الطفل المتبنى ويريدانه ، يجعل العلاقة منذ البدء قوية قويمة . وكثيراً ما يقوى الحب عن طريق الإحساس بتبعة الأبوين ، واستجابة الطفل فتصبح أقوى وأحرّ من علاقة الدم .

وإذا وقع اختيار الأبوين على طفل أسن فإن العقل هو الذى يجب أن يكون الهادى والمرشد فى إقامة العلاقة الجديدة . ويجب أن لاتكون هناك غيرة من علاقات الطفل الماضية . وعلى الأبوين الجديدين أن يتقبلا هذه العلاقات كما تبدو للطفل ، وأن يسمحا له بأن يذكرها ويتحدث عنها بحرية ، فإن محاولة قمع ذكريات الطفل لامؤدّى لها سوى تعميقها .

والطفل الكبير تكون له أيضاً عادات ثابتة ، وقد لا توافق هذه العادات جو الأسرة الجديدة . فالصبر إذن هو المنهج القويم ، فإن العادات الجديدة لا تتكون إلا حين يريد الطفل نفسه أن يكوّنها . ولا بدّ له أولاً من أن يشعر بالاطمئنان والأمن فى بيته الجديد ، وأن يثق بأنه مرغوب فيه ، وأنه محبوب ، وحينئذ ينزع من تلقاء

نفســه إلى أن يكون جزءاً من الأسرة ، وينزل عن عاداته القديمة .

وسألت بنتى عند هذه النقطة : « هل قلنا كل ماينبغى أن يقال ؟ » .

فقالت : « هناك أمر آخر ، إن ماضى الطفل المتبنى يجب أن يظل سراً بين الأبوين والطفل ، فإن للطفل حقاً فى أن تتاح له فرصة عادلة لابتداء حياته » .

وهى على حق . وقد يكون من الضرورى أحياناً — إنصافاً للطفل — أن يشرح شىء متعلق بأصل الطفل ونشأته، لمدرس مثلا ، فيساعده على الفهم والحلم ، ولكن مايروى من هذا القبيل يجب أن يظل سراً .

ومضت بنتى تقول : «بالطبع ليس الأبوان كل من هناك، فإن هناك أيضاً بقية الأسرة» .

وأسرتنا كبيرة ، وقد كانت تفكر فى الخالات والأعمام وأبناء العمومة والخؤولة وفى الجدة . وإنه ليسعدنا أنهم تلقوا أطفالنا المتبنين بحرارة ، ولكن هذا لايطرد فى كل حال . ويجب أن يصر الآباء على أن يعد أطفالهم المتبنون أعضاء أصليين فى الأسرة — كما هم فى الواقع .

وختمت بنتى كلامها بقولها : « أظن أن هذا كل شىء ياأمى » .

ولكن أباها الذى انضم إلينا كان عنده سؤال فقال : « شىء آخر . هل ترين أنت أن تتبنى أطفالا ؟ »

وكان سؤالا حسناً ، أجابت بنتنا عنه بحرارة مريحة : « بالطبع أتبنى إذا لم أرزق بالولادة أطفالاً أكثر ، أتبنى كل من أستطيع أن أعنى بهم » .

ولعل هذا فى الواقع هو كل مايمكن أن يقال .

٠٥٥٥٠٠٥٥٥٠

كنت أطوف فى ريف ولاية ألاباما فضللت طريقى ، فرأيت شيخاً كان جالساً على سياج مزرعته يمضغ الطباق، فسألته عن الطريق إلى قرية مونتجمرى، فرمى ببصره إلى الطريق وحك رأسه ، ووصف لى وصفاً معقداً طائفة من الطرق ينبغى أن أسلكها طريقاً بعد طريق .

فسرت على هديه سيراً دقيقاً ، وبعد نصف ساعة رأيتنى وأنا لا أكاد أصدق ما أرى ، واقفاً أمام الشيخ نفسه . فضقت ذرعاً بما فعل وقلت له بجفاء : « اسمع ياعمّ ، لِمَ فعلت بى مافعلت ؟ »

فقال : « الحقيقة يابنى أنى لم أشأ أن أضيع وقتى فى وصف الطريق إلى قرية مونتجمرى، حتى أستيقن من أن فى وسعك أن تسير على النهج الذى أبيّنه لك » .

حوادث من مذكرات حلال لمعضلات الجرائم .

آيات في كشف الجرائم

جو تشمبرلين

مختصرة من مجلة "ذي أميركان ليجيون"

ألقت شرطة كليفلاند القبض على عامل وقع فى ظنهم أنه ضرب زوجته ضرباً أفضى إلى موتها . ولم يكن عندهم شهود عيان ، وأبى العامل أن يعترف ، فجاءه داڤيد كاولز رئيس معمل البحث العملي للكشف عن الجرائم ، ووجه إليه أسئلة متعدّدة ، فتبين أنه رجل على حظ يسير من الذكاء فقال له :

« إذا كنت أنت القاتل ، فدَمُ زوجتك لايزال على يديك ، ولن يدخل فى طوقك أن تغسله أو تزيله » . وصبّ على يد الرجل محلولا قلوياً ، ثم أضاف كاشفاً قلوياً أحال المحلول الأول أحمر قانياً كلون دَم البشر ، فاعترف الرجل بالجريمة

وبمثل هذه الوسائل التى تجمع بين العلم ومعرفة طوايا النفوس استطاع كاولز أن يحلّ مئات من الجرائم الغريبة . وهذان مثالان من حوادث حدثت :

المرأة التي ماتت مرتين

ندب أحد ضبّاط المباحث إلى بحث جريمة قتل، فلقيه عند الباب رجل ساكن النفس ، فقاده إلى حجرة النوم ، وفتح بابها الموصد ، وقال إنه أوصده حتى يبقى كلّ شيء فى الحجرة فى مكانه .

وكانت زوجته ملقاة على عرض السرير فى ملابسها ، وقد اخترقت قلبها رصاصة . وكانت يمناها ممدودة كأنها تحيّ بها .

فسأله الضابط : « أين المسدس ؟ »

فقال الرجل : « لم أر مسدساً » .

فرأى الضابط أن فى الأمر غرابة . فالنوافذ مقفلة ، ولم يشاهد أحد خارجا من البيت . وروى الجيران أن الزوجين قد تشاجرا ، فاتهم الزوج بالقتل .

وحين وصل كاولز فحص الحجرة، وكان فيها سرير وخزانة وصندوق بجانب الجدار . ووراءه وعلى عشر أقدام من الجثة وجد كاولز المسدس المفقود ، وقد أطلقت منه رصاصتان . فكيف وصل إلى هذا المكان؟

وقد دهش كاولز حين تبين أن الجرح جرح رصاصة واحدة، على حين أخرجت من الجثة رصاصتان . فبدا كأن التهمة سوف

تثبت على الزوج . فكيف يطلق المرء رصاصتين على قلبه، ثم يهرع فيخفي المسدس.

وقد لاحظ كاولز أن الرصاصتين مختلفتان شكلا ، فواحدة مسطحة الرأس كأنها صدمت جسما صلباً عاقها . وتبين اختلافا أيضاً في الظرفين الفارغين ، فقد كان ظرف الرصاصة الثانية منفتحاً ، فدل ذلك على أنها قد ضغطت ضغطاً قويا .

فجمع كاولز بين هذه الدلائل ، وخطر له خاطر . فمرّ بإصبعه على قناة المسدس ، فوجدها منتفخة عند منتصفها ، ثم وضع رأس الرصاصة المسطّح على مؤخر الرصاصة الأخرى ، فكانت المطابقة تامة .

فاتضح له السرّ .

أطلقت الرصاصة الأولى قبل الحادث بزمن طويل فاستقرت في قناة المسدس لفساد في البارود، أو لصدأ في باطن القناة . فلما شدّت المرأة الزناد ، دفعت الرصاصة الثانية الرصاصة الأولى ، فانطلقتا كأنهما رصاصة واحدة ، فاخترقتا قلبها . وارتدت بعض الغازات المتفجرة من أثر الرصاصة المستقرة ، فأحدثت انتفاخا في الظرف ، وقذفت المسدس من يدها إلى حيث وجد وراء الصندوق ، ودلت اليد الممدودة على صحة ذلك الرأي . وكذلك برئ الزوج ، إذ كان هذا انتحاراً لا جريمة قتل .

الملابس تشي بالرجل

أمسى حارس الليل، في دار للأعمال ، بالمسدس في ظهره . وهجم عليه رجال فأوثقوه وكمموه وعصبوا عينيه . ثم نسفوا خزائن الجواهر ونهبوا الماس والزمرد والياقوت والذهب .

فلما وصل كاولز في الصباح ، أخذ نماذج من شظايا الأشياء التي حطمها اللصوص — المواد التي تقي من غوائل النار، وخشب الساج الصلب الذي بطنت به الخزائن . وصنع قالب جص لأثر قدم كان واضحاً على سقف بناء مجاور، حيث حطمت النافذة وفتحت .

وبعد أسابيع أبلغ الشرطة أن هناك رجلين يسرفان إسرافا فيما ينفقانه من مال في أحد الملاهي الفاخرة ، فاعتقلوا أحدهما لارتيابهم فيه . ووضع كاولز ملابسه تحت عين المجهر ، فوجد شظايا دقيقة من خشب الساج في ثنايا سراويله . ودلّ المجهر أيضاً على أن التراب المستقر في الثنايا مركب من المواد التي تصنع منها أدوات الوقاية من الحريق . ثم استطاعوا أن يقبضوا على زميله في ملهى ليلي ، وكان مشهوراً بفتح الخزائن الموصدة . فقورن أحد حذائه بقالب الجص ، فكانت المطابقة تامة . وكان هذا شاهداً صامتاً ، حين عزّ شهود العيان

خلق معلماً

هيرام هايدن

كل امرىء يسميه « تافى » . وقد حدث أن والدى تلميذ كانا غائبين لما دخل ابنهما مدرسة « تافى » ، فلما عادا وذهبا ليريا هذه المدرسة قدمها التلميذ وهو مزهو إلى المعلمين : « هذا هو المستر واطسون . وهذه المس جراهام . وهذا ناظرنا المستر — تافى » . واضطرم وجهه ، فما استطاع أن يتذكر اسم الناظر ، بل إنه لم يسمع اسمه قط منذ يوم افتتاح المدرسة .

وكان نفوذ « تافى » فى هذه المدرسة الخاصة للبنين ، غير مفهوم منا نحن الثلاثة الحديثى العهد بالتعليم ، ولم نكن نستطيع أن نفهم كيف يضبط أمرهم « بالكلام » . وكان لا يبدو عليه قط أن مسألة النظام تشغله ، على حين اننا ما اشتغلنا إلى الآن بتعليم شىء غير النظام . وحتى فى هذا البرنامج المحدود لم أوفق أنا إلى نجاح محسوس . وفى نهاية الشهور الثلاثة الأولى حملت تلميذاً صغيراً جريئاً بيدى حملاً ودخلت به على « تافى » وقلت : « خذه قبل أن أقتله » ، وكانت نيتى أن أستقيل فى ذلك المساء ، ولكن بعد نصف ساعة عاد هذا الغلام وهو هادىء مؤدب مستعد للتعاون ، فغيرت رأيى . ولما سألت « تافى » عما حدث قال وعينه تلمع : « لقد تحادثنا » .

وكان نفوذه هادئاً حتى لكان يندر أن يتاح لنا أن نرى كيف يصل إلى غاياته . وأخيراً سألته صراحة ، فقال :

« إن القاعدة الأولى أن لا تسمح لأزمة أن تنشأ ، لأن السيطرة على الموقف على وجه مرض تصبح أصعب ، إذا هو بلغ مرحلة تستدعى توقيع العقاب . فلا تضع التلميذ أبداً فى مركز يستطيع فيه أن يتحدى

اشتغل هيرام هايدن بالتدريس عدة سنوات ، ثم صار أستاذاً فى جامعة نورث كارولينا . وهو الآن رئيس تحرير « ذى أمريكان سكولار » ، وقد ألف عدة كتب من بينها روايتان « حر بالطبيعة » و « اجازة فى مانهاتان » .

أوامرك ، أو تضطر فيه أنت إذا قال كذباً أن تكشف عن كذبه . ولا تسأل هل ارتكب خطأ ، حين تكون واثقاً أنه فعل ، لأنك بهذا تغريه بالكذب لينجو » .

وكان هذا جلياً وعملياً ومعقولا . فقلت: « ولكني لا أزال عاجزاً عن أن أفهم كيف تستطيع أن ترى المتاعب وهى تختمر » .

فقال تافى : « إن عليك أن تعرف تلميذك ، والمتاعب تلوح دائماً قبل أن تقع بزمن طويل ، وما من تلميذ متزن يقع منه عصيان بدون إنذار . ولما كانت المدرسة صغيرة ، فهناك فرصة لدرس تلاميذنا » .

وكان « تافى » يكلفنا أن نضع تقارير كل ستة أسابيع عن كل تلميذ من عشرة أو اثنى عشر تلميذاً ، نبين فيه شخصيته — قدرته على الابتكار ، واستعداده للتكيف ، وإلى أى حد يوثق به ، وغير ذلك من الصفات . فإذا كان الآباء بعد قراءة التقارير عن أبنائهم الذين يحتاجون إلى التعهد والعلاج ، لا يبدون عناية بما ينهون إليه ، فإن « تافى » يبين لهم بلباقة ، ولكن بإخلاص ، مايوشك أن يحدث من السوء ، وكيف يستطيعون أن يعاونوا على اتقائه ، فكان التعاون الناتج عن هذا بين التلاميذ والمعلمين والآباء رائعاً .

وكانت لجنة ما من التلاميذ تعقد ظهر كل يوم عند الغداء مع « تافى » أو أحد المعلمين لوضع البرامج ووجوه النشاط ، وكانت إحدى هذه اللجان تسمى اللجنة التنفيذية ، وكان اسمها فى الحقيقة ستاراً للجنة « تافى » لعلاج مثيرى المتاعب . وكانت أى جائزة تمنحها المدرسة دون عضوية هذه اللجنة . ومتى دخل التلميذ فيها فقد صار من ذوى الشأن ، وصار يعمل مع « تافى » ليكفل لكل تلميذ التشجيع اللازم والفرصة التى يحتاج إليها لمعرفة نفسه . ولم يخن عضو واحد من أعضاء هذه اللجنة الأمانة التى فى عنقه ، وهى أن يكتم المسائل التى يدور فيها البحث .

ولم يكن « تافى » شرساً ، بل كان على العكس أرق رجل عرفته ، ولكنها كانت رقة من ذلك الضرب الذى تثمره القوة الحقيقية ، وكان يكلف نفسه ويكلف كل امرىء غيره شططا ، فقد كان يطلب من كل فرد فى المدرسة أن يعمل إلى آخر حدود طاقته ، وأن يهتدى إلى خير مافى نفسه ، وأن يظل محتفظاً به .

وكانت النظرة الأولى لا تكشف عن شىء غير مألوف فيه . وكان قصيراً أنيقاً بادى الذكاء ، ولم يكن فيه شىء غير مألوف غير بياض فى شعره الذى عجل عليه الشيب ، فإذا ازددت معرفة به زدت شعوراً بالحرارة

والفكاهة فى عينيه ، والقوة التى فى يديه الجميلتين اللتين لا تضطربان أبداً أو تكثران من الإشارة ، وامتلاء صوته العميق . فإذا مضى عليك عام وأنت تعمل معه ، فإنه لايسعك إلا أن تتعجب لمثل هذا الرجل الذى يقنع بالبقاء ناظراً لمدرسة صغيرة مجاهدة فى دار ضئيلة ، لأنك تصبح على يقين من أنه يسعه أن يختار لنفسه وظيفة ناظر فى أى مدرسة شاء ، وتتعجب له أيضاً من أين جاء — متسائلا عن أخلاقه العجيبة لا عن مسقط رأسه . وكان قليل الكلام عن نفسه ، ولكنى استطعت شيئاً فشيئاً أن أجمع خيوط القصة .

لما عاد هنرى مورتمر من فرنسا وسرح من جيش الولايات المتحدة فى سنة ١٩١٩ ، اتجه إلى مدرسة للفنون ، وكان فى أيام صباه يتلهف عن قلم للرسم وفرشة للتصوير ، فالآن وقد ناهز العشرين ، صار معه المال اللازم ، وتهيأت له الفرصة لتعلم مايريد .

وقضى ستة شهور يدرس فى شيكاغو . وكان من الجلى لمعلميه أن أمام هذا الشاب مستقبلا فنياً باهراً ، ولما عاد إلى مسقط رأسه لزيارة أبويه فى أجازة الربيع كان فاتر الحماسة لعمله .

ومر فى أوبته بعمه فى كليفلاند ، وكان عمه قد فتح مدرسة للبنين ، وكان عمله هذا من وحى لحظة ، ولكن أثره بقى طول الحياة .

وقد ألفى المدرسة على حال من العجز محزنة ، فقد كان فيها أربعة معلمين ، تركها أحدهم من أجل وظيفة أخرى ، وذهب ثان إلى المستشفى ، فحرمته المدرسة بقية العام الدراسى . وكان عمه يحاول أن يؤدى عمل ثلاثة ، وكان من الجلى أنه منهوك .

وتلفت هنرى حوله . لقد كان فى جو هذه المدرسة شىء يستوقف النظر ويحرك النفس ، وكان هذا ملحوظاً فى المدرسين الباقين ، ومتجسداً فى التلاميذ ، وكانت نظرتهم إلى مدرستهم خلاف نظرته هو إلى مدرسته ، فقد كانوا يدفعون دفعاً إلى بيوتهم فى آخر النهار . وكان هذا الشىء يلتمع أيضاً فى عين عمه .

وأدرك فجأة أنه يتنفس الهواء المنعش الذى وجده فى مدرسة الفنون ، سوى أن الأدوات هنا ليست القلم أو الفرشة ، بل العقل والقلب . والأداة ليست هى الألوان واللوح ، بل الحياة الإنسانية .

وقال لعمه : «إن الإعياء قد تحلل بك ، فدعنى أتولى أمر فصولك بعد الظهر . وقد لايتعلم التلاميذ شيئاً كثيراً من الجغرافية ، ولكنى أظن أننا سنمضى فى سبيلنا »

ومضوا في سبيلهم . وفي تلك الليلة قال لعمه فجأة في شقته : « إذا قبلت أن أعمل معك فسأبقى » .

ولم يكن الأمر بهذه السهولة ، فقد ظل أسابيع تمر به أوقات يحن فيها إلى التصوير، ويشعر أنه ارتكب خطأ فاحشاً . ولكن الأسابيع امتدت إلى شهور ، والشهور إلى أعوام، ثم قابل في حفلة عشاء فتاة إرلندية زرقاء العينين مشرقة الديباجة، فصار القرار لارجعة فيه .

وتزوج هيلين جلاجر ولما جئت إلى المدرسة كان ابنها في الشهر السادس من عمره ، وكانوا يعيشون في بيت صغير قريب من المدرسة التي كانت قد ازدهرت إلى حد يسوغ نقلها إلى ضاحية فيها الحقول المنبسطة وهواء الريف . وكان عمه قد اعتزل العمل وتولى هنرى مورتمر أمر المدرسة الأولية (من سن السادسة إلى الحادية عشرة) ، وصار هنرى مورتمر معروفاً باسم « تافى » .

وبدأت أفطن على الأيام إلى المبادىء التي أنجحت « تافى » مع التلاميذ . فقد كان أولا يحب التلاميذ حباً صريحاً ومن أعماق قلبه، ولما كان يحبهم فهو يؤمن بهم . وقد رأيته تقبل أطفالا يئس منهم آباؤهم وأصدقاؤهم والأطباء النفسانيون ، وهو مطمئن واثق في هدوء . وكان يقول : « إنهم لم يتولوا أمرهم على الوجه الصحيح » .

وكان يوفق إلى الحل الصحيح . فإذا كان التلميذ بيل جراهام كسولا ولايقدّر التبعة . فإن « تافى » يضع التبعة على عاتقه ، مثال ذلك أن يكل إليه « اجتماع الطلبة » التالى ، وينصرف كأنما لاشك في أن الأمر سيكون على مايرام . وإذا كان « دان بيلنجز» أضحوكة يسخر منه كل إنسان، فإن « تافى » يدعوه إليه ويكلفه أن يتولى رياسة لجنة الاستقبال التي تقوم بمرافقة الضيوف في طوافهم بالمدرسة .

ويتفق أحيانا ، بطبيعة الحال ، أن يدخل المدرسة تلميذ متعب حقاً يكلف « تافى » نفسه شططاً في إصلاحه . ومن هؤلاء صبي اسمه دوجلاس هول في العاشرة ، مات أبوه ودوجلاس رضيع ، وراحت أمه تجيبه إلى كل ماينزو في رأسه . وكان دوجلاس لا يعرف الخوف ، ولا التبعة الاجتماعية . وقد حدث ذات يوم وهو يعبث أن نفذت ذراعه من زجاج نافذة فانشق الجلد من الرسغ إلى الكوع ، فلم يعبأ شيئاً بالدم المنبثق من الجرح المفتوح ، وأقبل عليّ يقول في هدوء : « أظن أنه ينبغي أن يصنع شيء لهذا » .

ولما كان « تافى » يدرك أن الأساليب المعتادة لاخير فيها مع دوجلاس ، فقد ظل وقتاً طويلا لا يصنع شيئاً سوى توثيق روابط الصداقة مع هذا الصبي. وقد اهتدى إلى مايعنى به دوجلاس ، وشاطره هذه العناية ، وأغضى عن المخالفات التي كان في العادة يعالجها بحزم .

وكنا نظن أن « تافى » لم ينجح فيما أراد، ولكنه لم يسعنا إلا أن نعترف بأن دوجلاس يحبه ويحترمه كما لم يحب أو يحترم أحداً سواه، وظلت الحال على هذا المنوال عدة شهور . ثم كانت الصدمة ، فقد بدأ دوجلاس يبالغ في شعوره بنفسه ، ويشغب على التلاميذ علانية ، وبدا لنا كأن « تافى » سيخفق لامحالة آخر الأمر .

ولكن قابلت دوجلاس ذات يوم مقبلاً في الردهة وهو يبكى ، فحدقت فيه غير مصدق . دوجلاس يبكى ؟ ! وقضيت عشر دقائق في إقناعه بأن يذكر لى السبب ، ولكنه ذكره لى أخيراً وقال وهو لايكاد يبين : « لقد طردت من الفصل وأرسلت إلى « تافى » ، فقال لى : أن أمله خاب فيّ . وقال: إنه مامن صديق يخذل صديقه كما فعلت أنا » .

وانفرجت الأزمة بعد معركة طويلة ، وأدركت بغتة مبلغ بطولة « تافى » في صبره وحلمه .

ولما قابلت « تافى » بعد ذلك بساعة ، ورأيت ماهو فيه من التعب والكلال، عرفت ما تكلف من الجهد المضنى في القيام بما أخذه على عاتقه من أن يصوغ نفوس هؤلاء الصغار صوغاً جديداً .

ولم يكن يعادل حبه للتلاميذ وإيمانه بهم إلاحبه للتعلم وإيمانه به وحماسته له ، وكان هذا بيّناً في كل دروسه. فبإرشاده وتوجيهه صار تلاميذ الفصلين الخامس والسادس يجدون في دروس الجغرافية والتاريخ تلك المتعة الساحرة التي يجدها الأولاد عادة في الكتب الفكاهية وفى برامج الإذاعة التى يعترض عليها الآباء .

وكانت طريقة « تافى » فى تدريس التاريخ مثلا أن يجعل كل تلميذ في الفصل حاكما على بلد من البلاد . فيظل التلاميذ عدة أسابيع يجمعون بمساعدة « تافى » المعلومات عن بلادهم ، وكان يجد أن مكتبة المدرسة غير كافية ، فيقضى أيام السبت في المكتبة العامة، فيرتد وهو فيها إلى حياة إنجلترا أو فرنسا أو إسبانيا فى القرن السابع عشر .

ثم تجيء الخاتمة ، فيتكهرب جو الفصل ،

ويكون على كل تلميذ أن يجيب بإسهاب عن كل سؤال فى الموضوع عن بلاده يستطيع أن يلقيه عليه التلاميذ الآخرون و« تافى » ، وما أقدرهم على توجيه الأسئلة الصعبة ! وأتذكر تلميذاً عمره عشر سنوات كان المفروض أنه ملك فرنسا وقد وقف أربعين دقيقة يدلى بجواب بعد جواب عن المحصولات، والمحيات الأجنبية والحكومة، فى يسر دون أن يزعجه أنه ارتد ٢٥٠ سنة ، وكان يبدأ دائماً بقوله : « لقد عالجنا هذا الأمر على النحو الآتى . . . »

وقد تكشف جانب من أسلوب « تافى » السحرى فى هذه الفصول ، فإننا نحن الذين كان علينا أن نعلم التلاميذ ، أو الذين علموهم ، كنا نطلب مايكاد يدخل فى باب المستحيل ، وهو أن نكون نحن والتلاميذ شيئاً واحداً ، فنألف لغتهم وعالمهم ، ولكن دون أن نهبط إلى مستواهم من الفجاجة وعدم النضج ، وبذلك نتخلى عن اليد المرشدة التى توجه نشاطهم . وكل المعلمين الحاذقين يعالجون أن ينصبوا هذا الميزان ، و« تافى » هو الوحيد الذى رأيته يحافظ عليه دون فلتة أو زلة من أى نوع . وكان فى دروس التاريخ ، كأنه واحد منهم على نحو طبيعى لا تكلف فيه — متحمساً متحفزاً كأى تلميذ منهم . على أنه ما كان يحتاج إلا أن يقول : « هل أنت واثق من هذا يافلان؟ » ، ليسود الجمع صمت التفكير والالتفات .

وكانت « ألعاب » الجغرافية تزاول عادة عند الغداء ، وكانت تستغرق المتنافسين ، حتى أنهم كثيراً ما كانوا ينسون أن يطلبوا نصيباً ثانياً من الفاكهة . وفى أحد الأعوام نزل بعض صغار التلاميذ عن فترة اللعب بعد الظهر . بضعة شهور ، ليصنعوا خريطة بارزة من الإسمنت لأمريكا الشمالية فى فناء المدرسة . وما كان من الممكن أن يخرج تلميذ من دروس «تافى» فى الجغرافية بعد عام أوعامين بغيرعلم غزير بالحدود والموارد الطبيعية ووجوه الأرض ، إلا أن يكون قَدْماً غبياً .

وكنا إذا حاولنا أن نثنى على « تافى » وتدريسه ، يكتفى بأن يقول : « شكراً ، هل علمتم أن فلاناً يقوم بعمل عظيم فى تدريس العلوم العامة ؟ » أو يقول : « أليست فلانة موفقة غاية التوفيق فى حمل الأطفال على تزيين المكتبة بصور من الكتب التى يحبونها ؟ » ثم نعلم من فلان أو فلانة فيما بعد كيف نشأ «العمل العظيم» ، أو من أين جاءت الفكرة التى وُفِّق فى إخراجها — فى حديث مع « تافى » .

وكانت لحماسة « تافى » فى عمله عدواها ،

فنشت فى المدرسة ، وصرنا لانستقر إذا بعدنا عن المدرسة ، وشرعنا نعود إليها بعد العشاء للتدبير والبحث ، وكانت النتيجة أن صارت تعقد اجتماعات غير رسمية ليلة بعد ليلة تتداول فيها الآراء فى التلاميذ ، وفى الوسائل ، وفى المشروعات .

وقد تفرّق الآن الذين كانوا يعملون فى هذه المدرسة وتشتتوا ، ولكننا لم ننس « تافى » ، كما لم ينسه تلاميذه القدماء ، فقد نفعنا كما نفعهم . فإنه لما علمنا كيف نهتدى إلى خير ما فى التلاميذ ونبرزه ، علمنا فى الوقت نفسه كيف نعرف نفوسنا ونبرز خير مافيها .

وقد تلقى «تافى» عروضاً مغرية كثيرة بأن يتولى إدارة مدارس أخرى بمرتبات أكبر ، وقد سألته عن السبب فى رفض عرض من هذا القبيل، فبدا عليه الارتباك.

وقال وهو أقرب مايكون إلى الغضب : « لا أستطيع أن أترك هذا المكان . إنه مكانى » .

وهذا ما كان . وقد كان يعنى أنه يشعر بأن عليه عهداً وثيقاً لعمله ، وستظل هذه المدرسة دون غيرها مدرسته دائماً . على أن ما قاله كان صحيحاً بمعنى أعم ، فإن كل إنسان يكون فى موضعه متى وجد أنه يستطيع فيه أن يستخدم مواهبه إلى أقصى مدى ، ومتى وسعه أن يجعل كل يوم مثيراً ومفيداً له ولمن يعملون معه .

وإذا كنت أكتب عنه كأن عمله قد انتهى، فذلك لأن كل مايدور فى نفسى عنه مرتبط أوضح ارتباط بأيام المدرسة فى تلك الدار الصغيرة . على أن الواقع أن المدرسة اتسعت ، ولا تزال قائمة ، ومازال «تافى» ناظراً لفصولها الأولية ، وقد عُرضت عليه نظارة المدرسة كلها فأباها وقال : « إنى لا أحسن العمل إلا مع الأولاد الصغار » .

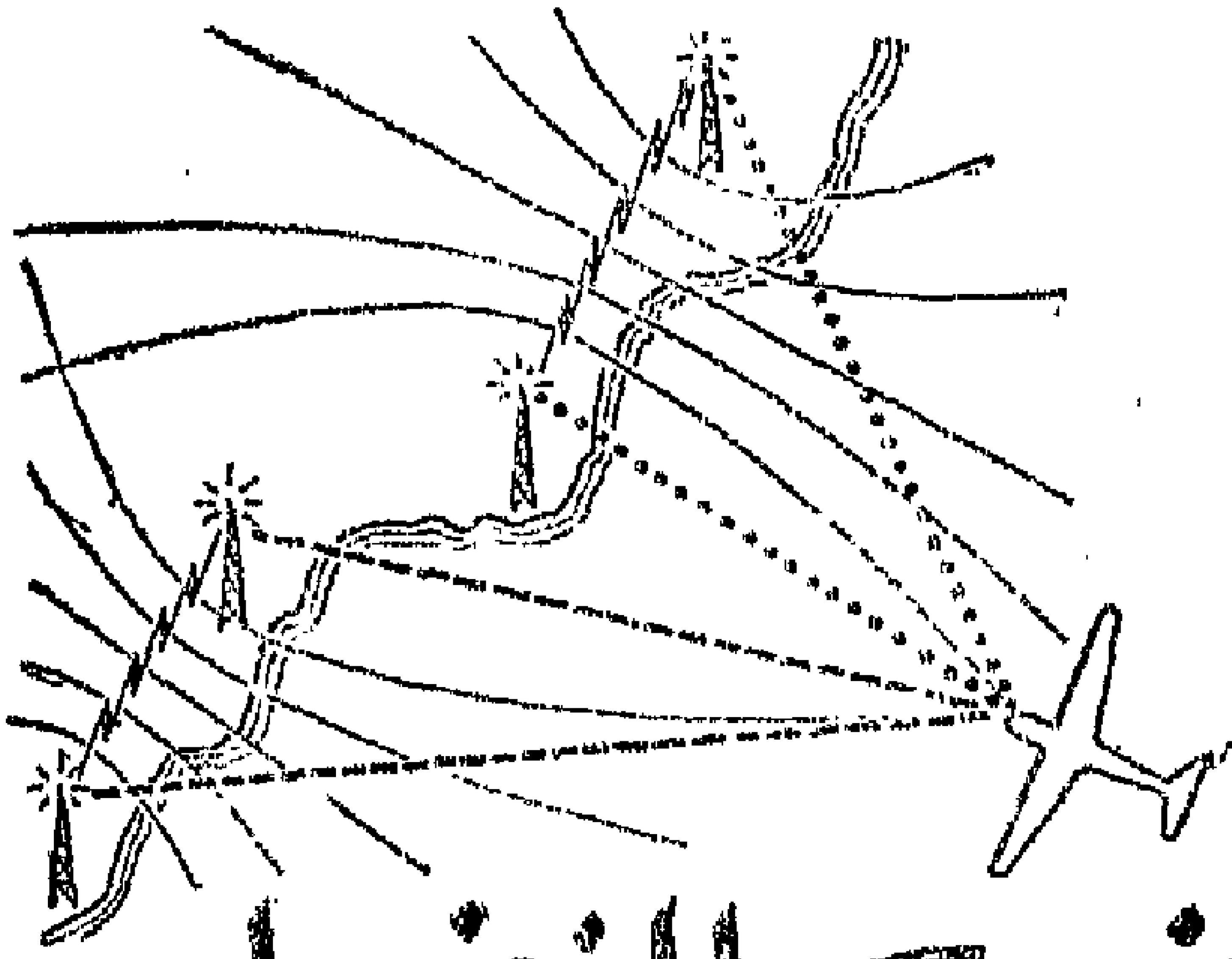
وقد ذهبت الدار الصغيرة ، وصار الصغار يسكنون فى بناء كبير من الآجر الأحمر مع الكبار، وزاد عدد التلاميذ والمعلمين ، وتغير كل شيء — إلا « تافى » .

وقد حاولت فى آخر مرة رأيته فيها أن أحمله على الإفضاء برأيه فيما حدث من التغييرات فى المدرسة ، وهل لا يزال مغتبطاً بعمله فى البيئة الجديدة ؟ ولكنه لم يشأ أن يتحدث عن نفسه .

وقال وقد التمعت عينه بالنور القديم المعهود : « اسمع ! إنى أريد أن تقابل ديك برايس المدرس الجديد للأشغال اليدوية . لقد أغرى التلاميذ بمعالجة مشروع عظيم . وإن له لأفكاراً بديعة ! »



وجد رجال الملاحة فى السفن والطرق طريقة جديدة ترشدهم إلى سواء السبيل .



طرق ممهدة فى عرض الفضاء

هارلند مانشستر . . . مختصرة من مجلة "سيونتفيك أمريكان"

أقلعت طائرتنا من مطار قريب من نيويورك ، ولم تكد حتى احتواها السحاب ، وتعذرت رؤية اليابسة . وكنا ميممين شطر مطار فى الشمال يبعد أربعمئة ميل ، وليس بين أيدينا من مرشد سوى علامات خضر متراقصة على لوحة من زجاج فى صندوق أسود صغير ، وقد أمر قائد الطائرة أن لا يلقى باله إلى شئ سوى هذا .

وعلى مائدة الملاح فى جوف الطائرة ، أطلعنى الكوماندر ريد على ضرب جديد من الخرائط تبين الطرق الممهدة فى الفضاء . والخريطة تغطيها خطوط متقاطعة ، ولكل منها رقم يميزها . ولم تكن هذه الخطوط ما ألفنا أن نتصوره من خطوط الطول والعرض ، بل كان خطوطاً حقيقية رسمتها فى رحاب الهواء ذبذبات الراديو . ومن الصندوق الأسود الصغير ، كانت تمتد أصابع من الكهيربات المنطلقة فى الفضاء تبحث عن هذه الخطوط ، وأما العلامات الخضر المتراقصة فكانت تبين الأرقام التى تميز هذه الخطوط وتكشفها للقائد .

وأخذ ريد قلمه وأدناه من الخريطة وقال : « نحن طائرون الآن على هذا الخط ، فإذا ما بلغنا هذا التقاطع انحرفنا يساراً ، وتابعنا هذا الخط إلى المطار » .

وكذلك مضينا فى طيراننا فوق ذلك الخط ، كأنما نحن فى سيارة تدرج على طريق فسيح ، وقد عقد سائقها نيته على أن ينحرف إلى طريق آخر حين يصل إلى نقطة معينة . ثم ما لبث ريد أن حرك بعض المفاتيح ، فظهر أمامه على اللوحة خطان دقيقان منحنيان من الضياء ، ثم جعل أحدهما يدنو من الآخر .

قال : « حين ينطبق أحدهما على الآخر

نكون قد بلغنا تقاطع الطريقين » .

ثم تطابقا ، فأمر ريد قائد الطائرة أن ينحرف . ولم تكد تنقضى بضع دقائق حتى هبطنا خلال الضباب الكثيف حتى صرنا على ٥٠٠ قدم فوق سطح الأرض ، وإذا المطار أمامنا ، فقد قطعنا مئة وخمسين ميلا فى طرق خفيّة فى ضباب كثيف ، فلم نخطىء مدرج الطائرات فى المطار بأكثر من مئة ذراع .

هذا هو « لوران »* اختراع من أعظم المخترعات التى تمت لعلماء الطبيعة فى أمريكا فى أثناء الحرب . فقبل أن يخترعوا « لوران » كان رجال الملاحة فى السفن والطائرات التى تعبر المحيط ، يعتمدون على رصد الشمس أو النجوم ، ثم يحسبون حساب موقعهم على الطريقة التى عهدت منذ قديم الزمان . وقد كان ذلك يستغرق زمناً طويلا لا يوافق ما تحتاج إليه الطائرات السريعة . فإذا أطبق الجو وحجبت نجوم السماء ، عجز الملاحون عن الاستعانة بها ، فيبذر الوقود تبذيراً ، وتتعرض الطائرات للخطر ، ويظل نطاق الطيران محدوداً . وقد انتفع الطيارون بأشعة الراديو ، وبرادار ، وبغيرها من الأساليب التى تعينهم على تعيين مواقع طائراتهم ، ولكن ليس بينها جميعاً وسيلة كهربية اجتمع لها ما اجتمع لوسيلة « لوران » من بعد المدى ، والإحكام ، ودقة الاعتماد عليها ، فإن « لوران » ينبىء الملاح بموقعه تماماً فى ثلاث دقائق أو أقل ، وهو نافع فى كلّ ساعة من ساعات النهار والليل ، مهما تكن حالة الجو .

كان لوران منذ عشر سنوات أمراً مستحيلا من الناحية الفنية ، ولو تمّ منذ خمس سنوات لعدّ أمراً خارقاً . ومع ذلك فقد استعانت به قبل أن تضع الحرب أوزارها ثلاثة آلاف سفينة وثلاثون ألف طائرة ، فسارت على شبكة الطرق العظيمة التى خطتها أمواج الراديو فى الفضاء . أما اليوم فإن شبكة هذه الخطوط تشمل ما مساحته ٤٠ مليون ميل مربع فى فضاء المحيطين الهادىء والأطلسى . وقد أقبلت السفن التجارية وطائرات الركاب الضخمة ، على الانتفاع بلوران إقبالا حثيثاً . فالسفينتان الكبيرتان « كوين مارى » و « كوين إليزابث » تعتمدان عليه وتنتفعان به ، وكذلك طائرات الخطوط الجوية الأمريكية والهولندية وغيرها .

ومبدأ لوران يمكن بسطه على أيسر وجه . فهو يختلف عن رادار فى أنه يعتمد على

(*) Loran مركبة من الحروف الأولى من عبارة Long Range Navigation أى الملاحة البعيدة المدى .

أشعة لاسلكية طويلة الأمواج ، تلازم فى سيرها سطح الأرض ، بدلا من أن تنطلق فى الفضاء حين تبلغ الأفق ، كما تفعل الأشعة القصيرة الأمواج . ومدى الانتفاع برادار لا يزيد على ٣٥٠ ميلا ، وأما مدى الانتفاع بلوران فيبلغ ٨٠٠ ميل فى النهار و ١٦٠٠ ميل فى الليل . والمحطات المرسلة تعمل أزواجاً لا فرادى . غطّس سبابتيك فى الماء واجعل بينهما بضع بوصات ، فتحدث كلٌّ من السبابتين أمواجاً تأخذ فى الاتساع ، ثم تلتقى الجماعتان من الأمواج ، فالنقط التى تتقاطع فيها الأمواج تبقى مستقرة حيث هى . والأمواج التى ترسلها محطات لوران ، تفعل كما تفعل أمواج الماء ، والطرق الممهدة فى الجو للطائرات ، هى خطوط تصل بين النقط المستقرة التى تتقاطع فيها الأمواج .

وكل زوج من محطات لوران ، مؤلف من « سيّد » و « مَسُود » ، بينهما ٣٠٠ ميل أو ٤٠٠ ميل . فالمحطة « السيّد » تطلق نبضات من طاقة الراديو ، لا يزيد طولها على ٤٠ جزءاً من مليون جزء من الثانية ، وأما المحطة « المسود » فتتأثر بالطاقة المنطلقة من الأولى ، فتطلق هى أمواجها بعد جزء معلوم من الثانية . والنبضات المنطلقة تسجّل علامات خضراً متراقصة على اللوحة ، وكلٌّ منها يدلُّ على محطة غير المحطة الأخرى .

لم نكد نستوى فى الجوّ بعد قيامنا من المطار حتى تخيَّر الكوماندر ريد زوجاً من محطات لوران بينهما مسافة بعيدة . واستعان بجهاز أمامه فقدر الفرق بين الإشارتين الصادرتين منهما — فإذا هو ٣٨٧٨ جزءاً من مليون جزء من الثانية . وكان أقرب الطرق الممهدة فى الجو على خريطة لوران ، إلى تقاطع أمواج هاتين المحطتين ، هو الطريق المرقوم ٣٨٨٠ . وكانت طائرتنا قربه وإلى الشمال منه . ثم تخير ريد زوجاً آخر من المحطات ، يقطع خطها الطريق ٣٨٨٠ ، فصار فى وسعه أن يحدد موقعنا تحديداً دقيقاً . وقد استغرق كلُّ ذلك أقل من دقيقة .

والذى يجعل الانتفاع « بلوران » أمراً مستطاعاً ، هو الدقة العجيبة فى جهاز التوقيت . فهو جهاز يقسم الثانية الواحدة مليون جزء ، ويتصل به جهاز آخر يحول هذه الأجزاء الدقيقة من الزمن رموزاً ترى بالعين ، ويستطيع كلٌّ من درّب عليها أن يفهم معناها . وقد بلغ من دقته أن الطيارين المتجهين إلى سان فرنسسكو فوق المحيط الهادىء ، كانوا يعلمون أنهم إذا ساروا على طريق لوران المرقوم ٢٠٥٥ فإنهم يمرون

فوق الطرف الشمالى لجسر الباب الذهبى الممدود فوق خليج سان فرنسسكو ، وإذا سلكوا الطريق المرقوم ٢٠٧٥ مرّوا فوق الجسر نفسه عند طرفه الجنوبى .

من طرق لوران طريق شاع استعماله فى الحرب ، كان ممتداً بين قاعدة الطائرات فى جزائر ماريانا وطوكيو ، والمسافة بينهما ١٤٠٠ ميل . وكانت القلاع الطائرة الضخمة تسلكه ذهاباً وإياباً فى الهجوم الجوى على العاصمة اليابانية . ولما صار لهذه القاذفات خط محدود تسير عليه ، صار فى وسعها أن تستغنى عن مقدار البنزين الذى تتخذه للطوارىء إن ضلت السبيل ، فتمكنت من أن تضيف بدلا منه ما زنته طن ونصف طن زيادة على ما تحمله من القنابل . وكانت حاملات الطائرات فى معركة أوكيناوى تعتمد على هذه العلامات الخضر المتراقصة ، فى توجيه المطاردات العائدة إليها ، فلا تضلّ طريقها فى الجو المعتكر . وقد أنشئت طائفة من محطات لوران لكى ترشد الطائرات التى كانت تطير فوق جبال هملايا بين برما والصين .

وقد عرف « لوران » فى نوفمبر ١٩٤٠ يوم قررت اللجنة التى أنشئت للبحث العلمى فى شئون الدفاع ، أن تجرّب رأياً رآه الدكتور ألفريد لوميس . وأنشئت أربع محطات بين ولاية ديلاوار وجزيرة جرينلند فى خريف سنة ١٩٤٢ ، فأصابت فى الحال نجاحاً باهراً . ونظم الأسطول من فوره مناهج لتدريب رجاله على دقائق هذا الأسلوب . وكان ر . ج . ديبى فى إنجلترا قد شرع على حدة يبحث أسلوباً من هذا القبيل ، فانتفع العلماء الأمريكيون بتجربة الباحث الإنجليزى .

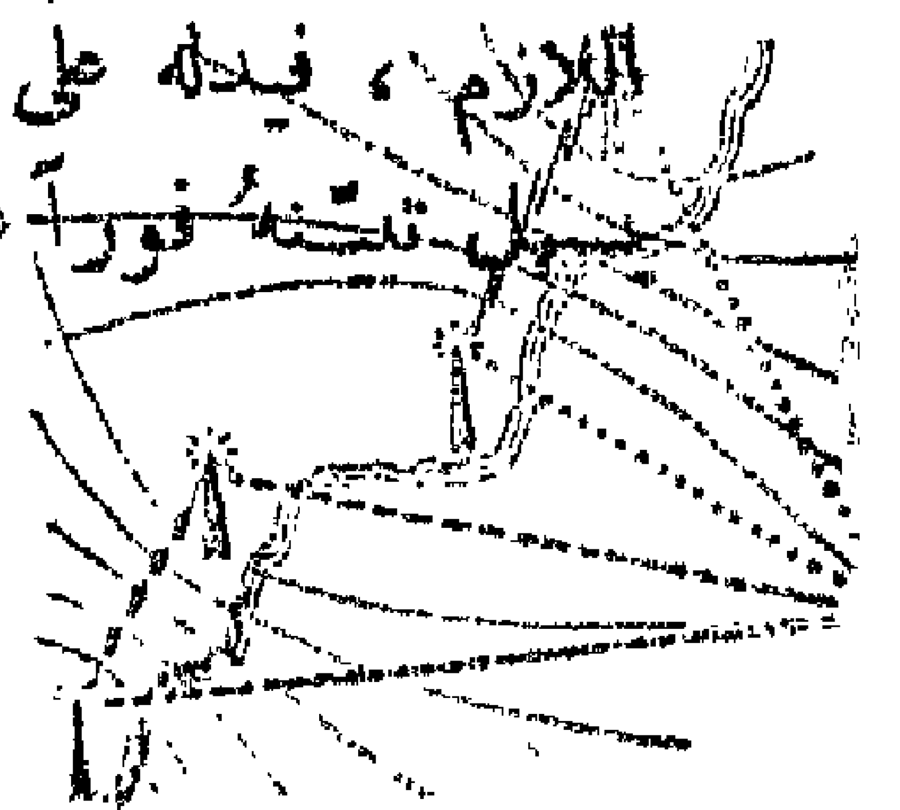
وأعظم منافع « لوران » هو إرشاد السفن والطائرات فوق رحاب المحيطات التى لم ترسم لها خرائط . ولم تكد تشرف الحرب على نهايتها حتى كان العلماء يجربون التجارب بأساليب جديدة قائمة على مبدأ لوران ، يسترشد بها فوق المحيطات والقارات على السواء . فأقيمت ثلاث محطات للتجارب تشمل الولايات المتحدة شرق نهر المسيسبى وشطراً عظيماً من المحيط الأطلسى . وامتحنت وسائل الملاحة التى تعتمد على هذه المحطات ، فنجحت .

وقد ذهبتُ إلى ج . أ . بيرس ، الذى كان رئيس جماعة العلماء التى صنعت « لوران » ، فرأيت فى مكتبه بجامعة هارفرد ، خريطة عالمية شاملة ، وعليها سبعون دبوساً أحمر ، يمثل كلٌّ منها محطة من محطات لوران ، ومنها تنطلق خطوط متقاطعة من الأمواج ، فإذا شبّكتها تغطى

سطح الكرة كله . وقد فُككت بعض هذه المحطات فى أثناءِ التحوّل من الحرب إلى السلم ، وأقيم غيرها فى مواقع خليقة أن تجعلها أنفع لحركة السفن والطائرات فى أيام السلام .

ومن محاسن « لوران » أنهُ قليل النفقة بعض الشيء ، فقد قدّر العلماء أن مئة وخمسين محطة خليقة أن تكفى لجميع مناطق البحار واليابسة التى تسلكها السفن أو تعبر جوّها الطائرات . وكلّ محطة يقتضى إنشاؤها مئة ألف ريال ، وقد تكلف صيانتها جميعاً عشرين مليون ريال فى السنة ، ولا غنى فى إنشائها والانتفاع بها عن التعاون بين الأمم . وقد عقد مؤتمر فى دبلين عاصمة إرلندة فى شهر مارس الماضى ، بحث أعضاؤهُ ما ينبغى الأخذ بهِ من قواعد فى أرجاء العالم قاطبة .

وقد فرغ العلماء من صنع أجهزة لوران تفوق ما صنع منها فى الحرب دقةً ويسراً . وشرعت « شركة جيروسكوب سبرى » تسلم زبائنها أجهزة تتمّ عملها كله إتماماً آليًا ، فيزول احتمال خطأ الحاسب حين يجمع الأرقام . وليس على الملاح إلا أن يختار محطتين ، ثم ينجز له الجهاز الحساب اللازم ، فيدله على رقم الطريق ، وهذا سبيل تتبينهُ فوراً على خريطة لوران .



نشبت حرب فى المستقبل كان لأجهزة « لوران » شأن فى جعلها أشدّ فتكا وتدميراً .

ومنذ عهد قريب ألقى الدكتور بيرس خطبة فى معهد مهندسى الراديو ، فدهش سامعوه حين رسم لهم صورة مخيفة لطائرة تطير بغير قائد ، وقنابل توجه إلى أهدافها على طرق « لوران » المحكمة التخطيط . وقد قال لهم إنهُ فى وسع المدرّبين أن يرسموا فى جوف الليل خطاً يمرّ فوق هدف معين ، إذا كان الهدف لا يبعد أكثر من ١٦٠٠ ميل ، ثم يرسم خط ثان يقطع الأول فوق الهدف تماماً ، فتكون نقطة التقاطع هى الموقع الذى تلقى فيه القذائف . وقد تحمّل مئات من الطائرات بالقنابل ، وتضبط أجهزة لوران التى فيها ، وترسل من مئات القواعد متجهة إلى هذا الخط ، فإذا بلغتهُ غيرت اتجاهها وسلكته لا تنحرف عنه يمنة أو يسرة حتى تصير فوق الهدف .

بيد أن مهمة لوران الأولى فى المستقبل هى إرشاد السفن والطائرات فى أيام السلام . وليس ثمة ريب فى أن طرقه الخفية التى تحيط بالكرة الأرضية ، ستجعل الرحلة فى السنوات المقبلة أسرع طيراناً وأسلم عاقبة وأقلّ تكاليف .

جنـــدى محترف ، وقف حياته المديدة على أن يثبت تفوق العقــل على العنف ، وضرب لذلك المثل بنفسه .

فاتح براري البرازيل



رزموند هولدريج

مختصرة من مجلة " زن إن أميركاز "

في قلب حيّ الأعمال الشامخ الأبنية في ريوده جانيرو عاصمة البرازيل ، مكتب عاطلٌ من الزينة يجلس وراء منضدة فيه رجل من أعجب رجال القارتين الأمريكيتين . وهو قصير القامة عريض المنكبين معتدل القوام كالرمح ، يشعّ من عينيه الحديدتين ذكاء متوقد ، لايفوته شيء ولاينسى شيئاً . وترى يديه تتحركان حركات سريعة حاسمة ، وهو يلتزم أسلوباً لا يتغير من الكياسة ورقة المجاملة ، سواء أكان يحادث وزيراً خطيراً أم يملى رسالة على كاتب . وواضح من ملامحه أن أصله من هنود أمريكا، ويبدو لك رجلا ممتلئاً عافية فى الستين من عمره ، بيد أنه فى الثمانين .

هذا هو الجنرال كانديدو ماريانو داسيلفا روندون ، الذى تدين له البرازيل بأرض مساحتها ربع مليون ميل مربع من مجاهل القفار ، فتحها بغير سلاح . وقد خطّط تخطيطاً دقيقاً حدوداً تعدّ من أطول الحدود البرية فى العالم ، واضاف إلى الخريطة خمسة عشر نهراً ، ومدّ ألوف الأميال من خطوط التلغراف فى قفار البرازيل ، ونشر ألوية السلام بين قبائل مستوحشة ظلّت ثلاثة قرون لاتستقبل أهل الحضارة إلا بالسهام الصافرة ، وملأ متحف ريوده جانيرو الأهلى بألوف من نماذج وأشياء كان العلماء يجهلون أمرها ، فكرّمته كلّ جمعية جغرافية عظيمة فى أقطار الأرض أحسن التكريم .

وقد استهلّ روندون حياته العجيبة فى أحوال هى أشدّ مايتصوّره المرء من هوان الشأن . ولد سنة ١٨٦٥ على مقربة من كويابا العاصمة النائية لولاية ماتو جروسو المترامية فى أحضان القفار . وكانت أمّه من قبيلة بورورو الهندية ، وكان أبوه ابن رائد من ولاية سان باولو وينتمى إلى قبيلة تيرينا الهندية . ومات عنه أبواه وهو فى الثانية .

وقد تلقى مبادىء القراءة والكتابة على جدته لأمه ، وكانت قد حصّلت بعض المعارف من كتب أصابتها عند أسر المزارعين التى خدمتها . ثم عاونه أحد عمومته على الدراسة فى مدرسة ، وكان الغلام متوقد الذكاء ، متفوقا فى الرياضة والهندسة ، فتخرّج فى السادسة عشرة من عمره، وطمح ببصره إلى المدرسة الحربية فى ريوده جانيرو فتقدم لتأدية امتحانها ، وظل يعمل فى مقر قيادة الجيش فى كويبابا ، منتظراً يرجو ما تسفر عنه نتيجة الامتحان حتى يعيّن فى المدرسة الحربية .

لم يكن مطلب روندون أمراً هيناً ، فقد كان يتيما لايملك شروى نقير، وليس له أسرة تشدّ من أزره ، وهو يطمع فى دخول مدرسة حربية ممتازة ، منافساً فى دخولها مئات من الشبان الذين يفوقونه ثروة وجاهاً . بيد أن ضبّاط القيادة راعتهم كفاية روندون وصدق إخلاصه ، فأرسلوا إلى المدرسة رسائل توصية به ، فقبل .

وهناك أكب على خريطة البرازيل ، فلاحظ ما كتب عليها هنا وهنا : « قطر مجهول يقطنه الهنود المتوحشون » ، ورأى تخوماً لا آخر لها لم تحدّد على الخريطة ، وتحديدها مرهون بمراجعة معاهدات مبهمة مضى عليها مئات من السنين . ولو كشف الذهب فى إحدى هذه المقاطعات ، لنشب نزاع بين البرازيل وإحدى جاراتها ، ولاستطاعت كلتاهما أن تقيم الدليل من الوثائق القديمة ، على أن مناجم الذهب داخلة فى حيّز فى أرضها . فهذه التخوم التى لم تحدّد بعد ، هى منبت خصيب لعوامل النزاع والحروب فى أمريكا الجنوبية .

وكانت مشكلة الهنود الأمريكيين مستفحلة أيضاً ، فرواج المطّاط فى منطقة أمازوناس ، قد جعل مدينة مناووس أغنى مدينة فى العالم إذا قدّرت ثروة كل فرد من أهلها ، فشدّ إليها الرحال رجال دأبهم التهور والجشع ، لايحجمون عن شىء فى سبيل استغلال أدغالها . فكانوا يغيرون على القرى الهندية لاسترقاق أهلها، ويأخذون القادرين منهم ليسخروهم فى العمل المضنى الذى يتطلبه جمع المطاط ، ويسبُون الحسان من نسائها للمتعة فى منازلهم المنعزلة .

ففكر روندون فى هذه الأمور ، فاضطربت نفسه . ولم تسنح له الفرصة إلا فى سنة ١٨٩١ ، يوم أنشئت الولايات المتحدة البرازيلية ، إذ عزمت الحكومة الجديدة أن تمدّ خطوط التلغراف إلى أصقاع البرازيل النائية ، وعهدت إلى الصاغ جوميس كارنيرو بأن تمدّ خطاً طوله ٤٠٠ ميل بين كويبابا وأراجوايا ، فاختار مساعداً له شابا حديث

عهد بالتخرّج من المدرسة الحربيــة ، هو للملازم كانديدو ماريانو داسيلفا روندون .

وقد نشب النزاع مع هنود قبيلة بورورو يوم بدأ العمل تقريباً ، ولـكنهم ما لبثوا حتى أدركوا ، بعد معاملتهم بالأناة والحلم وموالاتهم بالهدايا ، أن هؤلاء الرجال فى ملابسهم العسكرية ، ليسوا من « أوباش » المتحضرين الذين نهبوا قراهم . فرفرف لواء السـلام على تلك المنطقة . وبعد ١٣ شهراً تم مدّ التلغراف ، فـكان أول خط فى ولاية ماتو جروسـو التى تفوق مسـاحتها مساحة فلسطين خمسين ضعفـاً أو تزيد .

وقد أقام روندون فى السـنين العشر التالية يمدّ خطوط التلغراف ، وينشر السلام فى بقاع مزّقها الخصام المرّ ثلاثة قرون . وقد مدّ نحو ألفى ميـل من الخطوط فى مناطق كان اقتحامها يعدّ أمراً مستحيلا . وقد التفّ حوله رجال من ذوى الإخلاص يعـاونونه ، وكانوا صِلاب الأعواد يستطيعون أن يصـبروا على حياة الأدغال شهراً بعد شهر . وقد ساروا على نهجه فى معالجة مشـكلة الهنود : لا تطلق النار أبداً مهما استفزّوك ، ولا تأخذ من قرية شيئـاً حتى ولا ورقة أو عوداً . وقد كان هذا فى رأى المحنكين من قدامى جوّابى الآجام سخفـاً مابعده من سخف ، ولـكن هذه الخطة آتت ثمرها فى قبيلة بعد قبيلة . ولعل خير مثل عليها مانالوه من مودّة قبيـلة مرهوبة الجانب ، هى قبيـلة نامبيكاراس الشرسة التى تسكن منطقة ريوجوروينا . وقد رآهم روندون أول مارآهم حين بغتوه وهجموا عليه . فقد أخطأه السهمان الأولان قيد شعرة ، وأصاب الثالث حزام بندقيته فوق موقع قلبه ، فترنح فى سرجه ، ثم تماسك ومضى يحيّيهم بألفاظ السلام والصـداقة . فبهرهم مايرون ، فهذا رجل يتـدلى من صدره سهم غارز فيه ، ولـكنه يصرّ على أنه صديق لهم ، ففرّوا من وجهه ، فترك لهم على المـكان هدايا من الفؤوس والمدى والقماش ، ومضت قافلته فى طريقها .

وبعد سنوات لقيت جماعته رجال هذه القبيلة مرة أخرى . وقد دلّـه طريق مطروق على أقرب قرية كبيرة من قراهم ، فأخذ روندون رجلين من رجاله ويمّم شطرها . وبغتة ألفوا أنفسهم حيـال خمسـة من المتوحشين الشداد ، وكانوا غير مسلحين ، فقادوهم إلى القرية حيث احتفوا بهم حفاوة عظيمة .

جاءوهم بالطعام : ذرة وفا كهة ولحم قرد مدخّـن وجذوراً محمرة . وقدّم لهم شراب الأناناس البرى فى قرع كـبير ،

وسجاير سود ضخمة مخيفة المنظر. وعلى أن روندون لم يدخن قط، فقد قبل أن يدخن لأنه من الواضح أن الرفض يورث الريبة. وفي اليوم التـالى سار روندون فى طليعة عصبة منهم إلى جماعته حيث تبادلوا الهدايا.

أما اليوم فترى فى أرض هـذه القبيلة مدارس ومعابد وعيادات طبيـة. وهم يوقرون علم البرازيل الذى جاءهم به روندون رمزاً للسـلام والتراضى. وقد ضمنت لهم الحكومة أرضهم، وحقهم فى الاحتفاظ بعقائد قبيلتهم ومنهجهم فى الحياة، غير ان الأثر الجميـل الذى تركه روندون فيهم، قد أفضى إلى تبدّل حياتهم، والأخذ بحضارة البرازيل رويداً رويداً، فباتت اللغة البرتغالية — لغة أهل البرازيل — هى لغتهم الغالبة، وحلّت الزراعة وتربية الحيوان محلّ العداوة، وفتح الطريق بينهم وبين العـالم الحديث.

سمى الهنـود خط التلغراف « لسان ماريانو » *. ويسمع روندون ذلك فيقهقه ويقول: « كانوا يسرقون سلك التلغراف ويتخذونه لصـنع الحلى، ولـكنهم حين أدركوا أننا ننتفع به للتخاطب، تركوه وشأنه. وأنت ترى أنه لم يكن لنا بدٌّ من أن نقنعهم بتصوير الأمر تصويراً يتصل بشـخص يعرفونه، فسميناه لهم لسان ماريانو ».

والأداة التى اعتمد عليها روندون فى توثيق الصـلة بهذه القبائل، هى هيئة فذة أنشأها سنة ١٩١٠ وأطلق عليها « مصلحة حماية الهنود ». وقد سُنّت قوانين تحمى سكان الغابات من اسـتغلالهم واغتصاب أرضهم، وأنشئت فى جميـع هذه المناطق النائية مراكز لنشر السـلام، وما لبث الهنود حتى أقبلوا عليها رويداً رويداً.

وسار تصحيـح الخرائط جنباً إلى جنب مع هـذا الفتح الذى تمّ بلا سلاح. وقد تولت « لجنة روندون » كما كان الشعب يسميها، تعيين مجارى أنهار كانت مواقعها على الخريطة تنحرف مئة ميل عن مواقعها الصحيحة، وحدّدت مجارى أنهر أخرى كانت مجهولة. وأشهر هـذه الأنهار هو « نهر الشك » الذى رسم على الخريطة يوم ذهب تيودور روزفلت إلى البرازيل. وقد أراد روزفلت أن يرى النهر بعينيه، فصحبه روندون إليه، وقد قضـيا أربعة أشهر يستـكشفان مجرى هـذا النهر العظيم إلى حيث يصبّ فى نهر معروف. وترى « نهر الشك » اليوم مرسوماً على الخرائط باسم « ريو روزفلت ».



* الـكلمة الثانية فى اسم روندون الـكامل

وقد مضى روندون يحض الحكومة على تحديد التخوم ، فأقنعت الدول المجاورة ، دولة بعد دولة ، بتعيين لجان تتولى هذا العمل مع لجنة روندون . وقد خرج مئات من الناس يرتادون الأدغال ويمسحونها ، حتى صار تخطيط أطول الحدود البرية في العالم — إذا استثنينا حدود روسيا — كاملاً على الخريطة أو يكاد .

وفي سنة ١٩٣٢ كادت الحرب تنشب بين بيرو وكولومبيا من أجل مناوشات في الآجام كان سببها خلافٌ على الحدود . وقد سوِّيت المسألة بغير حرب على الأكثر ، بفضل هيبة الجنرال روندون وآرائه السديدة ، فقد كان هو رئيس اللجنة الدولية وممثل البرازيل فيها ، وكان يحق للطرفين المتنازعين أن يستأنفا قرارات اللجنة إلى عصبة الأمم ، ولكنهما لم يضطرا إلى ذلك على الإطلاق .

هذا الظفر الدبلوماسي الذي أحرزه روندون كلفه ثمناً غالياً ، فقد ذهب بصر إحدى عينيه وضعُف بصر الأخرى ، لأنه أصيب بالرمد الحبيبي في سنوات أربع من الكدّ في عمل اللجنة ، ولولا صلابة عوده النادرة لما نجا من عذاب أفظع . وقد قضى خمسين سنة في القفار ، ولكنه لا يزال يتمتع بعافية عجيبة وهو في الثمانين ، وكان السفر معه يضني الرجال الذين يصحبونه ، حتى الهنود منهم . وقد كان مرة في طليعة كوكبة من الفرسان نال منها الجهد كل منال ، ولكنه حثّها على المضي حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً ، حين ترجّل عن جواده ناضر الوجه كالزهرة الغضة وقال : « نتعشى الآن ثم نتابع السُّرى في الساعة الواحدة صباحاً » . فصاح رفاقه من فرط الألم : « وكيف نستطيع أن نواصل الرحلة بعد أن ننام ساعة واحدة ؟ » فحدّق فيهم روندون دهشة وعجباً وقال : « أأراكم لا تعرفون كيف تنامون وأنتم على متون مطاياكم » .

وكان من الناس مَن ينضمُّ إلى بعثاته وهم لا يصدقون ما يروى عن صبره وقوة جلده من روايات أشبه بالأساطير . وكان أحدهم رياضياً مدرّباً في الثامنة والعشرين من عمره فجعل يتبجّح : « إن عمر الجنرال كضعف عمري ، وسأماشيه حتى يلهث ويسقط لسانه من فمه » . وقد بلغ روندون خبر هذا الفتى ، فدعاه ليتفقد معه درباً لم يطرق إلا منذ عهد قريب ، وانطلقا يسيران سيراً حثيثاً ، وكان الشاب يكاتم ضحكه . ومضت ساعتان دون أن تتغير سرعة السير ، فكفّ الفتى عن الضحك ، وبعد ست ساعات جعل الشاب المترنح يغمغم ببضع كلمات

مؤدّاها أنه قد يحسن بهما أن يأكلا شيئاً. فقال روندون: «لا! لا! لم أتعوّد أن آكل وأنا أتفقد الدروب».

فكان قوله ضِغْثاً على إبّالة. ولم تكد تمضى ساعة أخرى حتى كان الشاب المزهوّ قد ارتمى على الأرض غير عابىء بالنمل وجعل يلهث: «لا أستطيع أن أسير خطوة أخرى يا سيدى».

فرمى إليه روندون نظرة هادئة وقال: «أنا أعلم أنك لا تستطيع، فهذه غابة وليست ساحة للرياضة. وينبغى أن تعرف بعض مايعرف عنها قبل أن تسرف فى وعود تتشدّق بها بين أصحابك».

وهذا مثال آخر يدل على قدرته الخارقة على احتمال الشاق، فقد كان من شأنه عقب انتهاء الرحلة إلى «نهر الشك» أن خرج فى رفقة — ومنهم روزفلت — إلى سفينة موفورة فيها أسباب الراحة، وبدلاً من أن يعود إلى ريودهجانيرو بحراً، انكفأ إلى الأدغال وعاد إلى العاصمة براً، فقطع أكثر من ألفى ميل.

وقد ابتُلى بمعظم أمراض المناطق الحارة، فقد أصيب مراراً بالملاريا، وكان كثير من نوباتها عنيفاً خليقاً أن يقضى على من كان دونه قوة واحتمالاً. وقد حدث مرة وهو يستكشف طريق خط تلغرافى، أن نزلت به الحمى، فأمره طبيب البعثة أن يعود إلى ريو، فكان جواب روندون: «لك أن تعود يادكتور، وأما أنا فباقٍ هنا حتى أحقق غرض البعثـــة».

إن البلاد التى ارتادها روندون فيها قوى كامنة زاخرة تمهد لانتشار الزراعة وتربية الماشية واستخراج المعادن، وفى أقاصيها الغربية بترول، ومايستخرج منها من ماس وذهب يزداد ازدياداً مطرداً، وفيها غابات واسعة تكثر فيها أشجار الخشب الصلب، ولكنها لم تكد تمسّ، وفيها أيضاً أشجار المطاط وأشجار البلاتا التى يستخدم صمغها فى عزل الأسلاك.

وتسمع فى البرازيل اليوم صيحة تدوّى: هيّا إلى الغرب، وترى الطرق العظيمة تمتدّ مخترقة مناطق كانت برارى يوم بدأ روندون يفتحها، والسكك الحديدية تمدّ خطوطها، والمدن تقوم حسنة النظام فيما كان منذ عهد قريب قفراً يباباً وسيجد ملايين من الناس رزقاً ومأوى فى أرض وحشية قد روّضها الإنسان، ومنهم جماعات كبيرة من منكوبى أوربة الذين يذكرهم روندون فيقول: «سنرحب بهم ونفتح لهم صدورنا. فليأتوا، فإن فى أرضنا متسعاً لكل من يريد أن يعمل».

« وكلُّ من يعرفنا يعرف أننا قوم لانحب العنف ، وأنا جندى وقفت حياتى على شىء واحد ، هو أن أقيم الدليـل على تفوّق العقل على العنف . أما قتل الهنود فمن السهل أن نقتل الناس ، ولـكن ذلك لايحلُّ لك مشكلة ما . وتغليب العقل أشق وأحوج إلى الشجاعة ، وإن رجالى الذين قالوا : « نؤثر أن نموت على أن نقتـل أحداً » كانوا أسمى وأصدق شجاعة من طالب المطاط الجاهل الذى يطلق ناره على كلّ من يرى من أهل الأدغال .

« وقد سرنا هذه السيرة فى علاقاتنا بسائر العالم . فمن هـذا الإيمان بالسلام نستمدّ قوة لن ينالها الداعون إلى العنف » .



من أسكتلندة !

قال الطبيب لرجل أسكتلندى : إن زوجته تحتاج إلى جراحة استئصال اللوزتين ، وأن هـذه الجراحة كان ينبغى أن تتمّ حين كانت زوجته فتاة صغيرة . فأمر الأسكتلندى بإجراء الجراحة، وأرسل فاتورة الجراح إلى حميه .

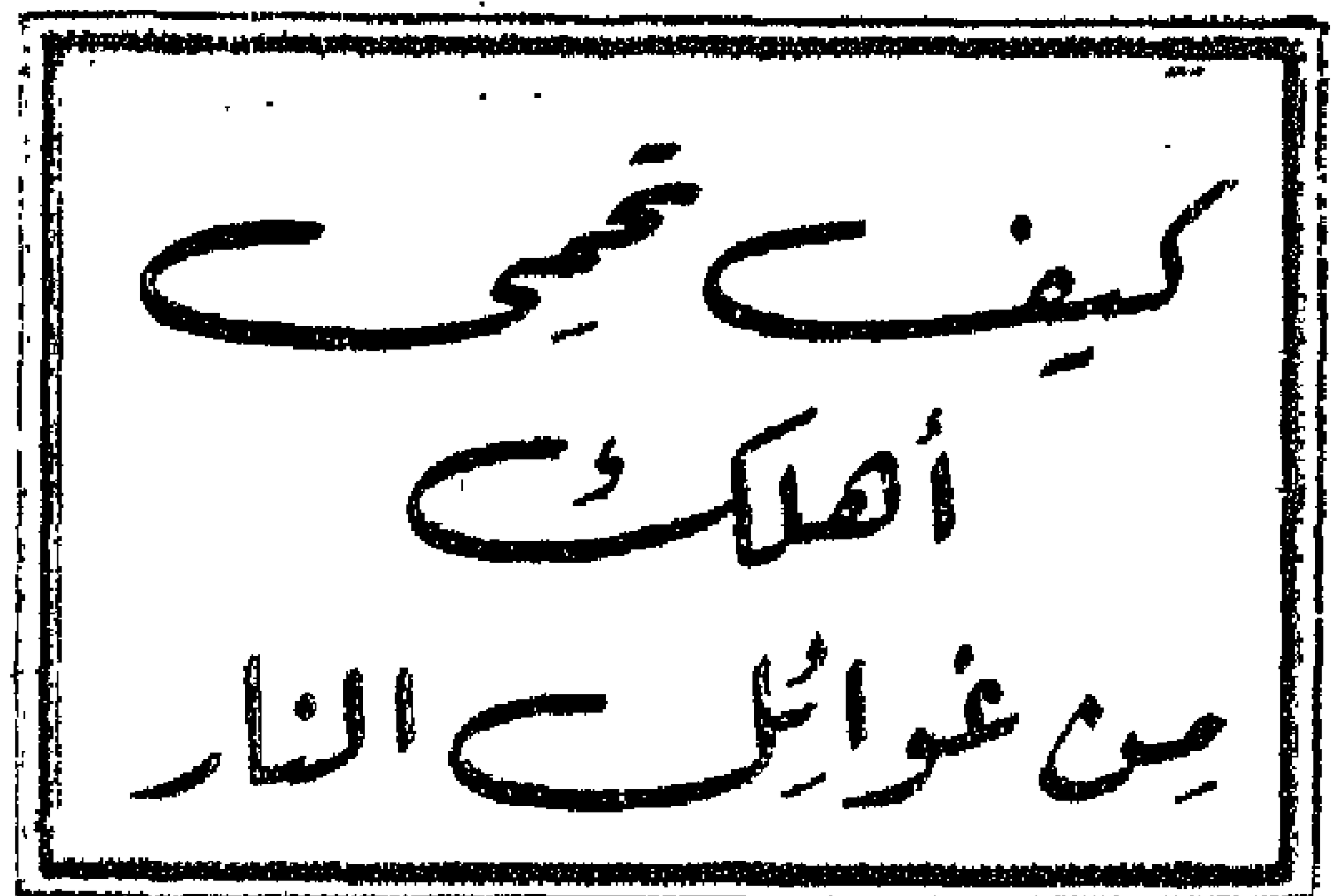
[جريجورى هارتسويك]

كان أحد سكان لندن ميمماً بالقطار شطر إدنبرة ، وكان معه فى الحجرة شيخ أسكتلندى متجهم الوجه . فلما وقف القطار فى المحطة الأولى بعد قيامه من لندن ، رأى الإنجليزى صاحبه الأسكتلندى يهرع من العربة ويعدو على الرصيف ثم يعود عدواً وهو يلهث تعباً . وقد حدث مثل ذلك فى ثلاث محطات فتحير الإنجليزى وسأله عن السبب . فقال الأسكتلندى :

« هو هذا ، فقد ذهبت إلى لنـدن لأستشير خبيراً متخصصاً فى أمراض القلب ، فقال إن حالة قلبى مفزعة ، وأننى إن لم أحرص على جميع أسباب الوقاية فقد أسقط ميتاً على حين فجأة . فلذلك ترانى أشترى تذكرة القطار من محطة إلى محطة » .

[لاى منشل هودجز]

« ألوف من ضحايا الخطرين التوأمين — اللهب والدخان ، كان يمكن إنقاذهم لو كانوا عرفوا هذه الحقائق البسيطة »



بول كيرني
مختصرة من مجلة "رذربوك"

يقول رجال المطافىء دائماً : « إن خير البيوت بيتٌ يَسهلُ الخروج منه » . ويحسن أن يضاف إلى ذلك أن صاحب البيت الأريب هو من يعرف كيف يفرُّ منه ساعة الخطر .

فإن ظننت هذا سخفاً ، فانظر إلى شابين لم يكادا يبرحان غرفة نومهما أثناء حريق شبّ فى البيت ، حتى ماتا على عتبة بابهما . كانت غرفتهما فى الطابق الثانى ، فكان أولى بهما أن يخرجا إلى الشرفة ، ثم يهبطا إلى الحديقة التى تحتها سالمين آمنين ، بيد أن الذعر أطار لبهّما ففعلا مايفعله كل إنسان فى مثل هذه الحال ، فيمّما شطر السلم — فهلكا ولمّا يبلغا ما أرادا .

وثلاثة أرباع من يموتون فى الطوابق العُليا من البيوت حين تشتعل النار فى الطابق الأسفل ، إنما كان سبب هلاكهم شىء واحد ، هو أن الحرارة تتصاعد إلى أعلى من الطابق الأسفل. فإذا ما شبت النار فى طابق سفلى ، فإن الهواء الشديد الحرارة والغازات الناشئة من الحريق ، تتراوح حرارتهما بين ٤٢٧ درجة و ٥٣٨ درجة بميزان سنتجراد ، وسرعان ما يغمران بهو الطابق الأعلى . فإذا هبّ السكان من نومهم مذعورين ، واندفعوا من غرف النوم إلى البهو ، فكثيراً ما يلاقون حتفهم قبل أن تصل إليهم النار بوقت طويل .

وقليل من بعد النظر والتدريب كفيل بأن ينقذ ألوفاً من الأنفس. فإذا استيقظت على رائحة دخان ، فلا تبادر إلى فتح باب غرفة النوم ، بل ضع راحة يدك على دَفّة الباب ، فإذا ألفيت الخشب ساخناً فلا تفتحه ، فقد فات الأوان . إن سخونة الخشب، أو سخونة أكرة الباب، معناها أن البهو الذى خلفه تغمره حرارة قاتلة ، وربما استحال عليك أن تصل إلى السلم سالماً .

فدع هذا الباب مغلقاً ، وفرّ من النافذة إذا استطعت ، وإلا فاستغث ، فمادام بينك وبين النار باب مغلق فأكبر الظن أن سوف تبقى بخير حتى توافيك النجدة .

وإذا لم تجد الباب ساخناً فافتحه على حذر. قف خلفه ومِلْ عليه وادعمه بفخذك وقدمك ، فربما اضطررت إلى إغلاقه بعد

أن تفتحه . ثم ضع راحة يدك على مفرق الباب من فوق رأسك ، وافتحه على حذر ، فإذا أحسست بضغط عليه ، أو بلفح الهواء الحار على يدك ، فرُدَّ الباب بقوة ، وأسرع إلى الشباك .

ويأتى بعد تدبير فتح الأبواب فى البيوت التى شبت فيها النار ، ما ينبغى من التدبير فى إغلاق الأبواب . والمرء حين يفاجأ بحريق فى بيته يفرّ من غرفته مذعوراً ويترك بابها مفتوحاً على مِصْراعيه . ومن البديهى أن هذا يتيح للحرارة المتجمعة والأدخنة الصاعدة أن تستبيح المسكن دون عائق . ولو أغلق هذا الباب بعد فتحه توّاً لحبست النار وطلائعها من الحرارة والغازات بضع دقائق ، قد تكفى لإنقاذ البيت من غائلة الحريق .

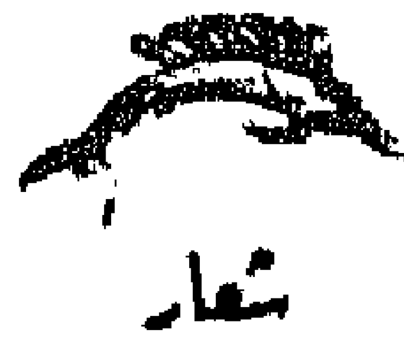
وخير مثل يضرب هو ما كان من ربة بيت شابة حاولت أن تؤرّث نار الفحم فى مطبخها ، فصبت عليها قليلا من الجاز ، فانفجرت الأبخرة ، واستطارت النار فى أرجاء المطبخ والتهمت كل شىء .

وعندما ثاب إليها الرشد كان المطبخ كله يتوهج لهيباً ، ففكرت أول ما فكرت فى إنقاذ طفلها الراقد فى الطابق الأعلى ، واندفعت من المطبخ إلى مرقد الطفل ، فاختطفته ، ثم اتجهت إلى السلم .

وكان الجيران قد طلبوا النجدة ، فأسرع رجال المطافىء إلى البيت من فورهم ، ولم يكن مكانهم يبعد عن البيت إلا أقل من ميل ، ولكنهم ما كادوا يصلون حتى ألفوا الأم وابنها صريعين فى البهو الأعلى .

فهذه الأم التى نجت من لفحة النار الأولى التى عصفت على وجهها ، قد قتلتها الغازات المميتة التى اندفعت إلى أعلى لم يعقها عائق ، وكل ذلك لأنها لم تغلق باب المطبخ حين فرّت .

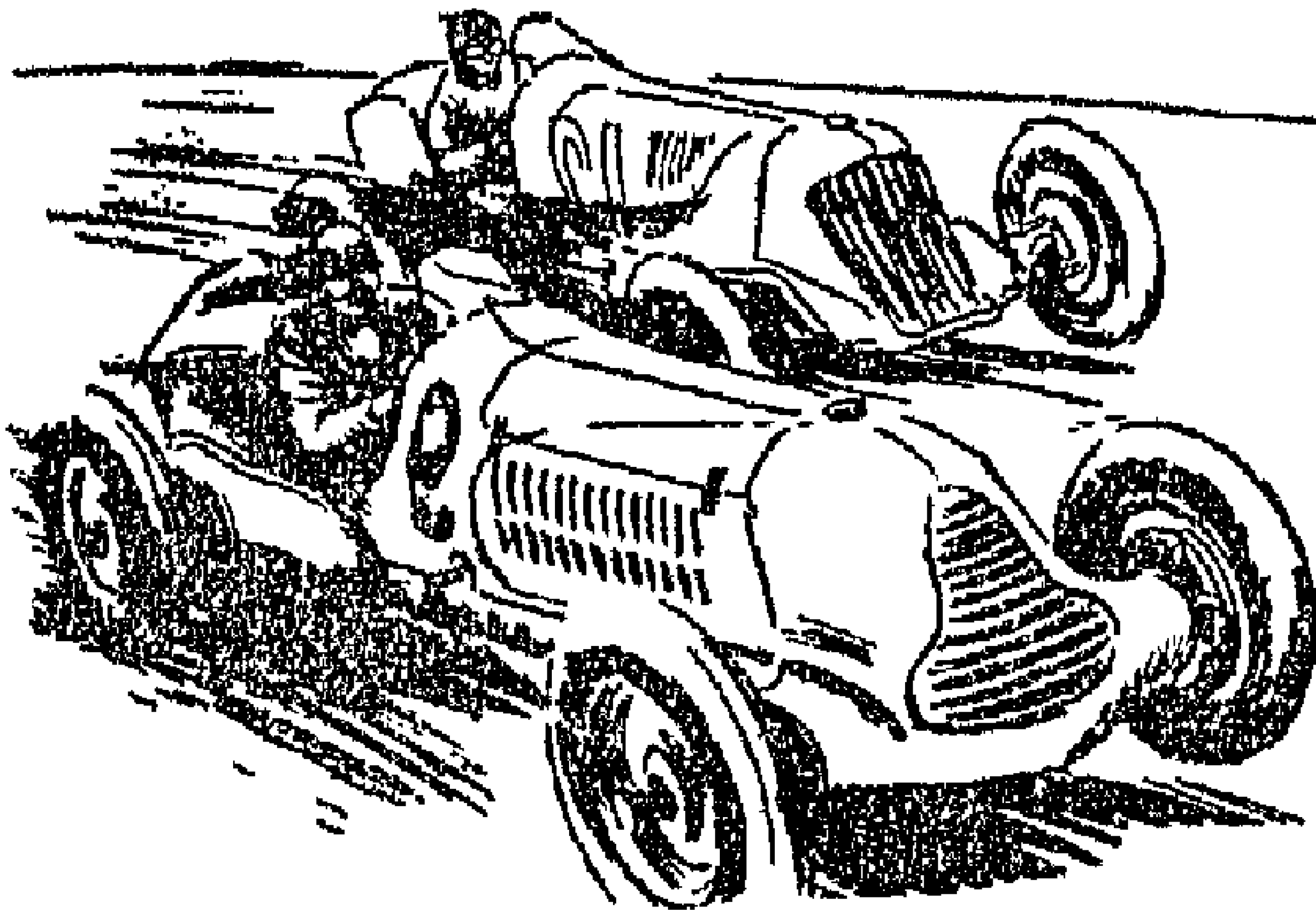
ورجال المطافىء يجمعون على أن آلافاً من سكان المنازل الذين ذهبوا طعاماً للنار ، كانوا أدنى إلى النجاة ، لو أنهم تعلموا تلك الطرق البسيطة فى فتح الأبواب وإغلاقها حين تشب النيران فى بيوتهم .



شعار

على جدار مبنى الأبحاث العلمية فى شركة جنرال موتورز علقت لوحة كتبت عليها هذه الكلمة : « هذه معضلة إذا حلّت صارت يسيرة سهلة » .

كيف تكون المغامرة فى سباق السيارات ؟ ولم يحبها المتسابقون ؟



أروع سباق

بول و. كيرنى

مختصرة من مجلة "إسكواير"

فى يوم ٣٠ مايو الماضى استأنف الأمريكيون أروع مباريات السباق عندهم وأحبها إليهم : سباق السيارات على مسافة ٥٠٠ ميل فى حلبة سباق السرعة فى مدينة إنديانابوليس. وقد أنشئت هذه المباراة أولا سنة ١٩١١ ، ولم تزل تشتهر ويعظم الإقبال عليها ، حتى صار عدد المتفرجين الذين يشهدونها ١٥٠ ألفاً . ثم نزلت نازلة برل هاربر ، فانقطعت المباراة .

وهواة السباق يظلون ثلاثين يوماً قبل يومه يدفعون نصف ريال ليشاهدوا السواقين المتبارين وهم يجربون سياراتهم ويتدربون . وعدد هؤلاء المتفرجين يبلغ ١٠٠ ألف ، وتنضم إليهم جموع لا تحصى فى الأيام التى تباح فيها المشاهدة مجاناً . وقبل الموعد بأربع وعشرين ساعة، يبدأ المتفرجون يصطفون صفوفاً أمام المدخل ، فإذا ما فتح الباب فى الساعة السادسة صباحا ، رأيت سيارات القادمين تمتد أميالا فى كل جهة ، وهى تملأ عرض الطريق أربعاً أربعاً .

وروعة السباق هى المغنطيس الذى يجتذب الهواة المتحمسين. فهناك ترى آيات من الروعة أو الشجاعة المطبوعة ، تتوالى أمام عينيك فى حلبة السرعة التى يبلغ طولها ميلين ونصف ميل . وقد حدث مرة أن انقلبت سيارة « أيرا هول » كالدوامة وصدمت جدار الحلبة عند المنعطف الجنوبى، وعلى أنه أصيب بأذى بالغ ، فقد أدرك أن سيارته ستتدحرج على المدرج المائل ، فتسد الطريق على السيارات اللاحقة ، فتحدث حوادث مروعة . فقفز من مقعده وعمد إلى سيارته التى تزن ١٨٠٠ رطل فأسند إليها ظهره الذى برح به الألم ، وأمسكها حيث هى عند الحائط حتى مرقت السيارات المتسابقة تنهب الأرض نهباً .

وشبت النار مرة فى سيارة « نورمن باتن » أمام موقف المتفرجين ، فخشى أن تتعرض حياة كثيرين منهم للخطر إن هو

فقفز منها ، فمضى يسوقها غير عابىء . ولما اندلعت ألسنة النار الآكلة إلى مقعده وقف فى مكانه وساق سيارته بقدم واحدة مخترقا الحاجز إلى عربة المطافىء — فظلّ أسابيع طريح الفراش فى المستشفى. وفى سنة ١٩٣٧ ظفر «ويلبر شو» بقصب السبق، برغم الزيت الكاوى الذى ظلّ ينقذف على ساقيه من ثقب فى سيارته أثناء الأميال الخمسين الأخيرة من السباق .

ولكن لماذا يغامر المتبارون هذه المغامرات ؟ لأنهم قوم قُدَّت أعصابهم من صُلب، وقد ولدوا ظماء إلى الإقدام، جياعا إلى السرعة ، يحركهم شوق شديد إلى التنافس. وبعضهم يتخذ هذا السباق هواية ينعم بها ، وأما كثرتهم فتجده عملا رابحاً . وكذلك يمضون فيه سنة بعد سنة يأتون بالمعجزات .

ففى آخر سباق تمَّ قبل برل هاربر ، انفتلت سيارة « إفريت سيلر » وانقلبت ثلاث مرات، ثم نزلت على سطح سيارتين من سيارات المتفرجين كانتا مرابطتين فى ساحة الحلبة ، فلم يصب أحد بأذى يذكر. واتفق مرة أخرى للسائق «شت ميلر» الذى صدع جمجمتهُ وذراعهُ وستة من عظامه فى سنة ١٩٢٨ ، أن وثبت سيارته فوق الجدار عند المنعطف الجنوبى، فخطّت سويّة على عجلاتها، فمضى بها إلى حظيرة السيارات دون أن يضطر إلى تغيير سرعتها .

ولعلّ أعجب العجائب هو ما وقع لفتى يدعى « بيب ستاب » ، حين انفتلت السيارة التى أمامه، فصدمتها سيارته صدمة قوية فى وسطها، وجاءت السيارة اللاحقة فصدمتها جميعاً ، فقذفت سيارة بيب من جدار الحلبة الداخلى إلى الجدار الخارجى ، ثم ارتدّت كما ترتدّ الكرة التى تقذف قذفا شديداً عن الحائط ، فصدمت أربع سيارات أخرى. ومع ذلك لم يصب أحد بأذى. يقابل هذا أن سائقاً يدعى « بل كمنجز » لقى حتفه فى سنة ١٩٣٩ ، حين انحرف بسيارته العادية على طريق يغطيه الجمد ليتفادى أحد المشاة .

ويقول هؤلاء الفتيان ، إنك إذا كنت خليقاً أن تلقى حتفك على الطريق كما لقيهُ كمنجز ، فلمَ لا تحاول أن تجنى من ركوب سيارتك ما فى السباق من روعة وتسلية .

وبعض المال المخصص للجوائز وقدره ١٠٠ ألف ريال ؟ والجوائز تتفاوت من عشرين ألف ريال للمجلّى، إلى ١٤٠٠ ريال يأخذها الذى يجىء فى المرتبة العاشرة ، ثم توزّع جوائز أخرى كثيرة على سائر المتبارين وفقاً لعدد الدورات التى يتمونها فى السباق . ولا تقل جائزة ما عن ٥٠٠ ريال ، ويضاف إلى هذا أن رجال التجارة والإعلان والهواة

المتحمسين يمنحون جوائز شتى للرجل الذى يكون المجلّى فى دورة ما من دورات السباق. وكثيراً ما يصيب بعض المتسابقين الذين لا يمضون فى السباق إلى نهايته، مبلغ ٣٠٠٠ ريال إلى ٤٠٠٠ مما يظفرون به من هذه الطائفة من الجوائز وحسب.

ولكن الصعاب التى تحزن وتثبط الهمة كثيرة. تصوّر أنك قضيت ستة أشهر تعدُّ سيارتك للسباق، ثم لا تكاد تبدؤه حتى تتكسر الذراع التى تغيّر السرعة، كما وقع لكمنجز مرة. أو تخيل ما يكون شعورك لو حدث لك ما حدث لويلبر شو سنة ١٩٤١، فقد كان متقدماً أميالا كثيرة على سائر المتسابقين، والغلبة تكاد تكون محققة، فيضيفها إلى المرات الثلاث السابقة، وإذا بعجلة تنكسر، فخرج من السباق ودخل مستشفى أقام فيه عدة أسابيع تحت العلاج.

وفى سنة ١٩١٢ ظل « رالف ده بلاما » سابقاً منافسيه ٤٩٥ ميلا، ولم يبق أمامه سوى خمسة أميال، فلما دخل الشوط الأخير خمدت أنفاس محرّكه، فعلم أن من العبث أن يحاول إصلاحه، فخرج من السيارة ودفعها بيديه دفعاً، وكان بينه وبين قصب السبق عشرون قدماً وحسب، حين مرق أحد منافسيه ونال الجائزة، ولكن تهليل المتفرجين لرالف كان أعظم من تهليلهم للفائز.

أما فى سنة ١٩٣٩ فقد توالت الكوارث جملة واحدة. فقد كان « لو مير » سابقاً ولم يبق أمامه سوى دورتين — أى خمسة أميال — فانحرفت سيارته واخترقت الحاجز وخسر السباق والجائزة. وفى الدورة التالية اصطدم الرجل الذى صار فى الطليعة بعد خروج لو مير بالرجل الذى يليه فتحطمت السيارتان، فصار شت ميلر الذى يليهما فى الطليعة والجائزة فى متناول يده، ولكنه حين مرق عند المنعطف لمح السيارتين المتحطمتين وأحد الرجلين ملقى على الطريق أمامه، وكان فى وسعه أن يتفادى الاصطدام بالسيارتين، ولكن ذلك يعرض السائق الذى أخذ يقف مترنحاً لخطر دوسه، فلم يتردد شت لحظة واحدة، فأدار عجلته إلى الحاجز وصدمه نابذاً جائزة قدرها عشرون ألف ريال.

ومن هم هؤلاء الرجال؟ هذا خياط، وهذا ثريّ، وهذا سائق سيارة نقل، وهذا طبيب، ومنهم نفر غير قليل تجاوز الأربعين من العمر. ومشقة السباق عظيمة، فإذا أقدم عليه المعافى القوى من أوساط الرجال، خلعت ذراعاه بعد دورتين. ومعظم الذين يمضون فى السباق إلى غايته تتنفّط أيديهم وتتقرّح برغم بطانة الشاش الرقيق الذى يلفُّ على عجلات القيادة.

أما طنين الآذان من أثر المحركات الهدّارة فلا يسكن إلا بعد ثلاثة أيام .

وسيارات السباق يبلى منها فى ٥٠٠ ميل مايعدل مايبلى من سيارات الناس فى ٥٠ ألف ميل . وعدد الذين يختارون للمباراة ثلاثة وثلاثون، أما الذين يعضون فيه إلى الغاية فقلما يزيدون على عشرة. ولكى يسمح لك بدخول المباراة ينبغى أن يبلغ معدل سرعتك ١١٠ أميال فى الساعة ، فى مسافة ٢٥ ميلا — أى ١٦٠ ميلا أو أكثر فى الأشواط المستقيمة. ومن كان حديث عهد بهذا السباق ينبغى له أن يمتحن بأن يسوق سيارته أمام جماعة من السواقين المحنكين ، وأن يسوقها خمسين دورة بسرعة تطرد زيادة كل عشر دورات، من ٨٠ ميلا فى الساعة إلى ٩٠ إلى ١٠٠ إلى ١٠٥ أميال إلى ١١٠ ، ونصفهم يجوز الامتحان. ولا يزال الرقم القياسى للسباق هو رقم «فلويد روبرتس» الذى سجله سنة ١٩٣٨ فكان معدله ١١٧٫٢ الميل فى الساعة. وهذا يشمل وقوفه للتزوّد من البنزين، ولإصلاح مايلزم إصلاحه فى السيارة .

ومعظم السيارات يستعمل خليطاً من زيت الخروع للتزييت . وقد استعمل الكحول وقوداً بدلا من البنزين فى سيارتين فازتا فى سباقين. وليس للسيارات زوائد من مراوح لتبريد المحرك ، ولا عوارض تقى من الاصطدام، ولا بطاريات ولا أجهزة لقياس السرعة . والعجلتان الأماميتان أصغر من العجلتين الخلفيتين . فالمروحة لا حاجة إليها حين تبلغ السيارة هذه السرعة العظيمة ، والبطاريات والمولدات تزيد وزن السيارة وتقتضى استعمال أسلاك — فيستعاض منها بماجنيتو لتوليد الشرارة يظل على الأرض ويُمدُّ منه سلك للانتفاع به فى قيامها، فيخفف كلُّ ذلك من وزن السيارة ١٥ رطلا أو نحو ذلك .

وتتفاوت نفقات السيارات ، فقد عنيت إحدى شركات الزيت بتجربة آراء جديدة فى سيارة جديدة، فأنفقت ٣٠ ألف ريال على أربع سيارات دخل اثنتان منها حلبة السباق، وأنفق أحد أبناء الأغنياء ٢٠٠ ألف ريال فى صنع سيارة واحدة ،ثم وجدها لا يرجى منها نفع فنبذها. ومن سخرية الدهر أن سواقاً قديماً ابتاعها بمبلغ ١٥٠٠ ريال، وأنفق ألفاً أخرى على تحسينها—وفاز بها فى السباق التالى.

وعجلات سيارات السباق ملساء من الخارج، وأنابيبها تملأ بالإيدروجين لا بالهواء ،لأن الإيدروجين لا يتسرب من الأنبوب الذى فى باطنها ، ولا يزداد ضغطه ازدياداً كثيراً حين ترتفع حرارة العجلة. وتكاد جميع السيارات الآن تكمل السباق دون أن تحتاج إلى تغيير عجلاتها ، وإنما تغير العجلات فى أثناء السباق

احتياطاً وتوقياً . ولم تحدث حادثة ما فى السنوات العشر الأخيرة مرجعها إلى فساد مطاط العجلات .

أما حجم المحركات فى سيارات السباق فنصف حجمها فى السيارات المألوفة وأكثرها له أربع أسطوانات . وحلبة السباق أعظم مكان لامتحان السيارات فى العالم . وماتعلمه المتبارون بالتجربة أسفر عن تحسين لاتقدر قيمته فى ضروب الوقود ، ومواد التزييت ، وإعداد المحركات للطـــائرات والدبابات وزوارق الطربيد .

ومن الأمور الشائعة أن الحكومة الألمانية كانت تبذل العون لصناع محركات سيارات السباق ، فإذا المحركات التى صنعوها قد استعملت فى مطاردات مسرشمت . وكذلك محرك رولز رويس مرلين ، الذى كفل الغلبة للطاردة البريطانية سبتفاير على المطاردة مسرشمت . وماتم فى ألمانيا وبريطانيا تم فى أمريكا ، فقد تفوق قسم أليسون فى شركة جنرال موتورز ، فى صنع المطاردات السريعة ، وما كان عمله سوى نتيجة لتجربة أحد مؤسسيه منذ ٣٥ سنة فى حلبات السباق . وحين أراد سلاح الطيران الأمريكى أجود مطاط يصلح لعجلات الطائرات السريعة ، اختار مطاطاً صنعه فايرستون خاصة ليحتمل الجهـد المضنى الذى يبليه فى السـباق .

فصاحب السيارة من أوساط الناس قد جنى ربحاً عظيما من هـذا السباق ، من المرآة التى تبين له السيارة التى وراءه ، إلى العجلات المنتفخة ، إلى الفرامل التى تشد العجلات الأربع . ولنا اليوم أن نتطلع إلى تحسين السيارات من وجوه عديدة كانت موضع بحث وتجربة قبل الحرب ، بفضل امتحانها فى مثل هذا السباق .

وقد تمكن رجل بارع من رجال السباق أن ينتفع بتجاربه ، فصنع جهازاً ينذر صاحب السيارة فى مثل لمح البصر بانفجار يوشك أن يقع فى عجلته . وكان آخر يخشى ماتحدثه دورة السيارة دورة سريعة من تآكل فى عجلاتها ، فرأى أن يزاد عرض العجلة . ويلوح أن هذا الرأى سيحل مشكلة العجلات ، ويمهد لصنع عجلات تنتفع بها سيارات النـاس مسافة خمسين ألف ميل .

والواقع أن هـذا السباق العظيم ليس منافسة رائعة من أجل الشهرة والجوائز وحسب ، بل هو أيضاً تجربة لمهندس السيارات يمتحن فيها آخر مستحدثاته ، فيعرضها فى مسافة ٥٠٠ ميل لكل ماتتعرض له فى خمسين ألف ميل لو كانت مركبة فى سيارة عادية . وفى هذا نفع نجنى ثمره أنا وانت فى آخر الأمر .



عالم مشهور يهيب بالأمهات أن يؤدّين ما خلقن له .

لبن الأم حقّ طبيعيّ للطفل

الدكتور ألكسيس كاريل

الدكتور في الطب وحائز جائزة نوبل الطبية

ومؤلف كتاب «الإنسان ذلك المجهول»

— ١ —

أيهما خير : أن نرضع الطفل من ثدى أمه أم من لبن الزجاجة ؟

سؤال يتردد فى الألوف المؤلفة من البيوت ، وعلى جواب هذا السؤال يتوقف تحديد نوع العناية التى يحظى بها الرضيع . وعلى أن الرضاعة موضوع يهم الأمهات والأطباء خاصة ، إلا أنه يهمنا جميعاً من حيث إننا بشر . فالرعاية التى يلقاها الطفل لها أكبر الأثر فيما تكون عليه صحة البالغ وخلقه . وربما كان لرضاعة الطفل من ثدى أمه أو من الزجاجة ، شأن فى أن يصير بعد زمن إنساناً رضىّ النفس نافعاً فى قومه .

نعم إن تغذية الرضيع أيسر على الأم من إرضاعه وأجدى على الطبيب . وقد تحسنت أساليبها إلى حد كبير ، وأصبحت عواقبها طيبة فى أغلب الأحوال ، وهى خليقة أن تنفع إذا كانت الأم ذكية ، أو إذا أمكن استخدام ممرضة مدربة ، ولذلك ترى بعض أطباء الأطفال والمولدين ، فى المستشفيات المعدة للولادة التى يدخلها الموسرات من النساء ، كثيراً ما يشيرون عليهن بتغذية الرضيع إعفاء لهن من الرضاعة ، وذلك لعلمهم أن ذلك هو أحب ما يبتغين .

ومع ذلك ترى الثقات فى الصحة العامة ، وأكثر الأطباء المولدين وكبار الأطباء عامة وهم الذين يولدون أكثر الأطفال ، ينصحون بالرضاعة الطبيعية ، ويعدونها خير الوسائل لتغذية الطفل .

والكتب الحديثة فى أمراض الأطفال تؤيد هذا الرأى ، ومراكز رعاية الطفل تزكى لبن الأم . وقد أصدر مكتب الأطفال فى وزارة العمل بالولايات المتحدة بيانات نافعة لإرضاع الطفل من ثدى أمه . وأعلن مفتش صحة نيويورك فى بيان أصدره فى المدينة، أن لبن الأم هو حق طبيعي للطفل .

ولقد يختلف ثقات الطب فى كثير من الموضوعات الطبية الهامة ، ولكنهم يجمعون على تزكية الرضاعة الطبيعية ، ويؤمنون أن البديل الكامل عن لبن الأم لم يخلق قط ، وأن جميع الامهات على التقريب قادرات على إرضاع صغارهن .

ولكن من النساء من لا يؤمن بمزايا الرضاعة الطبيعية . فني طبقة الأغنياء أسرة تحرم ٩٠ فى المئة من الأطفال أن يغتذوا بلبن أمهاتهم ، وعلى نقيض ذلك تجد عدد الذين يغتذون من غير الثدى بين أصحاب الدخل اليسير لا يزيد على عشرة فى المئة إلى أربعين. وكانت الأمهات تلقّن بناتهن ما ينبغى أن يعلمنه من شئون رعاية الطفل، ثم قلّ ذلك حتى كاد ينقرض فى جماعات كبيرة من الناس ، وأصبحت الأمهات فى هذا العصر تجهل وظائف الأعضاء وأساليب تغذية الرضيع ، فما أسرع ما يصغين إلى مايشير به الطبيب أو الزوج أو الصديقات بفطام الرضيع ، وكان أحرى بهن أن يتفكرن فيما للرضاعة الطبيعية من خطر الشأن .

— ٢ —

فالجنين فى الرحم بُضْعة من الأم ومن كيانها ، وهذه الصلة ينبغى أن تدوم عدة أشهر بعد الولادة ، وإن كانت يومئذ أضعف ، فكلاهما يظل فى حاجة إلى الآخر. فالجسدان وإن كانا قد انفصلا ، مرتبطان بعدة روابط كمائية وفسيولوجية وعقلية . ومن الجلى أن هذه الروابط تضعف إذا استبدلت الزجاجة بثدى الأم .

إن الثدى يصنع اللبن ويوزعه توزيعاً لا يدخله الخطأ . فعلى رأس حلمته فتحات لخمس عشرة قناة ضيقة أو عشرين ، وهذه الأقنية تتسع تحت دائرة الحلمة السمراء فتصير مستودعات للبن، ثم تتغلغل فى الثدى حتى تنتهى إلى فجوات متسعة تبطنها خلايا كل عملها أن تصنع اللبن . وتحيط بهذه الفجوات شبكة واسعة من أوعية الدم الدقيقة يكثر فيها جريان الدم ، فصنع أوقية من اللبن يقتضى مرور ٣٠٠ أوقية إلى ٤٠٠ أوقية من الدم فى هذه الأوعية .

وليس الثدى عضواً مستقلا ، فإن نشاطه يعتمد على نشاط سائر الأعضاء ، والفجوات التى تصنع اللبن (غدد اللبن) تنمو فى زمن الحمل ، ويدفعها إلى هذا النمو موادّ يفرزها المبيضان ، وفى نهاية اشهر الحمل تتلقى هذه الفجوات من الغدة النخامية القائمة فى قاعدة الجمجمة أمراً بالبدء فى صنع اللبن .

والثدى يؤثر تأثيراً بيناً فى الرحم والمبيضين، فإنّ مصّ الطفل للثدى يحدث انقباضات متوالية فى الرحم تساعده على البرء من آثار الوضع ، ويؤدى إرضاع الطفل إلى انقطاع الطمث . فالخلايا التى تصنع اللبن ، والحلمة، وأوعية الدم ، والأعصاب ، والمبايض ، والرحم والغدة النخامية وسواها من الغدد ، هى كلها أجزاء فى جهاز معقد ، تتعاون جميعاً على القيام بوظيفة معينة . فالثدى إذن ليس مجرد حلية يتحكم فى شكلها

وحجمها ذوق الخياط ، بل خلق الثدى أداة لنمو الطفل أفضل نمو ، ولصحة الأم أيضاً . ومَثَل المرأة التى تحول بينه وبين عمله ، كَمَثَل الصينيات يوم كن يعقن نمو أقدامهن ، أو لعلها أقلّ منهن ذكاء .

إن حلمة الثدى تلائم شفتى الرضيع ولسانه أتم الملاءمة. وأكثر الحلمات المصنوعة من المطاط ليست إلا صوراً مسيخة منها . والرضاعة تقتضى انقباضات متوالية فى عضلات وجه الرضيع ولسانه وعنقه ، وحركات متعاقبة فى فكه الأسفل وتنفساً من أنفه ، وفى نفس الوقت يضغط الرضيع ثدى أمه بيديه الغضنين ليزيد جريان اللبن . فالرضاعة عمل شاق وهى أول مجهود قدر على الكائن البشرى أن يبذله ، فيفضى إلى نمو الفكين والأنف والحنك نمواً كاملا ، ويزيد الوجه جمالا والصوت قوة .

أما رضاع الزجاجة فما أشبهه بمص سائل من أنبوب ، فالرضيع يمص اللبن منها مصاً سهلا سريعاً . ولما كانت حلمات المطاط طويلة فهى لا تلائم فمه ، ولو صنعت صنعاً أدق لكانت الرضاعة من الزجاجة أقرب إلى الطبيعة . هذا على أن الحاضنة المهملة والأم العجول ، كلتاهما تؤثر الحلمة المصنوعة ، طلباً للراحة ولأنها تقصر الوقت الذى ينفق فى الرضاعة .

— ٣ —

يفرز الثدى فى نهاية الحمل سائلا أصفر يسمى اللِّبَأ ، وهو يحتوى على مواد تقى الطفل من العدوى . وفى اليوم الثانى بعد ميلاده تبدأ الرضاعة التى تقتضى مص الثدى وتفريغه تفريغاً كاملا . ومن غرائب الحياة أن مقدار اللبن الذى يفرزه الثدى يزداد تبعاً لازدياد حاجة الطفل إلى اللبن ، ويتراوح بين بضع أوقيات فى الأيام الأولى ، وحوالى لترين أو لترين وربع بعد ثمانية أشهر .

وتركيب اللبن يجارى أيضاً حاجات أنسجة الطفل الآخذة فى النمو ، ويحتوى لبن الأم مواد زلالية تشبه فى تركيبها المواد الزلالية التى تكون جسم الطفل . وهذه المواد الزلالية فى اللبن لا تؤدى قط إلى حالات الاستهداف* التى ربما أحدثها لبن البقر ، لاختلاف تركيب مواده الزلالية عن تركيب المواد الزلالية فى جسم الطفل . ومقدار المواد الزلالية والفسفور والجير الموجود فى لبن الأم ، هو على التحقيق أدق ملاءمة لحاجات الطفل من أى تلفيق صناعى ممكن . وكلما كبر الطفل قل معدل نموه ، فعندئذ يقل مقدار المواد الزلالية والأملاح فى لبن الأم . والثدى يوفق توفيقاً دقيقاً

* الاستهداف : حالة تجعل الجسم عرضة للتأثر بأشياء معينة ، فيصاب بحالات مرضية مختلفة .

بين خواص اللبن ومقداره، وبين حاجات الرضيع الدائمة التغير. وهو كسائر الأعضاء الحية يؤدى عمله المعقد بإحكام عجيب.

ولا يوجد مثل هذا التوافق بين حاجات الرضيع الكيميائية وتركيب لبن البقر أو الماعز. فلبن البقر يحتوي مقداراً كبيراً جداً من المواد الزلالية والأملاح المعدنية ويعوزه الحديد، وهو أعسر هضما من لبن الأم، وفيه عدد جم من الميكروبات، فلذلك ينبغى تعقيمه، وهذا التعقيم يفقد اللبن بعض مزاياه. بل يقال إن لبن الأم إذا أفرغ من الثدى وأعطى للطفل فى زجاجة صار أقل فائدة منه إذا رضعه من الثدى رأساً. ومع ذلك فإن لبن البقر إذا خفف بالماء وزيد فيه سكر اللبن أصبح غذاء جيداً على ما فيه من عيوب، إذ أن الجسم البشرى قد وهب قوة خارقة على أن يلبس لكل حالة لَبُوسها.

— ٤ —

وللرضاعة الطبيعية آثار شتى فى الأطفال.

الأول: أنها تقلل عدد من يموت منهم. وقد ثبت من فحص ٢٠٫٠٠٠ طفل فى شيكاغو أن عدد الوفيات بين الذين يغذون بغير الثدى عشرة أضعاف الوفيات بين الذين يرضعون من الثدى. وقد شُنَّت فى إنجلترا حملة للحث على الرضاعة الطبيعية، فأفضت إلى خفض معدل وفيات الأطفال فى السنوات الثلاثين الماضية بمقدار ٦٦ فى المئة عما كانت عليه. وإذا أنت أرضعت ابنك رضاعة طبيعية، كان حظه من السلامة والنجاة من أخطار العام الأول، وهو أخطر عام فى حياته، ما بين ثلاثة أضعاف حظوظ الطفل الذى يتغذى بغير ثدى إلى عشرة أضعاف حظوظه.

الثانى: أن الرضاعة من الثدى تجعل الطفل أقل مرضاً، والأطباء كلهم مجمعون على هذا. ويدل الإحصاء الدقيق على أن ٦٤ فى المئة من الأطفال الذين يغذون ولا يرضعون الثدى أصيبوا بعلل فى الرئتين والحلق والمعدة والأمعاء فى العام الأول من عمرهم، على حين أن العلل لم تصب سوى ٣٧ فى المئة من الذين يرضعون الثدى.

الثالث: أن مص اللبن من حلمة المطاط الشائعة لا يضارع الرضاعة من الثدى، وليس له ما لها من الأثر فى تكوين الوجه والحلق. فالرضاعة من الزجاجة هى بعض السبب فيما يصاب به أطفال كثيرون من بروز الفك الأعلى وانخساف الذقن وتشويه الأنف وسقوط سقف الحنك. وهذه الأضرار التى تصيب تركيب الطفل تدخل الفساد على نبات أسنانه، وتمهد لالتهاب اللوزتين واللعوم والآذان وكهوف عظام

الجمجمة . وأغلب الرأى أن الرضاعة الطبيعية تقلل قدراً كبيراً مما ينفق على الطفل إذا كبر، من أجور أطباء الأسنان والمتخصصين فى الأنف والحنجرة .

الرابع : يعتقد كثير من الأطباء أن الرضاعة لا تمنح الأطفال الصحة وحسب ، بل تزيدهم أيضاً قدرة على الصبر وسكينة النفس . ومن المعروف أن ثمة أناساً لا يمسّهم المرض قط ، وهم أشد مقاومة للأمراض المعدية ، ولا عمل بينهم وبين الأطباء والجراحين والمستشفيات ، فأولئك بوجه عام رضعوا من أمهاتهم صغاراً . وليس مرجع هذا كله إلى الوراثة وحسب ، بل هى مناعة يكتسبها الطفل أيضاً فى أيام نشأته من طعامه ، ومن الرعاية التى يحاط بها .

— ٥ —

ما أثر الرضاعة فى الأم ؟ إن الإرضاع والرضاعة من الوظائف الطبيعية ، إذا هى أدّيت على الوجه الأكمل وجب أن تكون آثارها خيراً . ونحن نعلم الآن أن الرضاعة تساعد على نمو عقل المرأة وبدنها ، والثدى لا يصيبه ضرر من نشاطه فى الرضاعة . فإذا فطم الطفل أخذت غدة الثدى تضمر حتى تعود إلى شكلها السوىّ الأول. ولكن ينبغى أن ينال الثدى ما يجدر به من العناية قبل الرضاع وفى زمن الرضاع ، وبخاصة ما ينبغى من رفعه وشدّه حتى لا يسترخى ، فإن الذى يصيبه من التدلى ينشأ من قلة العناية وسوء الغذاء ، ولا علاقة له البتة بالرضاعة . ولو تعلمت المرأة من طبيب حكيم كيف تكون الرضاعة ، لصانت جمالها حتى وإن أرضعت عدداً عديداً من الأطفال. ومن اليسير توقى التهاب الحلمة وخراجات الثدى بالرعاية الطبية . ولم يقم دليل قط على أن الإرضاع يورث سرطان الثدى .

وإذا أصابت الأمهات ما ينبغى لهن من الطعام والراحة والرياضة كان لإرضاعهن أطفالهن أثر بيّن فى تحسن صحتهن . فبعد أن يولد الطفل تحدث رضاعته من ثدى أمه انقباضاً فى الرحم تمنع حدوث النزف، وتعين الرحم على أن يعود إلى طبيعته ، ومتى انقطع الطمث أتاحت حركة الثدى للمبايض فترة تنال فيها قسطها من الراحة . ومن أهم الأمور أن تنال الأم فى أثناء الرضاع طعاماً كافياً كاملا . وينبغى للأطباء أن يبذلوا من الجهد فى البحث عن غذاء كامل للمرضعات أكثر مما يبذلون لتلفيق شتى الوصفات لعمل اللبن الصناعى . وعلى الأم وهى ترضع ولدها أن تعرف ما وسعها كيف تدبر أمر معيشتها، وأن تعرف أضرار التدخين والخمر والقهوة التى تسرى فى الدم وينتقل أثرها إلى الرضيع ، وعليها أن تتجنب كثيراً من

العادات المستهجنة ، وأن تتحامى هياج الأعصاب وحدة الغضب . والأم العاقلة تستفيد لنفسها من الرضاعة ذخراً ينفع صحتها فى حاضر أيامها ومستقبلها .

والرضاعة الطبيعية ، كما نعرف ، مهمة شاقة رتيبة ، إذ تظل الأم بضعة أشهر أمَةً مطيعة لابنها الذى يجب أن يرضع كل ثلاث ساعات أو أربع ، ويكون عليها فى الوقت نفسه أن تقوم بعملها فى المنزل . فهى إذن فى حاجة إلى نظام دقيق تأخذ به نفسها ، فلا يتسع لها أن تنال نصيبها من المتع كالنزهة ومعاشرة الناس والرحلات والملاهى ، بيد أن العوض الذى تعتاضه غنيمة لا تقدر ، فهى تتعلم الإيثار والحب ، وهى تصيب قسطاً عظيما من الغبطة حين تفيض على رضيعها ما يزيده صحة وقوة وجمالا . وهذا الشعور هو قوام سعادة المرء فى الحياة ، فإن أكثر ما يجلب الحزن على الآباء هو ما يلحق ذُرّيتهم من آفات تصيب العقل أو البدن .

— ٦ —

ترى لِمَ كتب على كثير من الأطفال أن يرضعوا من زجاجة لا من ثدى ؟ يقال إن ٧٠ فى المئة من الأطفال فى أمريكا يولدون فى مستشفيات الولادة ، ويفطمون عن الثدى بعد أسبوعين ، فهل هذا ذنب الأطباء أم ذنب الأمهات ؟ إن الأطباء المولدين ينصحون بالرضاعة الطبيعية ، مدركين قيمتها فى نقاهة الوالدات ، غير أن أطباء الأطفال الذين تقع على كاهلهم تبعة العناية بالمثريات من الأمهات لا يولونها ما هى خليقة به من التقدير . والنساء أشد إيثاراً لإرضاع أولادهن من الزجاجة ، ولا سيما ذوات الثراء . فلأى سبب يكثر فطام الطفل عن ثدى أمه قبل الأوان ؟

يقول الدكتور هنرى ديتريش بعد أن فحص ٣٧٠ حالة فى حرمان الأطفال لبن الأم ، أن ثمة خمسين سبباً مختلفة تتخذ معاذير لهذا الحرمان : منها قلة اللبن ، أو عيب فيه ، أو عدم زيادة وزن الطفل عليه ، أو ضعف الأم ، أو تشقق الحلمة ، أو «واجبات الأم» فى المجتمع وهذه معاذير لا يؤخذ بها ، فإنّ ٩٠ فى المئة منهنّ قادرات على إرضاع أطفالهن . ولا يمنع الأم من إرضاع طفلها منعاً باتاً إلا الحمل والسل والسرطان ، وبعض أمراض أخرى .

إن الأسباب التى صرفت الأمهات عن الرضاعة الطبيعية ، هى أسباب فسيولوجية وخلقية معاً . فالأم فى هذا العصر ليس لها من تعليمها ولا عاداتها ما يهيئها للأمومة ومقتضياتها . فهى لا تتعلم قيمة الوظائف التى يؤديها الثدى ، والحبل متروك لها على الغارب فى اختيار ما يحلو لها من أسوأ

عادات الطعام ، فهى لا تأكل زمن الحمل والرضاع ما ينبغى لها من غذاء يدرّ اللبن ، ولا تعنى عناية علمية بثدييها وحلمتيهما اللتين يجب أن تدلكا أثناء الحمل دلكاً رفيقاً بشحم الحيوان بين الحين والحين ، وهن لا يدركن أن الرضاعة كالحمل وظيفة عضوية لا غنى عنهـا ، فما أسرع ما يستجبن إلى طبيب الأطفال فيصرفن أطفالهن عن الثدى إلى لبن الزجاجة .

ويرى كثير من الأمهـات أن عملهن ومستقبلهن وشهواتهن الاجتماعية أهم من رعاية أطفالهن ، ولا يدركن أن المرأة إنما خلقت للأمومة . وقد كتبت أم شابة منذ بضع سنين إلى «مجلة الآباء» تأسى لما تلقاه، لأن « الأطباء لا يقدرون فداحة ما تبذله الأم من وقتها وجهدها » فى إرضاع ولدها. والعجيب أن أحداً ما لم يأسَ قط على ما أنفق من وقت وجهـد فى خلق آية من روائع الفن أو العلم أو الهندسة ، فليس يجمل بأم أن تشكو مما تلاقى من صعاب ، فإن الطفل القوى السليم أروع عمل وأبدعه .

والأم فى العصر الحديث فريسة فى مخالب البيئـة الاقتصادية والبيئة العقلية ، فقـد ضرب المجتمع صفحاً عن قوانين علم الحياة ، وبخاصة قانون النسل . فالبنات قد حُرِمن من معرفة العمل الذى خلقن له وجهلن قدره فى حياة البشر ، بل صرن يتعلمن ما يتعلمه الصبيان ، وصرن بمنزلة الذكور ، لهنّ مالهم فى الحياة ، وعلهن ما عليهم ، فصار على المرأة أن تعول نفسها كما يفعل الرجل . فكيف يتأتى لعاملة فى مصنع أو مكتب ، أو لمدرّسة أو محاميـة أو طبيبة أو تاجرة أو امرأة باحثـة عن ملاذّ الحياة ، أن ترضع طفلها ثلاثة أشهر أو أربعة هى الحـدّ الأدنى للرضاعة ؟

وفضلا عن ذلك فإن قواعد الصحة فى هذا العصر قد ألقت عبئاً ثقيلا على كواهل الأمهات ، إذ أصبحت تنشئة الطفل تنشئة كاملة تتطلب أدقّ العناية ، ولقد أصبحت حاجة العالم اليوم إلى شـباب قوى العقول والأبدان، أمسّ مما كانت فى أى عهد مضى فى تاريخ الحضارة .

ترى أيهما خير : أن يرضع الطفل من ثدى أمه أم من الزجاجة ؟ هذا سؤال يخفى وراء بساطته الخادعة حقيقة هائلة. والجواب متروك للأطباء والأمهات ، ولكل رجل وامرأة فى الأمة ، بل للجنس البشرى كله . إن الأم وهى ترضـع ولدها تؤدى واجبها الأسمى الذى تقتضيها إياه الجماعة ، ولـكن ينبغى للجماعة أن تمنحها من الثقافة وتهذيب الأخلاق والمعونة ، مدداً لا غنى لها عنـه فى أداء هذا الواجب النبيل المقدّس .

فتيان وفتيات فى مدرسة ريفية يحققون أحلامهم وأمانيهم .

شباب مدرسة يمهدون الطريق

بليك كلارك

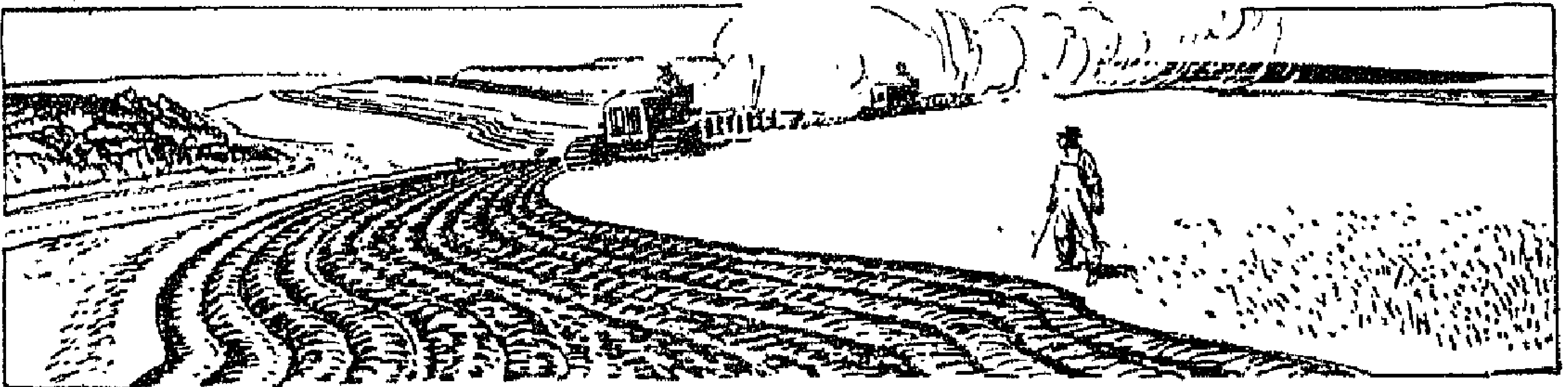
مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

« يستطيع الأولاد والبنات أن يصنعوا المعجزات بأيديهم بغير معين، وقد يحتاجون أول الأمر إلى المعاونة فى تهيئة مشروعاتهم ، فإذا ما بدأو يعملون فخذ حذرك ، فلربما بذُّوك وغلبوك » .

هذا هو رأى جيمس كريتزبرج ناظر مدرسة هولتفيل الثانوية ، أوفر المدارس نشاطاً فى ألاباما بجنوب الولايات المتحدة .

وتعجّ هذه المدرسة بأعمال يتولاها الطلبة أنفسهم تنفع زرّاع تلك الجهة : من ذبح مواشيهم إلى تصفيف شعور نسائهم . وقد نفث الطلبة بنين وبنات روحاً جديدة من الهمة والإقدام فى نفوس الأهلين بإدخالهم طرائق الزراعة الحديثة ، وإعادة طلاء المنازل ونقشها ، وتعويد أحسن العادات الصحية ، وتدبير أنواع من الرياضيات ، إلى غير ذلك. وهم فى الوقت نفسه يتدربون على حمل تبعات المواطن الصالح ، وكل ذلك لا يحول دون تبريزهم فى الدراسة .

كانت بلدة هولتفيل منذ ست سنين لا تزيد على مئة بيت منتثرة على طول الطريق، قلما يجد فيها الشباب الطموح ما يحفزه إلى العمل والإصلاح . وكانت منازلها المبنية من الخشب لم يمسسها طلاء ، وتأكل خشبها من طول تعرضه لاختلاف الجو، فاستحالت كالحة دكناً . وكانت أفنيتها تربة فى الصيف موحلة فى الشتاء . وكان الزراع لا يغلون من حقولهم التى عرّتها عوامل الجو سوى قليل من القطن الذى أتلفته الدودة ، وبعض الدجاج الهزيل والمواشى العجاف . وكانت



نساؤهم تلقى أشد التعب من طهى الطعام على مواقد توقد بالخشب ، فتلفح حرارتها وجوههن . وكان عشاؤهم لا يعدو فى أغلب الأحيان ذلك العيش الجاف المصنوع من دشيشة الذرة واللحم المملح . ولم تكن البلاد المجاورة ، التى يأتى منها ثلثمئة طالب تحملهم السيارات كل صباح إلى مدرسة هولتفيل ، أحسن حالاً .

وفى صباح يوم من ربيع ١٩٣٨ ، دخل ستة من الطلبة على ناظر المدرسة ، وكان قوى الشكيمة حلو الحديث، ليبثوه شكواهم فقال له أحدهم : « أيكون مصيرنا بعد عشر سنين أن نصبح زراعاً فقراء ، تمضى الأعوام ولم ندخر من عملنا صفراء ولا بيضاء ؟ » وقالت فتاة : « أود أن يكون لى فى الحياة مجال غير جمع الخشب وحمل الماء من البئر » . وأرادوا أن يعرفوا لماذا لا تكون بلدتهم خيراً مما هى عليه وأحدث .

وفهم كريتزبرج ما يرمون إليه ، فقد كان هو نفسه يعمل فى المزارع يوم كان صبياً . وتحاشى أن يلقى إليهم بأية نصيحة ، وكان فى ذلك حكيما بعيد النظر . فتحدث إليهم حديث المتحمس عما يمكن تحقيقه بسعة الحيلة والتفكير . وخرج الطلبة وقد آمنوا بأن فى أيديهم وحدهم أن يختاروا الوسائل التى تؤدى إلى تحسين حالهم ، ثم يعملون بعد ذلك بكل ما أوتوا من قوة على تحقيقها .

وأوحى كريتزبرج بعد أيام قلائل إلى ج . ر . فورمبى المتخصص فى الصناعات الزراعية بالمدرسة ، أن يبحث فى اجتماع عام للطلبة مسألة ما يضيع على زراع الجهة من لحم الماشية التى يذبحونها كل عام ، وهو يختلف بين ٢٥ فى المئة و ٥٠ فى المئة . وقال فورمبى إن المال يضيع سُدًى ، وإن الأهلين يحرمون أكل اللحوم الطازجة التى هى غذاء جوهرىّ فى الشتاء ، ثم أشار عرضاً إلى طريقة حديثة لحفظ اللحم ، وهى صناديق تبريد الأغذية وحفظها .

وبعد انتهاء الاجتماع بخمس دقائق ، ذهب جماعة من الطلبة إلى كريتزبرج وقالوا له : « ألا يمكن أن نذبح الماشية هنا ، ويكون عندنا فى المدرسة آلات للتبريد وصناديق لحفظ المأكولات ؟ »

فسألهم : « هل يعرف أحدكم كيف يذبح الماشية ؟ »

فأجابوا : « نحب أن نتعلم ، وسيعلمنا مستر فورمبى » .

فاعترض كريتزبرج بقوله : « إن ذلك يقتضى عملا كثيراً » .

فقالوا له : « إذا أنت جئتنا بالمال قمنا نحن بالعمل ! »

وكان هــذا هو ما يريد كريتزبرج أن يسمعه منهم ، فطلب إلى بعض الزراع من طلاب القسم الليلى فى المدرسة أن يضمنوا المدرسة فى قرض تقترضه ، فأخذ مبلغ ١٣٫٥٠٠ ريال من مكتب التسليف الزراعى الحكومى تدفع على خمس سنوات ، بفائدة قدرها ثلاثة فى المئة . ولم يمض أسبوعان حتى بدأ الأولاد يحفرون أساس المذبح الجديد .

وجاء مهندس لتركيب آلة التبريد ، وسرعان ما أخذ الطلبة الجزارون يتولون تمليح اللحم ، وصنع السجق وإذابة الشحم وحفظه . وكان الطلبة يؤجرون صناديق التبريد للزراع ، ودرجة حرارتها ٣١ تحت الصفر ، حيث يخزنون فيها ما لديهم من لحم الماشية والدجاج والفواكه والخضر مقابل ريال واحد فى الشهر . فما وافت سنة ١٩٤٤ حتى سددوا القرض وبلغ دخلهم ٣٨٨٠ ريالا فى تلك السنة .

ولم ينس كريتزبرج فتيات مدرسته ، فقد دعا مسز مارجريت هولت لتقص على الطالبات كيف رأت أن صناعة تعبئة المأكولات فى العلب ، فى المدارس التى زارتها فى ولاية جورجيا ، كانت ذات فائدة لأهل الريف . واختتمت كلامها بقولها : « إن إتقان تعبئة المأكولات يزيد دخل الأسر الزراعية ٣٠٠ ريال فى العام » .

ودخل على كريتزبرج مرة أخرى جماعة من البنات وذكرن له رغبتهن فى فى افتتاح مصنع لتعبئة المأكولات . واتفق كريتزبرج ، بعد أن أخذ عليهن المواثيق بالجد فى العمل ، على أن يقترض أدوات من مصنع معطل يقع على بعد ٦٠ ميلا من المدرسة .

ونشرت البنات رسالة فى تعبئة المأكولات وحثثن النساء على إرسال الخضر الغضة ، وحرصن على أن لا تزيد المدة بين قطف الخضر وحفظها فى العلب على ساعتين . وكان الأجر الوحيد الذى يتقاضينه هو ثمن الصفائح وسبعة مليمات للتعبئة . وفى خلال سنة استطاعت المدرسة أن تملأ رفوف ١٣٥ بيتاً من بيوت الزراع بثمانية آلاف علبة من الذرة والبامية والطماطم والخوخ والبرقوق والكمثرى .

وفى اجتماع آخر بيّن المحاضر للطلبة أن الدجاج الهزيل لا ينتج سوى نصف مقدار البيض اللازم لتغذية أسرهم تغذية وافية . وسرعان ما عالج الطلبة هذه المسألة بأن أعدوا مصنعاً للتفريخ ، واشتروا عدداً وفيراً من الدجاج الجيد ، وباعوها للزراع بعد أن اتفقوا معهم على أن تشترى منهم مصنع

التفريخ فى المدرسة ، بيض هـذا الدجاج بسعر يزيد ٤ قروش على سعر السوق لكل ١٢ بيضة . وفى سنة ١٩٤٤ ، فرّخ الطلبة ٨٠٫٠٠٠ من الفراريج وباعوها، فجمعوا من ثمنها ٢٢٩٥ ريالا .

والآن وقد ضرب المثل، توالت المشروعات الجديدة سراعاً حتى لقد كان من العسير أن يجدوا عدداً كافياً من المتمرنين لكى يديرها . وكان الطلبة فى بعض الأحيان يقومون بأعمال من تلقاء أنفسهم ، فقد بنوا خزان ماء سعته ١٨٫٠٠٠ جالون ، وجلبوا إليه الماء من سبع عيون ، ثم مدوا الأنابيب إلى المدرسة . وساعدوا أصحاب المنازل فى تركيب المضخات ، فمهدوا لإنشاء نظام للمياه الجارية والحمامات الحديثة فى كثير من المنازل . وكذلك زوّد الكهربائيون من الطلبة كثيراً من المنازل وكنيسة البلد بالأسلاك الكهربائية ، وهيأوا لمسرح المدرسة ما يحتاج إليه من الأنوار . وقام طلبة السنة الثانية ممن أوتوا موهبة النقش بتزيين منازل البلدة، فطلوا الأثاث وأصلحوا المقاعد وتفننوا فى عمل أغطية السرر من أكياس الحبوب الفارغة .

وعمل المتخصصون فى الأغذية منهم على تكثير ألوان الطعام فى أسرهم ، وأبدلوا برغيف الذرة ، الذى كان يأكله الفلاح ، رغيف القمح الخالص . وفى السنة الماضية فازت الطالبة فرانسيز جيبون فى مسابقة شملت أسر الولاية بأجمعها لتحضير أنفع وجبات الطعام وأكثرها تغذية .

وحين شرع طلبة مدرسة هولتفيل الثانوية فى بث روح النهضة فى مقاطعتهم ، كانت حاجتها ماسة إلى الآلات الزراعية . وكانت الحكومة قد طلبت زيادة إنتاج زيت الفول السودانى ، بيد أنه لم يكن بينهم من يستطيع شراء آلة لجمع الفول السودانى، ويبلغ ثمنها ٦٥٠ ريالا ، فاشترت المدرسة بما جنته من أرباح مصنع التفريخ آلة جمع الفول وأجرتها للزراع ، فلم يبق مزارع إلا زرع أربعة فدادين إلى عشرين فداناً من الفول السودانى ، وجنوا ربحاً قدره ٧٠ ريالا عن كل فدان .

واشترى الطلبة بما اكتسبوه من آلة جمع الفول آلات زراعية أخرى ، فأداروا آلة لقطع النبات ، تقطع فدان الشوفان مقابل ريالين، ومكبساً لكبس التبن وتهيئته فى بالات فى مقابل ٣ ريالات للطن . وباع كثير من الزارعين ما قيمته ٣٠٠ ريال من التبن بعد أن اختزنوا ما يكفيهم منه للشتاء .

وسرعان ما أخذ مزارعو هولتفيل فى حرث أرضهم بالمحاريث الآلية ، وضم

قمحهم بآلات الفم التى يديرها الطلبـة . ثم أخذوا يطحنون حبوبهم فى المطحن الذى يديره الطلبة .

وقد خطط طالبان ٥٠٠٠ فدان من الأرض بالمحاريث الآلية ووقوها بذلك شر التعرية ، وساعدوا أهل المقاطعة على تخطيط عدة آلاف أخرى من الأفدنة . وفى هذه الأرض جذور ٦٥٫٠٠٠ شجرة وهبتها إحدى الشركات للمدرسة ، وقام الطـلاب على زراعتها بأنفسهم .

كانت هذه المقاطعة منـذ ست سنوات لا تنتج سوى محصـول واحد ، فأصبحت اليوم تزخر بالبساتين الغنـاء التى ينشرح الصدر لرؤيتها . ولما وثق طلبة الزراعة فى المدرسة بأن زراعة الخوخ أجـدى على الزارعين من زراعة القطن ، ساعدوا الفلاحين على زراعة ما يزيد على ٥٠٫٠٠٠ شجرة خوخ ، وتعهدها الطلبـة بالرش والتبخير وعالجوها بما يقيها شر الحشرات الثاقبة . وربح أحدالمزارعين فى السنة الماضية ١٠٠٠ ريال من بيع الخوخ ، وربح آخر ٣٥٠٠ ريال من بستان مساحته ١١ فداناً .

ويخرج مصنع الخشب ومصنع الآلات بمدرسة هولتفيـل أسرّة من الخشب ، وعربات الأطفال المعدنية وأراجيحهم ، وأدوات الألعاب الرياضية، وأعمدة الأسوار.

ويصنع الطلبـة أيضاً آلات تسميد يمكن تحويلها إلى آلة سريعة لبذر الحبوب، بإدخال تغيير لا يستغرق عشر ثوان . ويشـترى الزراع الآلة من هذه الآلات بمائة ريال .

ويصنع الكيميائيون من الطلبة مطريّات الوجه،ومسحوق تنظيف الأسنان،وغسول اليد، والصابون السائل، ويبيعونها. وتدير جماعة من البنات المهتمات بشئون التجميل ، دكاناً نظيفاً للتزيين كامل المعدات ، يختلف إليه نحو ٥٠ من النساء . وتدفع الطـالبة ٤ قروش لغسل شعر الرأس ، ويدفع غير غير الطلبة سـتة قروش . ويبلغ متوسط ما يغله الدكان فى الأسبوع ١٠ ريالات يشترون بها معدات جديدة . وقد صح عزم الجماعة على شراء آلة لتجعيد الشعر تتم بها معدات الدكان .

على أن الطلبـة الذكور الثمـانية الذين أرادوا تعلم الحلاقة لم يصيبوا من النجاح ما أصابته جماعة الفتيات . فقد اشتروا كرسى حلاق وحوضاً من الصينى من دكان أغلق أبوابه فى بلدة مجاورة ، وشرعوا يقصون شعر تلاميذ المدرسة بأجر قـدره قرشان ونصف ، ولـكنهم لم يتقدموا تقدماً مرضياً بدون مدرب متمرن . وأخيراً عمدوا إلى إقامة حفلات راقصة وإلى بيع الحلوى، فجمعوا

٦٥ ريالا بعثوا بها أبرعهم ليتدرب مدة ستة أسابيع فى إحدى مدارس الحلاقة والتزيين . وعاد الشاب، ولكن عرض عليه عمل أجدى فى محل آخر، فلم يستطع أن يرفض، فسدد القرض الذى تعلم به. وكذلك أغلق دكان الحلاقة أبوابه .

ويشرف على مال منشآت المدرسة جماعة من الصيارفة الشبان ذوى الكفاية من فتيات وفتيان . درسوا التجارة فى نفس المدرسة ، فهم يمسكون دفاتر الحسابات ، ويقبلون الودائع والأمانات ، ويقرضون القروض ، ويحسبون الفوائد . ويبلغ متوسط معاملاتهم ٣٠٠ ريال فى اليوم .

ولقد أتاح طلبة المدرسة لأهالى البلدة المتشوقة إلى الرياضة ، أنواعاً كثيرة من الملاهى والرياضات ، فهم يعرضون كل ليلة سبت فلماً سينمائياً كاملا ، وأفلاماً قصيرة أخرى للأخبار يشهدها نحو ٢٠٠ شخص إلى ٥٠٠ شخص بقاعة المحاضرات العامة فى المدرسة. وأجر الدخول قرشان ونصف. وفى كل ليلة أربعاء يجتمع الزراع وزوجاتهم بفناء الألعاب بالمدرسة فيلعبون شتى الألعاب الرياضية. وتدير المدرسة أيضاً مكتبة لإعارة الكتب والمجلات والألعاب المنزلية كالنرد والشطرنج وغيرها .

وقد اضطرت المدرسة أن تزيد مبانيها حتى تتسع لكل أنواع النشاط المختلفة . فاشترت بمالها الأكواخ والحظائر المهجورة وحولتها إلى ٢٥ مبنى من الخشب منتثرة فى أرض المدرسة التى بلغت ٥٤ فداناً .

إن أنواع النشاط العديدة التى يقوم بها طلبة هذه المدرسة تحفزهم إلى الدراسة ولا تعوقهم . ولقد نقص عدد الذين يتركون المدرسة قبل التخرج من ٤٥ فى المئة إلى ٢٥ فى المئة. ودلت المقارنة بين خريجى مدارس ولاية ألاباما الثانوية الذين يدخلون الكليات، على أن طلبة مدرسة هولتفيل الثانوية من بنين وبنات ، كانوا هم الأوائل فى سنة من السنين ، وكانوا دائماً فى طليعة الناجحين . ولم يحدث أبداً أن رسب أحدهم فى مادة من مواد الدراسة .

وأنت تشهد اليوم فى هولتفيل روحاً جديدة ، فترى الزراع الآن يمرون على حقول الحنطة والشوفان والقطن وبساتين الخوخ وأفنية البيوت، وقد اكتظت بالمواشى السمينة الأصيلة والدجاج الجيد، وقد أخذهم الزهو والفرح . وتفخر الزوجات ببيوتهن النظيفة المطلية تحيط بها خضرة المروج . ولقد تحسنت صحة الناس حين صار طعامهم أجود مما كان وأكثر ألواناً. والأولاد والبنات جميعا يفخرون ببلدهم ويعتزون ، فهو بلد قد أصاب رخاء ونعمة صنعوها له بأيديهم .

رجل من ثقات المذهب الواقعي في السياسة ، يعرض رأيه في سياسة أمريكا الخارجية — ولاسيما سياستها حيال روسيا .

السياسة العالمية الوحيدة التي تجدي

جوزيف پ . كندي
سفير الولايات المتحدة السابق في بريطانيا العظمى

مختصرة من مجلة "لايف"



السياسة العالمية كما أراها — مذهبان متباينان ، ولا بدّ للولايات المتحدة من أن تختار أحدهما . أما المذهب الأول فيقوم على أن السعي بثبات وبإصرار إلى إقامة النظم الديمقراطية الحرة في العالم ، سيؤدي إلى بلوغه مرتبة رفيعة من المدنية الراقية ، بحيث ينتهي نشوب الحرب ، أو الخوف من الحرب . والسلم ، في نظر هذا المذهب ، هو ثمرة التقدم .

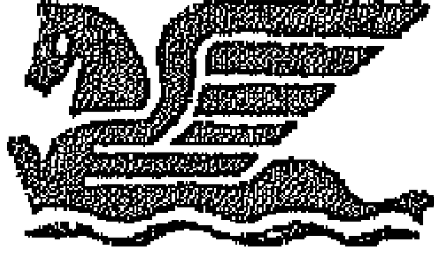
وهذا المذهب ، من جهة الرأي ، مذهب معقول ، لأنه سيفيد من جماع العوامل والنوازع التي تجاهد في سبيل إقامة عالم أفضل ، وسيجذب إليه أنصاراً تتقد قلوبهم بالحماسة والإخلاص والتفاؤل ، ولكني أعتقد أن هذا المذهب تشوبه ثلاثة عيوب جوهرية .

فالعيب الأول : هو أنه سيؤدي ، بطبيعته ، إلى توريط الولايات المتحدة في سياسة تحملها على الاهتمام بشئون غيرها في نطاق عالمي لم يسبق لها أن بلغته أو تدبرت عواقبه من قبل .

والعيب الثاني : مستفاد من التاريخ ، إذ كان يدلنا على أن الأمم التي بلغت شأواً بعيداً من التقدم ، هي في الغالب أمم خاضت غمار حروب كثيرة ، كاليونان ، وروما ، وإسبانيا ، وفرنسا ، وبريطانيا العظمى ، والولايات المتحدة . وليس في التاريخ دلالة تدلّ على أن الدنيا خليقة أن تنعم بالسلم إذا ما بلغ العالم كله ، وآسية أيضاً ، مرتبة التقدم التي بلغتها فرنسا مثلاً .

والعيب الثالث : وهو أخطرها ، مردّه إلى أن الأمم المتأخرة لو تبدّل أمرها فأصبحت أمماً محاربة ، أو لو انقلبت دولة

هـذه قسيمة يفصلها بائع الصحف
الذى باع هـذا العـدد من المختار



إلى بائع الصحف

هذه قسيمتك ، افصلها ، واجمع كل ما تستطيع جمعه من القسائم ، فإن قيمتها عظيمة وعلى كل منها رقم خاص بها . فقد تقع يدك على رقم أو أكثر من الأرقام الرابحة

كل شهر ١٢٥ جنيهاً

توزع فى

١٠٠ جائزة مالية

أ

نمرة ٥٣١٣٩

اترك بقية هذه القسيمة
للقارئ الذى يشترى هذه النسخة منك

سيتم سحب الأرقام الرابحة فى دار المختار
فى القـــــاهرة

فنى كل شهر سوف يسحب ١٠٠ رقم يعطى
أصحابها من باعة الصحف جوائز ماليـة —
وسوف تنشر الأرقام الرابحـــــة فى الصحف
المحلية فى الأقطار العربية .

سوف توضع القسائم فى أعداد أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر
من المختـــــار

المختار

تقدم "المختار" تهانئها إلى قرائها الكرام بشهر رمضان المبارك وتهدى إليهم هـذه الإمساكية مع تحياتها .

وهى تغتنم هذه الفرصة فتعلن لهم كيف يظفرون بغير مقابل ، بكتاب مجلد تجليداً فاخراً يضم فى ٩٦ صفحة أجود المقالات التى نشرت فى المختار فى موضوع « فنّ الحياة » .

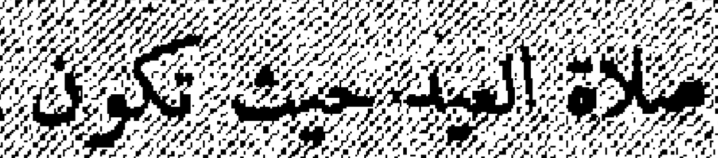
وقد طبعت هذه المجموعة المنتقاة لقراء مجلة المختار خاصةً ، احتفالا بانقضاء عامها الثالث منـذ ظهرت فى اللغة العربية .

وعنوان هـذا الكتاب : « هل أنت حىّ » .
ولن يُعرَض للبيع .

رمضان ١٣٦٥

١٣٦٥

تواريخ			مواقيت الصوم والصلاة															
الأيام	رمضان ١٣٦٥	يوليو ١٩٤٦	مغرب		عشاء		سحور		إمساك		فجر		شروق		ظهر		عصر	
الإثنين	١	٢٩	٥١	٦	١٩	٨	١٢	١	١٢	٣	٣٢	٣	١١	٥	٠١	١٢	٣٧	٣
الثلاثاء	٢	٣٠	٥٠		١٨		١٣		١٣		٣٣		١٢		٠١		٣٧	
الأربعاء	٣	٣١	٥٠		١٧		١٤		١٤		٣٤		١٣		٠١		٣٧	
الخميس	٤	أغسطس	٤٩		١٦		١٥		١٥		٣٥		١٣		٠١		٣٧	
الجمعة	٥	٢	٤٨		١٥		١٦		١٦		٣٦		١٤		٠١		٣٧	
السبت	٦	٣	٤٨	٦	١٤	٨	١٧	١	١٧	٣	٣٧	٣	١٥	٥	٠١	١٢	٣٧	٣
الأحد	٧	٤	٤٧		١٣		١٧		١٧		٣٧		١٥		٠١		٣٧	
الإثنين	٨	٥	٤٦		١٢		١٨		١٨		٣٨		١٦		٠١		٣٧	
الثلاثاء	٩	٦	٤٥		١١		١٩		١٩		٣٩		١٧		٠١		٣٧	
الأربعاء	١٠	٧	٤٤		١٠		٢٠		٢٠		٤٠		١٧		٠١		٣٧	
الخميس	١١	٨	٤٤	٦	٠٩	٨	٢١	١	٢١	٣	٤١	٣	١٨	٥	٠١	١٢	٣٧	٣
الجمعة	١٢	٩	٤٣		٠٨		٢٢		٢٢		٤٢		١٨		٠٠		٣٧	
السبت	١٣	١٠	٤٢		٠٧		٢٣		٢٣		٤٣		١٩		٠٠		٣٦	
الأحد	١٤	١١	٤١		٠٦		٢٤		٢٤		٤٤		١٩		٠٠		٣٦	
الإثنين	١٥	١٢	٤٠		٠٥		٢٥		٢٥		٤٥		٢٠		٠٠		٣٦	
الثلاثاء	١٦	١٣	٣٩	٦	٣	٨	٢٦	١	٢٦	٣	٤٦	٣	٢١	٥	٠٠	١٢	٣٦	٣
الأربعاء	١٧	١٤	٣٨		٢		٢٧		٢٧		٤٧		٢١		٠٠		٣٦	
الخميس	١٨	١٥	٣٧		١		٢٧		٢٧		٤٧		٢٢		٥٩	١١	٣٥	
الجمعة	١٩	١٦	٣٦		٠٠	٨	٢٨		٢٨		٤٨		٢٢		٥٩		٣٥	
السبت	٢٠	١٧	٣٥		٥٨	٧	٢٩		٢٩		٤٩		٢٣		٥٩		٣٥	
الأحد	٢١	١٨	٣٤	٦	٥٧	٧	٣٠	١	٣٠	٣	٥٠	٣	٢٣	٥	٥٨	١١	٣٤	٣
الإثنين	٢٢	١٩	٣٣		٥٦		٣١		٣١		٥١		٢٤		٥٨		٣٤	
الثلاثاء	٢٣	٢٠	٣٢		٥٥		٣٢		٣٢		٥٢		٢٤		٥٨		٣٣	
الأربعاء	٢٤	٢١	٣١		٥٣		٣٢		٣٢		٥٢		٢٥		٥٨		٣٣	
الخميس	٢٥	٢٢	٣٠		٥٢		٣٣		٣٣		٥٣		٢٦		٥٨		٣٣	
الجمعة	٢٦	٢٣	٢٩	٦	٥١	٧	٣٤	١	٣٤	٣	٥٤	٣	٢٦	٥	٥٨	١١	٣٢	٣
السبت	٢٧	٢٤	٢٨		٥٠		٣٥		٣٥		٥٥		٢٧		٥٧		٣٢	
الأحد	٢٨	٢٥	٢٧		٤٨		٣٦		٣٦		٥٦		٢٧		٥٧		٣١	
الإثنين	٢٩	٢٦	٢٦		٤٧		٣٧		٣٧		٥٧		٢٨		٥٧		٣١	
الثلاثاء	٣٠	٢٧	٢٥		٤٦		٣٨		٣٨		٥٨		٢٩		٥٧		٣١	


صلاة العيد حيث تكون الساعة ٥,٥٦ صباحاً

كيف تظفر بنسختك من كتاب "هل أنت حيٌّ"

سوف تظهر فى أعداد أغسطس وسبتمبر واكتوبر ونوفمبر من المختار قسائم ، كهذه وعلى كلٍّ منها تاريخ العدد الذى ترفق به .

فإذا أردت أن تظفر مجانا بنسختك من هذا الكتاب الجديد ، فما عليك إلاّ أن تفصل هذه القسائم ، فإذا جمعت ثلاثا منها من ثلاثة أعداد من أشهر مختلفة ، وأرسلتها إلينا ، بعثنا إليك بالبريد نسخة من هذا الكتاب بغير ثمن .

ولا ترسل إلينا القسائم متفرقة بل اجمع الثلاث ، وارسلها بالبريد ومعها إسمك وعنوانك إلى « المختار ١٤ شارع القاصد بالقاهرة » . ولا تعطى سوى نسخة واحدة من الكتاب لكل قارىء .

(وفى كل قسيمة جزء خاص ببائع الجرائد الذى اشتريت منه نسختك ، والرقم المسجل عليها قد يتيح له أن يظفر بجائزة مالية فى سحب تجريه المجلة فى دارها .)

ونحن على ثقة بأن هذا الكتاب لن يكون ذخيرة تفخر بها مكتبتك وحسبُ ، بل ستجد فى كل مقالة منه ، ملهماً وحافزاً ومرشداً .

فمن أحب فصوله إلى القراء : —

- افعل ما تهيبه .
- لا تنتظر إذا أردت أن تحيي .
- أطع هذا الحافز .
- اتخذ من المرض مزية .
- تستطيع أن تكون شيئاً وأنت وحدك .

هذه القسائم لن توضع فى نسخ المشتركين ، وسترسل إلى حضراتهم رسائل خاصة بالبريد تبين لهم كيف يستطيعون أن يظفروا بنسخة من كتاب : « هل أنت حيٌّ » .

مطبعة بول باربيه

كبيرة فصارت غازية معتدية ، لم تجد فى هذا المذهب خطة موضوعة خاصة تمنع نشوب حرب شاملة ، أو تكفل النصر فيها إذا ماوقعت .

فلندرس الآن سياسة الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر ، لنعرف هل تورطها هذه السياسة من الاهتمام بشئون غيرها توريطاً واسع النطاق ؟ وأنا أزعم أنها فعلت ، فقد تورّطت مثلا فى انتخابات اليونان ، وفى الخلافات العنصرية فى فلسطين ، وفى المنازعات القائمة حول المبادىء والسياسات فى البلقان ، كما ورطت نفسها فى شئون الهند وإسبانيا والأرجنتين ، وفى مشاكل الشعوب غير المستقا. أينما وُجدت. ولكن هل فى هذه السياسة أى ضمان للولايات المتحدة عند نشوب حرب كبرى ؟ لست أرى إلا دلالات ضئيلة على مثل هذا الضمان. وقد حدث فى الولايات المتحدة أن تبينت للرأى العام مطالب ، ولكنه لم يجد قيادة قوية رشيدة ، فأدى ذلك إلى تحطيم قوتها العسكرية الجبارة التى كانت تملكها منذ أشهر قليلة . فلو تدبرنا هذا أدركنا أنه ليس من المتوقع أن تنجح الولايات المتحدة فى اتباع سياسة عسكرية بعد الحرب يبلغ من قوتها أن تكفل خيرضمان لمنع الحرب . ومن سوء الحظ أنها لاتستطيع أن تقدم لغيرها أى ضمان ينفى أخطار حرب كبرى ، أو إن فعلت فهو ضمان لايكاد يغنى . ذلك بأن حق الاعتراض (الفيتو) الممنوح للدول الكبرى فى مجلس الأمن ، يجعل تلك الهيئة لا نفع فيها من حيث هى أداة لقمع العدوان الذى تقترفه دولة كبيرة أو من ينتسب إليها من دول صغيرة . وربما كانت هيئة الأمم المتحدة تستطيع أن تقمع الحروب الصغيرة لا الحروب الكبيرة .

فمن البيّن إذن أن سياسة الولايات المتحدة العالمية فى الوقت الحاضر ، تجعلها ترضى بأن تواجه المخاطر التى تعمل على تهيئة أسباب الحرب ، وتفعل ذلك باسم المروءة والنجدة ، دون أن يكون هناك ضمان كاف مانع للحرب . فواضح أن هذا المذهب غير عملى وأنه محفوف بالمخاطر .

وأقترح أن يحل محله مذهب صالح للتنفيذ يعترف باحتمال نشوب حرب عالمية أخرى تتهيأ منذ الآن أسبابها ، وأنها ستقضى القضاء المبرم على تقدم العالم . وعلى ذلك ينبغى أن يحصر العالم كل جهوده فى السعى إلى منع نشوب حرب أخرى ، وإن أدى هذا إلى تعويق تقدم العالم . وحجة هذا المذهب أننا لو نجحنا لازدهر التقدم من جديد من تلقاء نفسه، وذلك أنه ينبغى أنْ نعرف أنّ التقدم هو ثمرة السلم ،

لا أن نظن أن السلم هو ثمرة التقدم .

وهذا المذهب يكفل لأمريكا أن يكون لهـا من القوة مايمكنها إذا نشبت حرب عالمية أخرى ، من أن تجعلها قصيرة الأجل حاسمة الضربة ، قاضية على المعتدى .

وإذا اعتبرنا أن احتمال نهوض أعدائنا ثانية إلى الغزو من جديد هو من قبيـل المخاطر غير المتوقعة فى المستقبل القريب ، فلايزال هناك عاملان قد يؤديان وحدهما — أو مرتبطين معاً — إلى نشوب حرب عالمية ثالثة : أولهما هو الانهيـار الجسيم فى قوة الولايات المتحدة وسطوتها ، وثانيهما هو تفـكك الروابط بين الدول الـكبرى الثلاث .

وليس انهيار قوة الولايات المتحدة مجرد كلام . لقد خرجت من الحرب وهى أقوى دولة عرفها التاريخ ، فما هى حالها اليوم ؟ لقد حُطمت أداتها العسكرية الجبارة ، وتفاقم دَيْنُـهَـا القومى ، وأصبح تحويل صناعتها من الحرب إلى السـلم يسير سيراً بطيئـاً ، وهى أيضاً مهددة بتضخم النقد ، وترى كل جماعة منظمة من جماعات الشعب تسابق أختها لـكى تنال نصيبها من المغانم . وألاعيب السياسة لا تزال تجرى كما كانت ، بل هى اليوم ليست خيراً منها بالأمس . أفهذه حال يرجى معها للولايات المتحدة أن تحتفظ بمكانتها فى العالم ؟ كلا ، بل الظن هو العكس ، أى أنها لن تحتفظ بهذه المـكانة .

وثانى أسباب نشوب حرب عالمية ثالثة وأقربهـــا احتمالا ، هو تفـكك الدول الـكبرى . ومن المحقق انه إذا تفاقم هــذا التنافر وانقلب إلى حرب كبرى ، أن نجد روسيا فى جانب ، والولايات المتحدة ، أو الإمبراطورية البريطانية ، أوكلتيهما معاً ، فى الجانب الآخر . ولذلك فإن خطة الولايات المتحدة حيال روسيا هى أهم عناصر سياستها العالميــة وأخطرها — بل إن خطر هذه الخطة عظيم الشأن ، إذ أن أغلب الظن أن تـكون روسيا هى الممهِّـدة للحرب .

وسياسة روسيا — كما هى الآن — أشد العوامل غموضاً فى العلاقات الدولية الراهنة ، فهى بين دول العالم أوسعها رقعة وأشدها ازدحاماً بالسكان من الجنس الأبيض ، ولديها أعظم الموارد التى لم تستغل بعد ، وأقوى جيش ، وأقدر حكومة ، وروسيا هى ثانية دول العـالم القوية ، وقد كادت قوتها تبلغ مبلغاً يضارع قوة أمريكا . وقد وصف تشرشل سياسة روسيا العالمية بأنها « سرٌّ محجب فى جوف أحجّية فى قلب لغز » ، وسرُّ هــذا اللغز هو اتباع روسيا سياسة مذهبية وسياسة قومية فى وقت واحد ، وقد تتعارض السياستان أحيانا وتتلاقيان أحيانا .

وأساس سياسة روسيا من ناحية المذهب

هو نشر الشيوعية فى أرجاء العالم . ولمّا ولِيَ ستالين الحكم ، كفّت روسيا عن هذه السياسة عند الضرورة ، لتعزّز مكانتها من حيث هى ثانية القوتين القاهرتين فى العالم ، ومع ذلك فإن أحدث تصريحات ستالين وأعمال الشيوعية فى خارج بلادها ، كلها اليوم دليل سافر على أن أساس هذه السياسة لم يتغير .

وأمّا أساس سياسة روسيا القومية فهو لا يختلف عن أمثاله فى أية دولة أخرى ، فهى تريد صون سلامة أرضها ، وصون أمنها ، وهى تسعى لكى تحقق لشعبها رفاهية سياسية واقتصادية واجتماعية . ومن الواضح أنها من أجل أن تدعم سياستها القومية ، تعتزم أن تستند إلى أقصى حد مافازت به فى الحرب من سطوة وقدرة عسكرية . فهى ستفيد من كل ضعف تلمحه فى غيرها من الدول الكبرى ، ولاتفتأ تذكر حاجتها إلى توفير أسباب أمنها من الوجهة العسكرية ، فهى تريد أن تحتمى وراء نطاق من دول صديقة ، أو قل وراء دول خاضعة لسلطانها وتصيد بذلك عصفورين بحجر واحد . فأوّل ماتستفيده هو أن تقيم لها سدًّا تعيش وراءه فى عافية لا يلحقها أذى من جوارها للدول الرأسمالية ، والثانى أن تكون هذه الدول كالجسور تعبر عليها دعوتها إلى نشر الشيوعية فى العالم .

وقد صادفت روسيا حتى اليوم نجاحاً كبيراً فى اتباع هذه السياسة فى وسط أوربة والبلقان ، وتزداد دلائل اهتمامها بالجانب الشمالى الغربى من أوربة . وهى تصرّ على المطالبة بالإشراف على الدردنيل ، وبقواعد فى بحر إيجه ، وبنصيب لها فى بلاد إفريقية التى قد توضع تحت الوصاية . أما فى الشرق الأوسط فهى تطالب بأن تقوم تركيا « بتصحيح » حدودها الشمالية الشرقية ، وتدافع بقوة عن موقفها فى إيران أمام مجلس الأمن .

وفى شرق آسية تحتل روسيا منطقة كوريا الشمالية . وهى تجرى هناك ، كما تفعل فى البلقان ، على سياسة الاستغلال ورفض التعاون ، إلا أنها فى المنطقة الأولى أوفى بتعهداتها منها فى أوربة . والأمر على خلاف ذلك فى سياستها فى منشوريا ، فقد صادرت فيها الأملاك وتلكأت فى سحب جنودها . وكل هذا ينبىء بأن سياستها فى الشرق الأقصى قد تصادم سياسة الولايات المتحدة فى آسية .

وتتبع روسيا حيال هيئة الأمم المتحدة سياسة المسايرة فى الوقت الحاضر ، وذلك لسبب واضح ، هو اعتقادها أن اتباع مثل هذه السياسة يعود عليها ببعض الخير ولا يضيرها . أما حق الاعتراض الممنوح

لهـا فى مجلس الأمن ، فيحميها كما يحمى الدول الصغيرة التابعة لها . فهى فى موقف حسن يساعدها على المساومة ، ويهىء الفرصة لها لتنشر نفوذها فى مناطق ما كانت لتصل إليها لولا هـذه الهيئة . وما دامت هذه الهيئة تعمل إلى اليوم على منع نشوب حرب ، قبل أن تتمكن روسيا من اللحاق بالولايات المتحدة وبريطـانيا فى التقـدم الصـناعى وفى معرفة سرِّ الذرَّة ، فإنها تسدى إلى روسـيا يداً تنفعها فى مآربها .

وانفراد حزب واحد بالسلطان فى روسـيا ، وخروجها من الحرب وقوتها العسكرية سليمة نسبياً ، كل هذه أسباب تجعلها قادرة على أن تهدِّد أو تعمل ما يوافقها ، فهى واثقة بنفسها ، ولا تحجم عن العدوان ولا تأخذها شـفقة ، بل هى غير مقيدة بالمبادىء الخلقية التى اصطلح العالم عليها ، وهى متـأهبة لأن تفيد فوراً من ضعف خصومها ومن هفواتهم . والخلاصـة أنها نجحت فى التمويه على العالم ، ولا تزال تستفيد منه أعظم فائدة .

ومن الجلىّ أن الولايات المتحدة هى التى يجب عليها أن تقود الجهود كلها للخروج بالعالم من هذا الموقف الضَّنْك .

وهناك حقيقة واحدة من السهل أن يجمع عليها كل من خبرَ روسيا : وهو أن روسيا تفهم، بل تنتظر ، بل تعجب بالصراحة والاسـتقامة ، ويُسر التنفيذ ، وحسن المطابقة للواقع مهما قسا — فى الرأى والقول والعمل . فهذه هى خطتها ، وهى تنتظر مثلها من بقية الدول ، فإذا لم تفعل كفعلها ثارت ريبتها . فهيهات أن يخطر ببالها أن أمة من الأمم تتبع فى تفكيرها وأعمالها خطة غير قائمة على رعاية مصالحها ، إذ هـذا فرض لا يتصوره عقلها ، بل هى إذا صادفت مثل هـذه الأمة حسبتها أمة حمقاء أو ضعيفة ، أو كلتيهما معاً .

وقد ساءت العلاقات بين أمريكا وروسيا زمناً طويلا ، لأن الولايات المتحدة تجاهلت هيام الروس بالحقائق الواقعة وعاملتها بما يناقضه . وقد حان الوقت الذى يجب فيه على الولايات المتحدة أن تتبع تلك الخطـة وتجعلها أساس كل سياسة لها حيال روسيا . ومن أجل هذا يجب أن ندرس ، بصراحة وبأمانة ، سياسـة روسيا كما نتوقعها فى المستقبل . وأنا أرى أن هذه السياسة يمكن تقسيمها إلى خمسة أبواب :

١ — مسائل قد لا توافق هوى أمريكا ولـكنها ، إذا نظرنا إليها نظرة مطابقة للواقع ، مسائل لا يمكن نقضها أو تعديلها . مثال ذلك : فنلنـدة ، دول البلطيق ،

بسارابيا ، جزائر كوريل ، وبعض أطوار الاحتلال الروسى فى ألمانيا .

٢ — مسائل تعارض فيها أمريكا من حيث المبدأ ، ولكنها لاتجعلها مثار نزاع ، اللهم إلا لدلالتها على أن روسيا ترفض التعاون .

مثال ذلك: بولندة، بروسيا الشرقية، شمال كوريا ، ومبلغ نشاط الشيوعية فى الوقت الحاضر، وموقفها المتعب لهيئة الأمم المتحدة.

٣ — مسائل ينشأ حولها خلاف خطير وهى بطبيعتها لايجدى فيها استخدام القوة العسكرية ، ولكنها أمثلة واضحة على رفض روسيا للتعاون . فينشأ عنها أن تعاملها أمريكا بالمثل فترفض التعاون معها ، ولا سيما فى مساعدتها على الخلاص من ضائقتها الاقتصادية . ومثل هذه المسائل تضعف كثيراً من مقدرة هيئة الأمم المتحدة، وقد تفضى إلى انسحاب روسيا منها .

مثال ذلك : رومانيا ، بلغاريا ، تركيا ، إيران ، منشوريا ، زيادة نشاط الشيوعية ، والامتناع عن التعاون مع هيئة الأمم المتحدة للوصول إلى التسوية السلمية ، أو لاتخاذ التدابير اللازمة للإشراف على الطاقة الذرية .

٤ — مسائل تدل على تحول روسيا من رفض التعاون إلى التهديد الخطر ، وذلك يوجب أن تقوم الولايات المتحدة بعمل حازم فى إخراج روسيا من هيئة الأمم المتحدة .

مثال ذلك : توغل روسيا سياسياً أو عسكرياً فيما وراء حدود منطقة احتلالها فى ألمانيا ، عدوانها على السويد أو النرويج ، أو على شمال إفريقية ، عملها على هدم هيئة الأمم المتحدة ، أو سعيها إلى أن تكون لها السيطرة فى ميدان الطاقة الذرية .

٥ — مسائل تفوق فى خطرها ماورد فى الباب الرابع ، وتنطوى على عدوان أو تهديد خطير لسلم العالم ، وتوجب شن الحرب لصدّها .

مثال ذلك : الهجوم ، أو التهديد بالهجوم على الشاطىء الغربى لأوربة ، أو على بريطانيا العظمى أو الفيلبين ، وغرب المحيط الهادى والقارة الأمريكية .

ينبغى أن يكون أساس السياسة العالمية التى تتبعها أمريكا هو منع نشوب حرب عالمية ثالثة ، وتنفيذاً لهذه السياسة ينبغى أن تصرف جُلّ عنايتها إلى فض هذه المشاكل ، وعندئذ يجب على أمريكا أن :

١ — تعلن أن الولايات المتحدة تعتبر علاقاتها مع روسيا هى المشكلة الوحيدة الباقية دون حل من مشاكل منع نشوب حرب عالمية أخرى .

٢ — وتقرر أن الولايات المتحدة ستتبع منذ اليوم حيال روسيا سياسة تتجلى فيها الصراحة بغير إبهام ، وتعتمد على النظرة الواقعية العملية .

٣ — وتقول لروسيا إن الولايات المتحدة تقدر لسياسة روسيا حيالها خمسة أحوال محتملة هى : الصداقة المألوفة والتعاون ، التعاون المحدود ، عدم التعاون ، التهديد الخطر ، العدوان أو التهديد بالعدوان .

٤ — وتقول لروسيا إن الولايات المتحدة فى الحالة الأولى متأهبة للتعاون معها أتم تعاون ، ولمساعدتها على إعادة تسيير بلادها . وفى الحالة الثانية والثالثة ستعينها الولايات المتحدة وتساعدها بالقدر الذى تلقاه منها . وفى الحالة الرابعة تتخذ الولايات المتحدة أوثق الطرق لتأليف جبهة متماسكة من غرب أوربة تقف فى وجه روسيا ، وتقول لها فوق ذلك إن الولايات المتحدة ستجد نفسها مضطرة إلى اتخاذ التدابير اللازمة لصون أمنها وأمن العالم . وفى الحالة الخامسة أنها لن تتوانى عن خوض غمار الحرب .

أما اليوم فأوّل واجب يقع على عاتق الولايات المتحدة هو أن تزيد من قوة حكومتها وقدرتها فى الداخل وفى الخارج .

وأخيراً ينبغى للولايات المتحدة أن تفهم وأن تقبل حمل الأعباء التى ألقيت على كاهلها من تبعات جديدة فى نوعها ، جديدة فى مدى اتساعها ، وأنها إذا طرحت هذه التبعات سقطت مكانتها التى تبوأتها ، وتبدد آخر أمل فى سلم العالم وتقدمه .



على قارعة الطريق

كانت فتاة أمريكية حسناء ممشوقة القوام ، تسير لوجهتها فى أحد شوارع بوجوتا عاصمة جمهورية كولومبيا ، فرآها شابٌّ فراقت فى عينيه . فجعل يقتفى خطاها ، وهو يلقى إليها بعبارات الإطراء ، فأحنقها ما كان منه . فما إن بلغت شرطى المرور حتى هرعت إليه ، وقالت غاضبة : « هذا الرجل الواقف هناك يتبعنى » .

فالتفت الشرطى إلى الرجل ثم صعّد بصره وصوّبه إلى الحسناء المهتاجة ورفع قبعته وانحنى وقال : « يا آنسة ، لو لم يكن هذا وقت عملى ، لكنت أنا أيضاً تبعتك » .

[مجلة « إنتر أميريكان »]

« قوة الديميرول على دفع الألم تضارع قوة المورفين العجيبة — ولكنها لا تورث الإدمان »

دواءٌ جديدٌ يقضِي على الآلام

بول دى كروف



جاء عقار جديد هو الديميرول فكان رحمة للملايين أضنتهم الآلام . لقد كان المورفين حتى اليوم هو السلاح الوحيد الذى يقضى على الألم المبرّح ، ولكن يغض من شأنه ما يورثه من الإدمان. أما الديميرول، وهو يقارب المورفين فى الأثر، فقد عولج بفعله الساحر ملايين من المرضى فى مستشفيات مختلفة فى أرجاء أمريكا ، فلم يدمن تعاطيه أحد لم يتعاط مشتقات الأفيون من قبل .

والديميرول يستعمل تحت إشراف الطبيب دائماً للسيطرة على نوائب الربو ، وعلى عذاب الشقيقة (صُداع شِقّ الرأس)، ولتخفيف آلام عرق النسا والنُّبراق (مرض النيورالجيا) ولتيسير الولادة وجعلها مأمونة قليلة الآلام.

والمورفين ، على خارق قوته فى دفع الألم، عقار محفوف بأخطار عديدة . فهو يصيب مراكز المخ التى تسيطر على التنفس بالفتور ، فإذا أعطى للمصابين بالقُلاب (مرض القلب) والرّبو ليرفه عنهم ، كان خليقاً أن يزيد تنفسهم ضعفاً على ضعف ، كما أن فقر الدم والكُباد (مرض الكبد) يضاعفان قوة المورفين ، ويجعلان خطره أشد . وإذا استعمل فى تهدئة المرضى أثناء الجراحات ، كان خليقاً أن يشل حركة الأمعاء، وقد يغرق المرضى فى سبات يجعل تعاونهم مع الممرضة والطبيب بعد الجراحة أمراً مستحيلا .

لقد كان المورفين نعمة على من بلغوا المرحلة الأخيرة من الأمراض المزمنة ، ومع ذلك فهو عندئذٍ أبعد عن أن يكون نعمة خالصة لا تشوبها نقمة ، إذ يصير لزاماً على الطبيب أن يزيد جرعة المورفين زيادة مطردة لكى يبقى له أثره . فإذا تراكم العقار فى الجسم ، وأصبح خطراً على التنفس ، وجب الامتناع عن الحقن به ، فقد تلحق المريض أعراض خطرة ، ولا يعود إليه ألمه الماضى وحسب ، بل يأخذ أيضاً فى البكاء ، وتنفضه القشعريرة ، ويتلوّى من تقلص العضلات .

وكذلك تصير نقمة المورفين أكبر من نعمته على الأغلب . وقد حاول الكيمائيون أن ينزعوا حُمته فذهبت جهودهم سدًى .

يبدأ خبر الديميرول فى سنة ١٩٣٩ يوم عثر الكيميائيان الألمانيان الدكتور أيسلب

والدكتور شومان على شيء لم يطلباه قط . فقد كانا يحاولان أن ينتجا نوعاً من الأتروبين أفضل من النوع المعهود ، وهو عقار يبسط العضلات التي لا تخضع للإرادة . وكانا يجربان ما يستحدثانه من المواد في الفيران ، فإذا نوع من هـذه المواد التي استحدثاها من الأتروبين ينجلي ذات يوم عن ظاهرة عجيبة . فقد حقنت به الفيران فجعلت تشيل بأذنابها فوق ظهورها معقوفة على شكل (S) ، وهي ظاهرة معروفة لا تنشأ إلا عن تعاطي مشتقات الأفيون المشابهة للمورفين .

ويومئذ وُلد عقار جديد هو الديميرول . وقبيل أن تنشب الحرب وتقطع العلاقات بيننا وبين أهل العلم من الألمان ، نقل الدكتور مارك هيرت أثارةً من هذا العقار الغامض إلى أمريكا ، فقام علماء معامل ونتروب ، تحت إشرافه بتجربة كانت فتحاً جديداً في آفاق العلم .

والمعروف أن القرود يستعبدها المورفين بسهولة ، فأعطيت طائفة منها جرعاً ضخمة من الديميرول كل يوم طوال عشرة أشهر ، فلم يورثها الإدمان . وقد جعلها أقل شعوراً بالألم ، ولكنه لم يُبلِّدْ حسّها ولم يَعُق تنفسها ، كما يفعل المورفين .

واجتمع ذات ليلة علماء مصانع ونتروب ومساعدوهم ، متطوعين لإجراء أول تجربة في البشر تمتحن بها قوة الديميرول على دفع الألم . غشي الوجوه وجوم ، فقد كان عليهم أن يتعاطوا عقاراً جديداً ، ومن يدريهم أنه على خلوّه من الأذى للفيران يكون مأمون العاقبة في الإنسان ؟ وقبل أن يُحْقَنوا به أحدث فيهم المجربون قدراً معلوماً من الألم بتسديد شعاع ساخن متقطع إلى جباههم ، ثم حُقنوا بالديميرول ، فلم تكد تنقضي ١٥ دقيقة حتى طرأ عليهم شعور غريب جديد هو ضرب من النشوة والسعادة ، فلما أعيد تسديد الشعاع الساخن أحسوا له ألماً ، ولكنهم لم يعبأوا به .

على أن هذا الألم المستحدث إنما يصيب البشرة وحسب ، فهل في قدرة الديميرول أن ينافس المورفين في سيطرته العجيبة على الآلام المتغلغلة المبرّحة ؟ وجد الدكتور هيرت ذات يوم أحد مساعديه مستلقياً يتلوى من مغص الكلى المؤلم ، فحقنه بالديميرول ، فما هي إلا دقائق حتى أخذ الرجل يتطلع إلى منقذه باسماً غير مكترث بالألم.

وثمة رجل آخر كان يئنّ من عذاب أليم منشؤه أن حصاة سدّت قناة المرارة ، فحقن بالديميرول فلم تكد الإبرة تنزع حتى بدت على وجهه الدهشة لزوال ألمه ، وقال: « إني عاجز عن إدراك ماحدث لي »

وفي أحد مستشفيات نيويورك رقدت

امرأة تعانى أزمة من الربو أربعة أيام، وقد شق عليها التنفس حتى أوشكت أن تختنق ، ولم تنقذها أدوية الربو المعروفة ، وكان من المحال استعمال المورفين لما يُخاف من أثره فى إرهاق تنفسها المكدود ، غير أن حقنة الديميرول أعانتها على الراحة من ضيق التنفس.

وبعدئذ طُرح الديميرول على مدارس الطب فى جامعات نيويورك وهارفردووين بدتيرويت لتتم المقارنة العلمية بينه وبين المورفين فى دفع الألم . فاختبره الدكتور روبرت باترمان من كلية الطب بجامعة نيويورك اختباراً منظماً فى مستشفى بلفيو بنيويورك . وفى مارس ١٩٤١ صار كل مريض مصاب بألم شديد يحقن بالديميرول مهما اختلفت أنواع الآلام أو مدتها . وقد زال الألم بعد حقنة واحدة منه زوالا تاماً فى ٨٥ فى المئة من ٨٨١ حالة خلال ثلاث ساعات إلى أربع ، وفى ١٠ فى المئة كان الشعور بالراحة بَيْنَ بين . وحقن به ١٦٤ مريضاً أجريت لهم جراحات فى البطن، فوجد الدكتور باترمان والدكتور ملهولاند أنه قد أراح ٨٥ فى المئة منهم راحة تامة وفارقهم الضيق والقلق، وأن قوة الديميرول على دفع الألم تضارع قوة المورفين . ومنذ ذلك الحين أخذ أطباء مستشفى بلفيو يستعملون الديميرول .

ولم يرد ذكر لمريض أدمن الديميرول إدماناً متحكما ، بين عشرات الألوف الذين عولجوا به فى كثير من المستشفيات . على أن أثره المريح قد يغرى بعض الناس بمواصلة تعاطيه ، ولكن هذا ليس إدماناً ، وذلك لأن الديميرول لا يخلف آثاراً ضارة إذا منعته عن متعاطيه . فلما كان خالياً من هذا الخطر القديم المعهود فى المورفين ، جعل الأطباء يوسعون نطاق استعماله وهم آمنون .

كان الأطباء يرجئون استعمال مشتقات الأفيون لمرضى السرطان المستعصى إلى أن يبرح بهم العذاب فى المرحلة الأخيرة ، لأن الألم سرعان ما يألفها ويستعصى عليها ، ولكن أغلب هذه الحالات تجدى فى دفع آلامها جرعة من الديميرول لا يتغير مقدارها، مهما طال استعماله أسابيع أو شهوراً .

والرحمة التى يسبغها الديميرول على الحياة فى نهايتها . يسبغ مثلها على الحياة فى بدايتها، ففى ١٩٤١ أوشكت شابة أن تلد أول ولادة، فاستبد بها الخوف حتى أصابتها الهستريا ، فجعلت تصرخ وتتلوى من الألم كلما ضربها الطلق، حتى صارت تعصى أوامر الممرضات والأطباء ، فحقنت بالديميرول ، فما هى إلا دقائق حتى هدأت . ثم سئلت : «ألا تشعرين بالألم ؟ » ، فرفعت بصرها باسمة وقالت :

« نعم أشعر ، ولكنى لا أعبأ به . إن هذا الدواء قد قوّى قلبى »

وكان فى طليعة الذين اختبروا الديميرول ، الدكتوران ، جوردن جيلبرت وألفرد ديكسون ، وقد اختبراه فى ١٥٠ أمّاً فى مستشفى يونيون بمدينة بلتيمور ، وقد شهدا أنه يقصر مدة الوضع ، وأنه مأمون العاقبة للوليد ، وأنه يقوّى نفوس الوالدات .

وفى مستشفى الولادة ببوسطن التابع لجامعة هارفرد ، استعمل الطبيبان وليم نومان وتشارلس روبى ، مزيجاً من الديميرول والإسكوبولامين ليحدثا للنفساء سِنة من النوم والنسيان . وكان المورفين يستعمل من قبل مع الإسكوبولامين لهذا الغرض ، فتنسى النفساء آلامها ، ولكن استعماله أبطل لأن فيه خطراً على تنفس المولود . وقد حقن بمزيج الديميرول ألف نفساء، فسيطر الديميرول على الألم والخوف . أما الإسكوبولامين فقد أنسى النفساء محنتها وشقاءها . ولم يبق فى أذهان ٧٠ فى المئة منهن شىء يذكرنه من حوادث وضعهن ، فإن ذكرنَ حادثاً أو حادثين منفصلين ، وكلهن دون استثناء لم يتذكرن ألم الوضع .

لقد قصرت مدة الوضع بمعدل ساعتين ونصف عند الوالدات أول ولادة ولم يتأثر تنفس المولود البتة ، ولا حدثت مضاعفات رئوية للأمهات . ويعتقد أطباء بوسطن أن مزيج الديميرول والإسكوبولامين أقوى من كل مسكنات آلام الوضع ، فهو اليوم المسكن الذى يستعملونه .

وقد أخذت هذه الطريقة فى تخدير الوالدات تشيع فى أمريكا ، والفضل فى ذلك لسلامة عاقبة الديميرول . ويقول الدكتور هومر كارتر من ماديسون بولاية ويسكونسن بعد أن ولد أكثر من ٢٧٠٠ أمّ بالديميرول: « أعتقد أننا اليوم أقرب ما نكون إلى الظفر بأفضل مسكن فى طب الولادة »

وتقوم كل الأدلة على أن الديميرول لا يجوز استعماله أبداً دون وصفة من طبيب ، فإن أثره القوى فى السيطرة على الألم ، إذا أسىء استعماله ، قد يخفى أعراض المرض التى يستعين بها الطبيب على تشخيصه ، كما أن أخذ جرعات كبيرة منه دون إشراف طبى عمل ينذر بخطر يدهم المريض .



وقد بلغ إنتاج الديميرول من الوفرة مبلغاً يزيدنا أملاً ورجاء فى مكافحة ما يبرّح بالبشر من الآلام الكثيرة المضنيَة .

قيد خواطرك

روبرت أيدجراف
منقولة عن مجلة « ذى روتيريان »

ما ابتُلى به أكثرنا هو كسل الفكر ، وأن عقولنا قد ألفت الاستهانة والاستخفاف . فنحن نُفْرط فى القراءة دون أن نتلبّث حتى نستوعب ما قرأناه ونتدبره ، ونعتبره بما مرّ بنا من تجارب أو بما لاحظنا من ملاحظات ، أو بما نعرفه فى مثل موضوعه . وإذا قرأنا لم نكفّ عن القراءة وقتاً كافياً ، وفى الحين بعد الحين ، حتى يستقرّ المقروء ويثبت فى عقولنا . تُرى كم من مرّة يتريّث أحدنا حيال فكرة صادفها وهو يقرأ ، محاولا أن يقارنها بفكرة من سوانح عقله ، أو أن يضمها إلى مجموعة الأفكار التى راقته فى مواضى أيامه ؟

قال كارليل : « اقعد ساكناً وصنّف خواطرك » . فلوْ أفردنا لهذا العمل ساعةً أو ساعتين فى كل يوم يتزوّدُ العقل فيهما بما ينفعه ، فلن نلبث أن نجد من اللذة والسرور بانتظار ميعادها ما لا عهد لنا بمثله .

وخير وسيلة وأجداها فى تنشيط عقولنا هو أن نعتاد تقييد خواطرنا .

واعلم بادىء ذى بدء أن القراءة ضرب من الخطل إذا قلّ انتباهك حتى ما يبقى لما تقرأ فى نفسك إلا أثرٌ سريع الزّوال ، والأفكار سريعة التفلُّت والضياع ، والذاكرة كالغرْبال لا تكاد تمسك ما يكون فيها . وقد عبّر عن ذلك « لويس كارول » أدق تعبير فى إحدى رواياته حيث جاء فيها :

« قال الملك : لن أنسى ، لن أنسى هولَ تلك اللحظة !

« قالت الملكة : إنك لناسيه إذا لم تقيّده بالكتابة ! »

ويروى أن رجلا خطرت له خاطرة بديعة استخفته حتى انكبّ ساجداً يشكر نعمة الله عليه ، فما كادَ يقوم من سجدته حتى وجَدَ أن الخاطرة قد أفلتت من ذاكرته . فالفكرة المستحسنة ، والخاطر الجديد ، والرأى المتوقّد ، وما فى الروايات والخطب والكتب والأحاديث ، كلها تفرّ منا فراراً إذا لم نحرص على تقييدها ما استطعنا . يقول هنرى هازلت الناقد الإنجليزى فى كتابه « التفكير علم » : « الخواطر سريعة الطيران ، فلا تحتقر حيلة تمكنك من اقتناصها وإن هانت »

نعم إن العبقرية لا تكتسب بتقييد السوانح ، ولكن مما له خطره ودلالته أن

عدداً لا يستهان به من قادة الرأى والفكر كانوا حِرَاصاً على تقييد سوانحهم . فهذا داروين قد كتب مذكرات لا تحصى ، وبخاصة إذا وقع على حقيقة جديدة أو رأى يخالف ما انتهت إليـه أبحاثه : « ما دامت الحقائق أو الأفكار التى لا تستهوينا أقرب انفلاتاً وفراراً من التى تستهوينا » . وكان من عادة روبرت لويس ستفنسون الروائى الأسكتلندى أن يحمل معه دائماً مجلدين ، أحدهما كتاب ليقرأ فيه ، والآخر كراسة يقيد فيها خواطره . أما توماس هوبز الفيلسوف الإنجليزى المشهور الذى شغل أوربة فى القرن السابع عشر بآرائه وأفكاره ، فقد كان من عادته إذا خرج يتمشى مسافة طويلة أن يحمل عصاً قد أخفى فى رأسها دواة وقلماً ، وتكون معه فى جيبه كراسة ، فيخرجها «ساعة تُومِض فى عقله خاطرة» . وأما جوناثان إدواردز أحد أصحاب العقول الفذة فى فجر التاريخ الأمريكى ، فكان من عادته أن يكتب ما يخطُر له وهو على متن جواده ، ويشبك القصاصات بدبوس فى معطفه ، فإذا بلغ غايته رأيت مخلوقاً عجباً تخفق عليه جُذاذات الورق .

والمجهود الذى نبذله فى تقييد ما نريد ، خليق أن ينقش الفكرة فى عقولنا نقشاً . فلماذا يحجم المرء عن أن يرسل إلى «أمين المحفوظات» وهو العقل ، إشارة يرغب إليـه فيها أن يتولى حفظ بعض الأفكار المتخيرة فى أماكنها ، لكى تكون ذخيرة يلجأ إليها فى ساعات تأمله . فالعقل لا بد له من مادة عتيدة مدّخرة حتى يستطيع أن يجيدَ التفكير والعمل .

ومن حسنات تقييد الخواطر أنه يعيننا على تقدير الآراء حقّ قدرها ، ويكون تمهيداً لحصر الفكر والتأمُّل. ومجرّد تقييد الخواطر تدريب على حسن الاختيار. والمرء إذا كان يقظاً مُدَرّباً على الملاحظـة ، فالأشياء التى يقيدها تكون كالومَضات الساطعة تكشف له عن أبْكار المعانى والآراء.

فعلى قدْر ما يتولد من أبكار هذه المعانى تكون قيمتها وصلاحها ، إذ ينبغى أن نجد فيها ما يشحذ العقل ويكثر الخواطر. فيسأل أحدنا نفسه : أهـذا معنى مقبول بلا قيد ولا شرط أم بقيد وشرط ؟ وماذا وراءهُ من معان ؟ وما الخواطر التى تتداعى إليه وتتبعه ؟ وهلْ هو خيرٌ من أشْباهه التى نعرفها ؟

يقول علماء النفس : إن أجدى طريقة فى تثبيت الأفكار فى الذهن، أن تقرنها إلى أفكار أخرى ثابتة فيه . فتقييد الخواطر يجعل الفكرة تدخُل فى حوزتنا ، ويجعلنا نمارسها ونجرّبها بأنفسنا .

وكثيراً ما يحصر أحدنا فكره في شيء ما، فتنجم له فكرة طارئة تلوحُ في ناحية قصيّة من فكره ، فينبغي أن نتعوّد اقتناص مثل هذه الفكرة . يقول جراهام والاس في كتابه « فن التفكير » : « خيرُ ما يفعله المرء أن يقيد هذه السوانح الطارئة كما هي بغير تهذيب ولا صقل ، ثم يدعها حتى يتاحَ له أن يمتحن جوهرها ويصقلها وينقيها من شوائبها »

وأنا أقيد ما يخطر لي على جُذاذات صغيرة من الورق ، فآخذها بين الحين والحين واراجعها. فإذا آراء في موضوعات شتى ، بعضها متعلق بالفلسفة وبعضها يمتّ إلى عملي الذى أزاوله ، وكثير منها لم يكتب بصيغة وافية بالمراد . فهذه فكرة تتعلق ببيع بعض المنتجات التي يهمني أمرها ، وقد حسنت الفكرة شيئاً فشيئاً ، وأنا اليوم أرجو أن أنتهي إلى تدبير صالح في أمرها .

وأعرف رجلا من أصحاب المصانع لا يزال منذ سنين في طليعة أصحاب صناعته ، فما عاد قطّ من طوافه في أرجاء مصنعه إلا وفي يده قصاصات قيد فيها بعض الرأي في تيسير عمل أو تبسيطه ، أو في توفير الوقت، أو في تحسين الأسلوب ، أو في تغيير الرسم، أو في معاملة الناس. وهو يتصفح هذه القصاصات كل بضعة أيام ، فلا يزال يمتحن الفكرة منها ويتمم نقصها ، حتى يثق أنها بلغت غاية التمام .

والكتابة تصفي الأفكار من كدَرها . وبين معارفي رجلٌ يرى رأي جرانفيل كليزر في أن : « الدُّؤوب على استخدام القلم في كل يوم هو خير وسيلة لتهذيب الأفكار وصقلها وتوضيحها » ، فصار من دأبه أن يحرص في كل يوم من أيام السنة على أن يكتب كل ملاحظة تسنح له أو فكرة تلوح له،سواء رضي عنها أو سخط. وأفكاره تمتد إلى أشياء شتى متباينة — الناس والفلسفة ، والسياسة وطبائع البشر ، وعمله الذي يزاوله — وقصارى القول أنها تستوعب الحياة كلها . وقد قال إن هذه السُّنّة التي حرص على اتباعها جعلته أدقّ ملاحظة وأصفى فكراً ، وصار ذهنه أحفل مما كان بالمعاني والأفكار ، وعلمته الكتابة أن يكون أسلسَ عبارة عما يجول في نفسه وأفصح بياناً .

أما الكاتبة المشهورة « إيدا تاربل » فقد جعلت دأبها منذ سنين أن تعمد إلى آلة تسجيل الأحاديث ، بعد أن تفرغَ من قراءة صحف الصباح ، فتملي عليها تعليقها على شيء استرعى اهتمامها فأرهفت هذه العادة قُوَى عقلها وتفكيرها . فما نشكّ أن شدّة كلفها بألوان مختلفة من وجوه

الحياة ، بعـد أن بلغت الحادية والثمانين من عمرها ، هى الدليـل البين على مافى هـذا الأسلوب من نفع وصلاح .

وعلاقة القراءة بالتفـكير تتطلب بعض التدبر . وقـد سار قول توماس هوبز فى الناس مسير المثل ، إذ قال إنه لو كان قرأ مقداراً كالذى قرأه سواه ، لـكان أقلّ علماً ومعرفة . وقال كاتب آخر: إن من يحاول أن يفكر عن طريق القراءة أشبه بمن يحاول أن يتعلم الرسم عن طريق شفّ الصور ، فهو يدع عقل الـكاتب يفـكر له أو يلاحظُ الملاحظات . وهذا ديمقراطيس الفيلسوف اليونانىّ الذى عاش فيما قبـل سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، قد بلغ به أنه أراد أن يسْمُـل عينيه ، فيذهب بصره فيكفّ عن القراءة ، وبذلك لايجد محيصاً عن أن تنصرف قواه إلى التفكير .

ولـكن هناك حقيقة أخرى هى أن أكثر كبار المفكرين كانوا من الذين لايدعون شيئاً إلا قرأوه ، بيـد أنهم كانوا يعرفون كيف يقرأون. والسرُّ كل السرّ هو أنهم كانوا يرخون لتفكيرهم طرفاً من عِنانه ، فإذا هيَّجَت نوازعَ الخيال فكرة عرضت لك فى أثناء ماتقرأ،وسلـكت بك فى طريق جديدة من التفكير ، فمن الحـكمة أن تطوى الـكتاب أو المجلة من ساعتك ، وأن تدع عقلك يسبحُ طليقاً فى جو لا عَهـدَ له بمعالمه . وهـكذا تجعل القراءة حافزاً منشّطاً إلى التفـكير السليم الأصيل .

ويقول جراهام والاس : إن قراءة الصحف عند كثير من الناس « تدريبٌ مستمرٌ مَدَى الحيـاة على اكتساب عادة مستهجنة هى الاستمتاع المتراخى ثم النسيان المطلق لسلسلة من الأفكار لا يربط بينهـا رابط » . وهو يوصى بقص قصاصـات مما يهمنـا وتصنيفها وحفظها . أوليس من العجيب أنّ أكثر الناس لا يولع أحد منهم بموضوع واحد على الأقلّ ، يحرصُ على معرفة كل شىء عنه ؟

وإذا أخذ أحدنا كتابا يقرؤه فانتهى إلى فقرة أو جملة يخيل إليه فجأة أنها تجلو له غوامضَ موضوع أو تنير له معالمهُ ، أو وقع على فكرة جديدة أو رأى يثير عجبه، فمن خطل الرأى أن يتخطّاها دون أن يقيدها لنفسه على طريقة ما ، فيضمها بذلك التقييد إلى ذخيرته من المعانى والأفـكار . وإذا لم يفعل ، فما من شك أنه لن تنقضى ساعات قلائل حتى تضل عنـه فى ضباب الذاكرة المطبق ، أو تغيب فى غمرة أفكاره الأخرى .

وكم من رجل وامرأة من خيرة العلماء والمثقفين ، يرجع الفضل فى أكثر ما بلغوه

وحصَّلوه إلى اعتيادهم أن يقرأوا وفى يدهم قلم ، فالكتب لا تتبارى متسابقة فى عقولهم بل تدلف هادئة حتى تستقر فى منازلها .
ونحن اليوم نعيش فى زمن السرعة الخاطفة ، فالأفكار والمعانى والملاحظات والآراء والخواطر تنثال علينا انثيالا متداركاً ، فإذا لم نستعمل عادة التقييد بالكتابة ، فإن بعض الأفكار الجليلة الخطر وشيكة أن تفرّ منا أو تموت وينقطع أثرها . وأجلّ من ذلك وأكبرُ أن اعتياد تقييد السوانح خليقٌ أن يكون نعمة من النعم الجزيلة على كلّ من يريدُ أن يستيقظ من غَفْوته ويفكر .



هوّنه عليك !

اشتهرت دوروثى فيلدز بما صنّفتهُ ولحّنته من الأغانى الشعبية الشائقة . وهى فتاة ذكية واسعة الحيلة ، فيوم كانت تلميذة فى المدرسة الابتدائية ، طلبت منها مدرّستها أن تنشئ رسالة موضوعها : « أبعث ما رأيتُ على الضحك » . فلم تكد تنقضى دقيقة حتى سلمت ورقتها إلى المدرّسة ، فبهتت وفتحتها فقرأت فيها : « كان أبعث ما رأيت على الضحك ، أبلغ من أن يوصف » .

[جريس بركنز أورسلر]

كان ذلك فى الحادية عشرة من عمره ، وكان فى المدرسة ولداً « شقيًّا » فأمرته المدرّسة أن يلبث فى المدرسة بعد انصراف الفصل ، وأن يكتب رسالةً مؤلفة من ٥٠٠ كلمة . فكتب ما يلى :

سكة الحديد : حين تقف على خط السكة الحديدية ، وترمى ببصرك إلى أمام ، ترى ما بين القضبان قد أخذت يضيق ، ويضيق ، ويضيق . . . (وهكذا حتى صار عدد كلمات الرسالة ٥٠٠ كلمة) .

[لوسيل شاور]

كانت جارتنا قلقة لأنها لم تتلقّ رسالة من ابنها فى المدرسة منذ أسابيع ، ثم جاءتها رسالة فإذا نصُّها :

« أمى العزيزة : لقد فرضوا علينا أن نكتب إلى أهلنا . سلامى . جاك »

[صحيفة « أتلانتا جورنال »]

إذا ابتليت سهول أمريكا العظيمة بقحط عام ، فلن ينحصر أثره المدمر فى غذاء أمريكا ، بل يتعداه إلى غذاء العالم قاطبة .

بلاء القحط

مختصرة من
صحيفة "سان لويس بوست دسپاتش"

ثاناس جونسون

كان العام الماضى عامَ جفافٍ فى السهول العظيمة غربىّ نهر المسيسبي ، وقد أخذت الريح تهبُّ على وجه التربة ، فتسفى ترابها الناعم سَموماً كثيفاً يحرق حقول الحبوب ويقتلع القمح من جذوره . وترى الفلاحين فى هذه السهول يرمون ببصرٍ زائغ إلى السماء ، كأنهم يسألون : أينزل بهم بلاء قحطٍ عامّ كالقحط الذى نزل سنة ١٩٣٣ ؟

فإذا احتبس المطر ، وهو خطر دائم يهدّد هذه السهول ، كان احتباسُه بدءَ الكارثة . قلّب نظرك فى السهول ترَ فيها جميع العناصر التى تمهّد للنكبة ، فالناس يجنون مالاً وفيراً من عملهم ، والفلاحون وأصحاب الأرض على السواء ، يرتكبون الأخطاء التى ارتكبوها من قبل ، وينسون العِبرَ التى ابتلوا بها فى محنتهم السابقة .

وحالة الجوّ فى السهول تتقلب من النقيض إلى النقيض ، من عشب غزير غضّ ومحاصيل وافرة ، إلى جفاف وإمحال ، ومن ثراء ضخم يكدَّسُ على عجل ، إلى إفلاس وفاقة . وقد وصف الرعاة والروّاد الذين طافوا بهذه



[وبدا للناس كأن الأرض كلها قد أثارها مثير]

الأرض منذ ٧٥ سنة ، عواصف من الرمل تعمى الأبصار ، سفتها الريح من دروب الجاموس وقيعان الأنهر الجافة . وأما المطر فينهمر حين ينهمر مدراراً ، فتتدفق الجداول إلى الأنهر العظيمة ، ولولا العشب القوىّ المتماسك ، لجرف الماء تربة هذه السهول ، فإذا أزيل العشب فلا مفرّ لسطح التربة من أن تسفيه الريح أو يجرفه المطر .

هذه السهول المترامية التى تبلغ مساحتها نصف مليون ميل مربّع ، ظلت حتى

سنة ١٨٨٠ يكسوها عشب يبلغ ارتفاعه إلى الخصر، ولم تمسها يد إلا فى مزارع أنشأها الهنود الأمريكيون الذين برعوا فى الزراعة والرى قبل عهد كولمبوس بنحو قرنين.

ولكن لم يكد الأمريكيون يقهرون الهنود حتى تدفقت على السهول أمواج من قطعان الماشية، وبدا لكل متطلع أن الثراء معقود بنواصى فحول البقر. ولم يلق أحد بالاً إلى العشب حتى المجزوز على مساواة سطح الأرض. وقد أنذرتهم الطبيعة، فحل جفاف شديد قصير المدى فى سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٥، فلم يعبأ به أحد، إذ كان سيل الأموال المتدفقة الميسرة قد خلب ألبابهم.

ثم كان يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٥.

تنفس الصبح عن يوم صاف دافىء ككل يوم منذ بداية شهر أكتوبر، فما انتصف الصباح حتى بدأت غيوم تتلبد فى السماء. فلما وافى الظهر همى غيث، ثم هبط البارومتر على حين فجأة، وعصفت الريح، وسقط الثلج بدلاً من المطر، فما أمسى المساء حتى كانت درجة الحرارة تحت الصفر، فلما أسفر فجر اليوم التالى كان الصقيع قد ضرب السهول وأحال أديمها صفحة جامدة. واشتد عزيف الرياح، وهبطت الحرارة إلى ٢٩ تحت الصفر بميزان سنتجراد.

واستدبرت المواشى مهاب الريح، فساقتها جنوباً. وكذلك كان شأن سائر الحيوان من كويوت، وذئب، ووعل. وهوت قطعان بأسرها فى مخارم الجبال وهلكت، أو ضربها البرد فجمدت وهى تحاول أن تعبر الأنهار.

وأرسلت رسالة من دودج ستى فى ١١ يناير ١٨٨٦ جاء فيها: «روى رجل من مزرعة قريبة إلى الجنوب من المدينة، أنه رأى مواشى تجمدت وهى فى مكانها». وبعد ثمانية أيام ورد من جاردن ستى أن: «عشرة آلاف من الماشية هلكت بين المدينة ونهر المرأة البيضاء».

ومضت الريح عاصفة هادرة، وهبطت الحرارة إلى ٣٤ تحت الصفر، وتراكم الثلج بعضه فوق بعض، وجعل الناس فى المدن يحرقون الذرة ليصطلوا بنارها. فلما خمدت العاصفة فى أخريات يناير، كان عشرات من الرعاة والفلاحين وسكان المدن قد هلكوا، وصارت جيف الطيور والحيوانات الميتة تغطى وجه السهول.

وقد بلغ ما هلك من المواشى مبلغاً فظيعاً. وهذا صاحب مزرعة كبيرة أبى أن يبيع قطيعه قبل العاصفة بخمسة وعشرين ألف ريال، فباع ما تبقى منه بخمسمئة ريال. وقد هلك نصف المواشى فى الجزء الجنوبى الشرقى من ولاية كولورادو. ومن الرعاة من أقسم أنهم كانوا يستطيعون ان يمشوا على جيف البقر الهالكة مسافة أربعمئة ميل.



وأفلست تجارة الماشية ، وأما السكان فقد هالهم ما نزل بهم فغادروا مستعمراتهم، ولكن ماهو إلا أن أقبلت طائفة جديدة من المستعمرين ، وظلوا يتوافدون ثلاثين سنة تباعاً ،فقد أغرى ألوفا من المتفائلين ماردّده الناس عن ثروة تجمع على عجل، وهبات من الأرض تهبها الحكومة للمستعمرين، وكلام معسول يجرى على ألسنة المروّجين لبيع الأرض .

وظلّ المطر فوق المعدّل سنة بعد سنة ، إذا استثنينا جفافا دام خمس سنوات فى أواخر القرن الماضى. وجاءت الجرّارة وما يلحق بها من أدوات الزراعة، فيسرت للزراعة أن يتسع نطاقها . ونشبت الحرب العالمية الأولى فارتفع سعر القمح ارتفاعا عظيما. وظلت الجرّارات تعمل ليل نهار ، تحرث الأرض التى كساها العشب. وقد كانت مساحة الأرض التى زرعت قمحاً فى سنة ١٩٣٠ سبعة أضعاف ما كانت عليه فى سنة ١٩١٠. وعلى أن أرضاً مترامية حوّلت إلى الزراعة ،فقد زادت المواشى حتى بلغ عددها رقماً لم يبلغه منذ سنة ١٩٠٠ ، فلما ضربها القحط فى سنة ١٩٣٣، لم يكن الناس ولا كانت الأرض على أهبة لدرء نكبته.

فقد مضى شتاء سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ دون أن ينزل ثلج يذكر. وكان القمح ضعيفاً سقيما، وكان سطح التربة كأنه ذرور ناعم، وازدادت شدة الريح فى شهرى فبراير ومارس وكثر الغبار، فدار فى خلد الفلاحين أن هذا ليس بالجفاف المعهود ، ثم علموا ذلك علم اليقين فى يوم ١٤ إبريل .

إنهم لن ينسوا ذلك اليوم ما عاشوا .

فقد لاح لهم كأن كلّ حقل فى غربى ولاية كانساس قد بدأ يتحرّك، فقد انحدرت عليهم الرياح من الشمال، وشقت سطح التربة وحملت التراب سحابا كثيفاً ظل فترة ملاصقاً لسطح الأرض، يلهب وجهها بسياطه. ولم تلبث التربة نفسها حتى أخذت تتحرّك ، وكان الغبار يزداد ارتفاعا فى الفضاء كلما اشتد هبوب الريح. وضاق مجال الرؤية حتى صرت لا ترى إلا أقرب الأشياء إليك. وكانت السيارات تطلق أنوارها فى النهار أو الليل، فيكتنفها ضوء أزرق إلى الخضرة يروع الناظرين .

وحين دنا وقت الظهر، لاح كأن الريح أخذت تحتمل كتلاً من التراب والدّبال وتقذفها فى الهواء ، وإذا غيمة من التراب الأسود تملأ الفضاء من جانب الأفق إلى جانب الأفق ، ثم تمضى جنوبا .

وقد كانت حركة غيوم التراب سريعة ، فأطبقت على مدن بأسرها قبل أن يتمكن سكانها من أن يدخلوا بيوتهم. وكانت الريح المندفعة تسبق وصولها، ثم يغشى المكان ظلام دامس. وتسرّب الغبار إلى البيوت، مهما كانت

محكمة البناء ، حتى لتعجز عن أن ترى مافى الطرف الآخر من الحجرة . وكان الهواء مشحوناً بالكهرباء ، فكانت تأخذ الناس رعدة إذا ما لمسوا جسماً مصنوعاً من المعدن. وشق التنفس، فما يخفف من ألمه قليلا إلا خرقة مبلولة توضع على الفم والأنف . وفسد الطعام على الموائد، وصار اللبن سائلا أسود ، وغطى الغبار الأسرة والسجاجيد والأثاث، والملابس فى الخزائن ، والطعام فى الثلاجات .

وبعد أربعين دقيقة مر أحلك جزء من العاصفة، وبدأت تستبين مصابيح الشوارع على مسافة ٥٠ ذراعاً ، ولكن الظلام أقام ثلاث ساعات أخرى. فلما انقشع ، خرج الفلاحون إلى الحقول ليتفقدوا ما تلف من محاصيلهم وحيواناتهم ، فكانوا يدوسون على جيف الأرانب البرية والعصافير ، وألسنتهم تلهج بالسباب واللعنات .

وكانت درجة الحرارة ، فى شهر مايو ، ٣٨ فى الظل، يوماً بعد يوم . وظلت الريح تهب والغبار يذهب ويعود ، يحرق القمح ويكوم التراب أكواماً .

وفى صباح ١٠ مايو بدا للناس كأن الأرض كلها قد أثارها مثير. وحل محل الغيم الأسود ستار أغبر يمتد مسافة ألف ميل حجب قرص الشمس من الشمال إلى الجنوب. وحدث تماس فى أسلاك السيارات التى كانت فى الطريق ، وجردت حقول كثيرة من ترابها حتى تعرى ما تحت التراب من صخور .

وهبت ريح سرعتها ٦٠ ميلا، فحملت سحباً من الغبار مهبها إلى الشرق ، فلم يجىء الليل حتى كانت سحب التراب قد احتوت مدينة شيكاغو ووادى أوهيو . وقدر الخبراء ما وقع على مدينة شيكاغو من تراب السهول بنحو ١٢ مليون طن . وفى اليوم التالى أطبق على شرق الولايات المتحدة هبوب قاتم حجب الشمس خمس ساعات فى نيويورك ووشنطن . وروى ركب سفن المحيط الأطلسى التى تبعد ٣٠٠ ميل عن الساحل ، أن الغبار أخذ يسقط على متونها .

وقدرت وزارة الزراعة بأن خمسين مليون بوشل من القمح قد تلفت ، فاستبد الذعر بالأمة ، وبادر الكنجرس فأرصد مالاً للإغاثة ولشراء البنزين والزيت للجرارات حتى تستعمل فى شق الأخاديد العميقة وبذر القمح فيها، وتغطيتها حتى لا تسفيها الريح .

وعلى أن الفلاحين جهدوا ليل نهار ، واستعانوا بكل وسيلة ، فقد ظلت عواصف الغبار تهب خلال سنة ١٩٣٤ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ . وقد جرد بعض الأراضى من كل عشب نام ، حتى لقد عمد بعض الغربان إلى الأسلاك الشائكة يتخذها لبناء أوكاره . وفر ألوف من الفلاحين من هذه المنطقة .

وأقام من أقام ، لأنهم لم يهتــدوا إلى أين المفرُّ . وفى صيف ١٩٣٦ كان معظمهم يعيش على هبات تمنحها الحكومة .

وعين الرئيس روزفلت لجنة من الخبراء لدراسة الموضوع ، فقررت أن فى المنطقة بقية من رجاء . ووضعت القواعد التى ينبغى أن يتبعها الفلاحون والحكومة فى سبيل إنقاذها .

وقد قام كلٌّ من الفريقين بما عليه ، فصنع الفــلاحون ألوفاً من المصاطب فى المزارع والمراعى ، وجعلوا الحرث خطوطاً متعرجة لا خطوطاً مستقيمة ، وشقوا أخاديد عميقة ، وبنوا ألوفاً فى السدود الصغيرة لحبس الماء لشرب الماشية . وغرست مصلحة الغابات ٢٢٧ مليون شجرة جعلتها نطاقاً يحمى المنطقة من ناحية حدودها الشرقية . وغرست مصلحة حفظ التربة ٥٦ مليون شجرة حول المزارع فى قلب منطقــة القحط ، فكان لها أثر ناجع فى وقاية التربة من فعل الرياح السافيات .

ثم عاد المطر ينهمر ، فامتلأت البحيرات وصارت الجداول مفعمة فى سنة ١٩٣٨ ، فكتبت صحيفة تقول : «هذه منطقة الوحل» لا « منطقة القحط » . لقد عادت الحيــاة تملأ جنبات السهول عوداً سريعاً .

ولـكن الحرب العالمية الثانيــة نشبت ، فاشــتد الطلب على اللحم والقمح ، وظلت الرطوبة فوق المعدل ، فأصابت المنطقة رخاء عظيماً ، فعاد كبار الملاك وصغار الفلاحين يرتكبون حماقاتهم القديمة .

فقــد حولت ألوف من الأفــدنة من أرض للمراعى إلى حقول لزراعة القمح ، وأهمل الفــلاحون أساليب الزراعة التى أشارت بها لجنة الخبراء ، وعادت المحاريث تشقُّ الأرض ، واكتظت المراعى بعــدد ضخم من الماشية . فالأحوال اليوم كالأحوال التى سبقت النكبات الماضية .

وقد أنذرتهم الطبيعة فى هــذا الربيــع ، فالرطوبة فى الطبقــة التى تحت التربة قد بلغت حــدًّا يبعث على الجزع فى السهول الجنوبية جميعاً . ولجنة «السهول العظيمة» فى وزارة الزراعة تقــول فى تقرير من تقاريرها : «إن هناك ٤٫٩٥٠٫٠٠٠ فدان عرضة لشرّ السافيات» . وقد عاد الغبار يملأ الهواء ، ويحيل ضوء الشمس خابياً داخناً يثقل على صدور العاملين فى الخلاء . وقد هبت عاصفة كبيرة من غبار ، فاهتمت بها الصحف اهتماماً بالغاً . أهذا توطئة لنكبة مقبــلة ؟ إن مصلحة حفظ التربة تخشى أن يكون ذلك كذلك فهى تقول :

«ستصاب جميع نواحى السهول بجفاف شديد ــــ عاجلاً أو آجلاً » .

لقد أصبحت هذه السهول مرة أخرى عرضة لنازلة تصيبها فى المقتل .

أخرج ذهنه الخصب نحو ٤٠٠ اختراع ، أفضت إلى قيام ستين شركة وأربع صناعات جديدة .

مخترع عبقري

جورج وستنجهاوس

مختصرة من مجلة «كورونت»

رثيم ا. ليدبيت



يحتفل الناس في هذه السنة بانقضاء مئة عام على ولادة جورج وستنجهاوس المخترع العظيم ، ومع ذلك لم يُبلِ الزمن جدّة مخترعاته ، فتكاد جميعها تكون نافعة اليوم كما كانت يوم صنعها . وقد ظل ثماني وأربعين سنة يسجل مخترعاتهِ بمعدل اختراع في كل شهر ونصف شهر ، فأفضت إلى قيام ستين شركة وأربع صناعات جديدة . وقد تيسرت لك أسباب الضوءِ الكهربائيّ والمعدات الكهربائية التي في بيتك ، لأنه أول من أقام الدليل ، برغم معارضة إديسون القوية ، على أنهُ في الوسع نقل التيار الكهربائي نقلاً صالحاً على مسافات بعيدة .

وقد كان وستنجهاوس يحبُّ الاختراع ، ويتذكر أحد زملائه أنهُ رآهُ يوم كان في الخامسة والأربعين من عمرهِ ، مرتدياً أنفر ثيابه ، ومكبًّا على محرك دوّار في ورشته ، في الفترة ما بين اجتماع مجلس الإدارة وحفلة الاستقبال : «فقد كان العمل عنده بمنزلة قسط من الراحة يصيبه في لعبة أو رياضة» على ما قاله هذا الصديق .

وهذا المحرّك الدوار كان الاختراع المخفق الوحيد ، بين ٤٠٠ اختراع أنتجها ذهنهُ الخصب . ولكنهُ لم ينبذهُ نبذ النواة ، فقد كان يقول : «أعرف صبيًّا صنع صورة لرجل فلم يرضَ عنها، فأضاف إليها ذيلا وادّعى أنها صورة كلب »، وكذلك قلب وستنجهاوس محرّكه بين يديه ، وجعله عدّاداً للماء . فصار أساساً لصناعة جديدة .

لم يطلب وستنجهاوس العلم في جامعة ، وكانت ورشة أبيه أحب المصانع إليه . فلما كان في الثانية والعشرين من عمره أتتهُ الشهرة منقادة ، مصادفة واتفاقاً . فقد اصطدم قطاران من قطارات الشحن، فتأخر

قطار ركاب كان هو مسافراً فيه . وكان اصطدام القطرات كثيراً في تلك الأيام ، لأن فرامل القطرات كانت تشدُّ باليد ، فيتعذر وقف القطار على عجل . ففحص وستنجهاوس حطام القطارين ، وسأل السوّاقين ، ومضى إلى بيته وقد عزم أن يستنبط جهازاً يمكن المهندس من أن يشدّ الفرامل على مركبات القطار جميعاً في وقت معاً .

كان غيره قد سبقه إلى بحث هذه الفكرة ، وكان بعضهم قد جرب صناديق من البخار تركب في كل مركبة لشد الفرامل ، فوجدها غير مجدية . وذات يوم قرأ هذا المستنبط الشاب مقالا في مجلة عن نفق في جوف « مون كنيس » في جبال الألب الفرنسية الإيطالية ، وكان النفق قد حفر بأجهزة تثقب الصخر ، يحركها هواء مضغوط .

فتبين سر الجهاز المطلوب في لمحة عين ، ووضع تصميماً لفرملة يحركها الهواء المضغوط . وهذه هي فرملة وستنجهاوس الهوائية التي تعتمد عليها جميع القطارات في أمريكا ومعظم بلاد الأرض .

وقد علم بعد ذلك أن غيره فكر في الانتفاع بقوة الهواء المضغوط ، ولكن تصميمه امتاز بخاصتين جديدتين ، فتغلب على جميع الذين نازعوه حق الانتفاع به أمام القضاء . أما الخاصة الأولى فقطعة من أنبوب تصل بين أنابيب الهوا المركبة في كل مركبة على حدة ، وأما الثانية صمامات أوتوماتيكية أحكم تركيبها ، بحيث تشد شداً محكماً إذا انفصمت وصلة الأنبوب بين مركبتين . فإذا حدث لقطار ما جعله قسمين منفصلين ، وقف الجزء الخلفي لأن الفرامل أوتوماتيكية ، وتظل الفرامل في الجزء الأمامي عاملة ، لأن الصمامات تنسدّ بعد الانقطاع فلا يفلت الهواء المضغوط من الأنابيب .

ولم يكد يضع فرملته حتى بدأ جهاداً مرهقاً مضنياً ليقنع أصحاب السكك الحديدية بنفع ما صنع . فرد عليه كرنيليوس فندربلت صاحب « شركة نيويورك سنترال » بكلام كأنه حد السيف : « أتريد أن تقول دون خجل أو حياء أن الهواء يستطيع أن يقف قطاراً متحركا؟ » . وأخيراً أقنع وستنجهاوس شركة صغيرة بأن تمتحن فرملته ، فما كادت القاطرة تستجمع قوتها للانطلاق ، حتى شُدت الفرامل ، فوقف القطار عن الحركة وقفاً عنيفاً على غير انتظار ، ودفع الركاب دفعاً قوياً . فثارت ثائرتهم على المخترع الشاب ، وجعل هو يعدو ليرى ماذا حدث ، فوجدوا على الخط الحديدي أمام القاطرة ، سائق

عربة انقذف من عربته ساعة أجفل حصانه، ولولا الفرملة لداسه القطار .

وقد بدأت شركة وستنجهاوس لفرامل الهواء تصنع الجهاز الجديد سنة ١٨٦٩، يوم أن كان المخترع فى الثالثة والعشرين من عمره . وكانت القطرات التى زادت سرعتها فى حاجة إلى نظام دقيق سريع من الإشارة وأساليب تحويل القطار . فوجه وستنجهاوس اهتمامه إلى هذه الناحية ، فابتاع المخترعات المسجلة التى كانت معروفة يومئذ ، وضم إليها ما ابتكره هو ، حتى تم له هذا النظام المحكم ، فأنشأ لاستغلاله شركة « يونيون سويتش وسيجنال » التى لا تزال فى طليعة الشركات .

واهتمامه بالإشارة أفضى به إلى الاهتمام بالكهرباء ، ففى العقد التاسع من القرن الماضى ، كان المشتغلون بالكهرباء يتناقلون الحديث عن مخترعات جولارد وجبز فى فرنسا ، والتى تمكن من أراد أن ينقل تياراً كهربائياً متقطعاً فى الأسلاك مسافة بعيدة — وهو ما كان متعذراً فى التيار الثابت المستمر . فأرسل وستنجهاوس رجلا إلى فرنسا، وأمره أن يشترى «حقوق» مخترعات جولارد وجبز «بأى ثمن» . وقد فعل، فكلفه ذلك ٥٠ ألف ريال ! فأعاد وستنجهاوس تصميم جهازها ، وصنع محولا جديداً أفضل من محولها ، ليزيد الضغط الكهربائى العالى أو يخففه ، وأنشأ مركزاً صغيراً للتجارب فى مدينة بتسبرج .

ثم بدأ نضال دام عشر سنوات بين وستنجهاوس الداعى إلى الانتفاع بالتيار المتقطع ، وبين الذين لا يرضون عن التيار الثابت بديلا . وكان مدار «حرب التيارين» أن التيار المتقطع يصعق من يمسّ الأسلاك التى يجرى فيها إذا ما زيد ضغطه الزيادة اللازمة لنقله مسافات بعيدة . ولما اتفق أن لمس صبيّ أحد هذه الأسلاك وصعق فمات ، حملت الصحف على ما استحدثه وستنجهاوس ، وصدرت قوانين تحظر مدّ الأسلاك التى يجرى فيها تيار عالى الضغط فى شوارع كثير من المدن .

وكتب إديسون ، أعظم المشتغلين بالكهربائية فى عهده فقال : « ليس ثمة ما يسوّغ إستعمال التيارات المتقطعة ، لا فى العلم ولا فى العقل ، وأما أنا فأودّ أن يحظر استعمالها » .

فرد عليه وستنجهاوس : « إن التيار الكهربائى سيقتل بعض الناس ولا ريب ، وكذلك الديناميت ، والوسكى ، وكثير غيرها . ولكن عندنا وسيلة تمنع الكهرباء المدمرة فى التيار المتقطع من أن تؤذى أحداً » .

وقد جنى وستنجهاوس ثمرة إيمانه بالتيار المتقطع يوم نافس إديسون على إضاءة معرض شيكاغو العالمى فى سنة ١٨٩٣ وظهر عليه. ولكن إديسون كان يسيطر على الشركة الوحيدة التى تصنع مصابيح كهربائية جيدة، فدأب وستنجهاوس خلال ثلاثة أشهر على الاختراع والامتحان حتى وفق إلى صنع مصباح جيد. فأضاء به أرض المعرض، وظفر بحفاوة الناس جميعاً بما وضعه من نظام كهربائى.

وقد ظفر ظفراً آخر فى تلك السنة يوم مُنح حقّ توليد الطاقة من شلالات نياجرا، فأقام ثلاثة مولدات لم تزل عاملة إلى يومنا هذا. ففى ليلة العاشر من نوفمبر سنة ١٨٩٦ احتشدت الجماهير فى شوارع مدينة بفالو التى تبعد ٣٠ ميلا عن الشلالات، فلما انتصف الليل أدار محافظ المدينة مفتاحاً فغمرها ضياء باهر — ولدتهُ قوة كهربائية نقلت إلى المدينة من الشلالات. أما اليوم فإن ٩٥ فى المئة من الطاقة الكهربائية تنقل بطريقة التيّار المتقطع. والقوة المحركة الرخيصة التى أتاحها «تيار وستنجهاوس»، قد زادت قدرة المصانع على الإنتاج زيادة لا تقدر، فكان ذلك بدء ثورة صناعية جديدة — بدء عصر القوة الكهربائية.

ولم يكد يشرف على ترويض شلالات نياجرا، حتى صرف عنايته إلى شىء آخر — الغاز الطبيعى. فقد كشف الباحثون فجوات كبيرة تحت الأرض زاخرة بهذا الغاز قرب مدينة بتسبرج حيث يقيم. فأمر بحفر بئر فى فناء داره، فلما صار عمقها ١٥٠٠ قدم أصاب الحفارون الغاز الذى انطلق انطلاقاً قوياً فنسف غطاء الآلة ودمّر سائرها، ثم اشتعل الغاز، وظلّ لسان النار الهادر الذى بلغ ارتفاعه مئة قدم، يضىء المنطقة أسابيع عدّة، فضايق ذلك جيرانه مضايقة شديدة.

وأخيراً تمكن من سد البئر، وإذا وستنجهاوس يُلفى نفسه مشتغلا بتجارة الغاز الطبيعى. وأقبل على هذا العمل بما عهد فيه من نشاط وإقدام، فلم تكد تنقضى سنة واحدة حتى كان قد سجّل ٢٨ اختراعاً خاصاً بالغاز والانتفاع به. وبفضل براعته صار الغاز وقوداً نافعاً مأمون المغبّة. وكان الناس ينسون أن يقفلوا أنبوب الغاز حين ينقطع وروده، فإذا ورد فى الأنابيب وقعت حوادث الاختناق والانفجار وشبوب النار، فصنع لهم جهازاً يدرأ هذا الشرّ، فيمنع من تلقاء نفسه انسياب الغاز من الأنبوب حين يقل ضغطه، حتى يعود غير صالح للاشتعال. واخترع سلسلة من الأنابيب، كلُّ حلقة منها أكبر قطراً من الحلقة

السابقة ، فتكفل هبوط ضغط الغاز هبوطاً مطّرداً حتى تبلغ درجة تصلح للاستعمال في الدور ، وبهذه الأنابيب نقل الغاز من الآبار إلى المستهلكين . وقرب مدينة بتسبرج صناعة مزدهرة اشتهرت بها ، هي صناعة الزجاج التي تحتاج إلى الغاز ، وسبب نجاحها يعود على الأكثر إلى نجاح أنابيب وستنجهاوس في نقل الغاز إليها من آبار بعيدة .

كان وستنجهاوس مهيب الطلعة ، فهو مديد القامة ، مفتول العضل ، أشيب الشعر مرسل الشاربين ، له في نفوس الناس أثر قوي وسحر . وقد روي أنه في أثناء مفاوضات مالية اقترح أحدهم على « شيف » المالي أن يلقاه فقال : « لا أريد أن ألقاهُ ، فهو خليق أن يقنعني » . وكان يحبُّ معاشرة الناس وينعم بها . وقد ظل سنين كثيرة يقيم مأدبة عشاء في بيته كل ليلة .

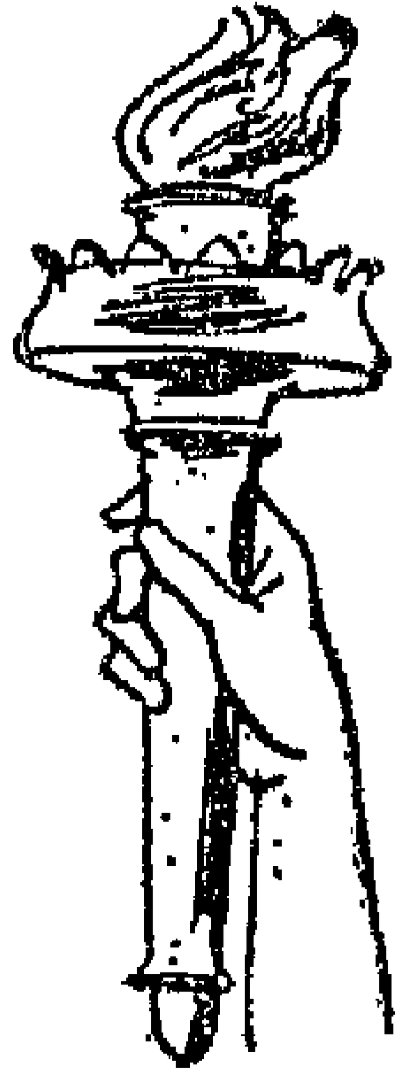
وكان يدأب على العمل في بيته ومكتبه على السواء ، وقد فتن كثيرون من الذين عرفوه بأساليبه في العمل . فهو في بيته يرسم رسومهُ جالساً على حافة مائدة ، أما حجر الرسم في مصنعه فكان من دأبه أن يدخل إحداها على غير انتظار ، ويجلس إلى منضدة ، ويشغل نفسه بأي رسم يُلفيه ملقى عليها .

كان وستنجهاوس قد جاوز الخمسين قليلا حين أقدم على أعظم أعماله — صنع التربين البخاري الذي استغرق معظم جهده في ثماني سنوات . ولم يكن هو الذي اخترع التربين ، ولكنه كان في طليعة الذين اتخذوه للانتفاع به في السفن ، وفي توليد الطاقة الكهربائية في المدائن والقرى .

ثم نزلت النازلة . ففي الذعر المالي الذي حلّ بالناس سنة ١٩٠٧ أحيلت شركاته إلى الحراسة القضائية ، وفقد سيطرته عليها ، لأن براعته في تدبير المال لم تكن تضارع براعته في الاختراع — فاختلت أموره . وبعد سنوات مضى به أحد شركائه ذات ليلة في سيارة ، فجاسا في مدينة بتسبرج . قال صاحبه : « فلما بلغنا اللوحة المضيئة الباهرة التي كتب عليها «شركة وستنجهاوس الكهربائية والصناعية» أشاح وستنجهاوس بوجهه عنها ، ونظر إلى التلال الجُرْد نظرة فيها من الألم والأسى ما يقطع نياط القلوب . وظل مدة طويلة لا ينبس بكلمة » .

وفي صيف ١٩١٣ خرج يوماً يصطاد ، فانقلب به الزورق ، فأصيب بزكام شديد ، واعتل قلبه ، ثم توالت عليه شهور كالحة من المرض والضنى ، ولكن ذهنه ظل صافياً يقظاً إلى يومه الأخير ، وفي ١٢ مارس ١٩١٤ ، كان جالساً في كرسي قائم على عجلات ، وعلى مقربة منه رسوم صنعها هو لكرسي يحركه محرك ، فجاءه أجله وقضى نحبه .





حياة موظف سوفيتي في أمريكا

مختصرة من كتاب «اخترت الحرية»

فيكتور كرافشنكو

في ٤ إبريل سنة ١٩٤٤ استقال فيكتور كرافشنكو من لجنة المشتريات السوفيتية في الولايات المتحدة ، محتجاً بأن الاتحاد السوفيتي يهدف إلى أغراض تناقض التعاون الذى قام بينه وبين أمريكا وبريطانيا العظمى زمن الحرب . وفيما يلي خلاصة لكتابه « اخترت الحرية » وهو يروي فيه كيف تختار الحكومة السوفيتية ممثليها في الخارج وكيف تراقبهم :

نبتت فكرة ذهابي إلى أمريكا عضواً في لجنة المشتريات السوفيتية أول ما نبتت في يناير سنة ١٩٤٣ ، إذ اقتضى التوسع في تنفيذ قانون الإعارة والتأجير ، أن توفد روسيا إلى الخارج مئات من المتخصصين . ولما كنت مهندس تعدين أشرف على بضعة مصانع منتشرة في أنحاء روسيا ، فقد جعلني ما قمت به أهلاً لمثل هذا المنصب ، وكانت سيرتي السياسية أيضاً ، كما تعرفها الحكومة على الأقل ، لا غبار عليها .

ولو كنت أنا البادىء بعرض نفسي لهذا الأمر ، لعدّ ذلك من قبيل سوء التصرف . فعلى قدر تلهفك على السفر إلى الخارج ينبغي أن يكون حرصك على كتمان هذه الرغبة . وفي أثناء حديث لي ذات ليلة مع موظف في مصلحة التجارة الخارجية ، احتلت على أن أوقع في نفسه أن أمامه رجلا جديراً بأن ينتفع به في الخارج ، فتطوّع بتقديم هذا الاقتراح إلى الجهات المختصة .

وظللت بعد ذلك ثلاثة أشهر خيل إليّ فيها أن جهود دولة مطلقة السلطان قد انصرفت كلها إلى مهمة واحدة ، هي الفحص عن أمر هذا الضعيف ، أعني نفسي . وقد بدأ هذا البحث الدقيق في وزارة التجارة الخارجية ، وأخذ موظف صغير من عُرْض الموظفين يضع على عينيه نظارات غليظة ، يستعرض تاريخ حياتي منذ مولدي ، ثم جعل يسألني عن والديّ وجدودي وسائر أقاربه وأصهاري ، ومَنْ عرفت من الأصدقاء والزملاء منذ عقلتُ .

ولقد جزت مثل هذا الامتحان مرات عديدة من قبل ، وقام الحزب الشيوعي

ومكتب الجيش وغيرهما من الإدارات، بتقييد كل صغيرة أو كبيرة فى حياتى . وكان يجب أن تكون الإجابات متطابقة فى كل مرة ، ومصدّقة للإجابات السابقة . فلو خانتك الذاكرة قليلاً أو تناقضت إجاباتك فى أمر هيّن ، هاجت ريبة الدولة من فورها . وقد دمّر كثير من أفراد الشعب السوفيتى مستقبلهم ، لأنهم خلطوا بين تاريخ وتاريخ .

وبعد ثلاثة أشهر استدعيت ثانية إلى وزارة التجارة ، ويومئذ تولى سؤالى موظف أعلى منصباً وأشد مكراً ، وظللنا ثلاث ساعات نستعرض تاريخ حياتى ، وهو يتريث بين الحين والآخر ليناقشنى فى آرائى السياسية ، ويوجه إلىّ أسئلة فيها أشراكٌ منصوبة ، ويتعمد الإدلاء بآراء خطأ ثم يعدل عنها ، حتى يأخذنى على غرّة .

وقد كلفت بعد ذلك أن أجمع كتب توصية من هيئات الحزب التى أعمل فيها . فلما فعلت أشاروا علىّ بأن أتقدم إلى الرفيق ليديف ، الوكيل المساعد لوزارة التجارة ، فعادَ يسألنى من حيث بدأت ، وهو يقلب بين يديه الملف الضخم المخصص لى .

وأخيراً قال بلهجة حازمة : « أيها الرفيق ، أتراك مقدّراً ما لوظائف الخارج من خطر الشأن ؟ إنه لزامٌ عليك أن تبرهن على جدارتك بالثقة التى حباك بها الحزب » .

فأجبت متواضعاً : « سأبذل جهدى أيها الرفيق ليديف » .

وبعد خمسة أيام استدعيت إلى مكتب اللجنة المركزية لكافة فروع الحزب ، فلقيت موظفاً أخذ يتفرس فىّ ملياً ثم قال : « يهمنى أن أعرف تفكيرك السياسى . فهل خامرك شك فى سياسة الحزب فى أمر ما ؟ »

فأجبته « كلا البتة ! » .

« ولكنك كنت فى مركز حرج أثناء التصفية فى سنة ١٩٣٦و١٩٣٧ ، فقد كانوا يفحصون عن أمرك ويسألونك . فماذا كان من خبرك ؟ »

« لقد أخذتنى الدهشة ، بل ساورنى شىء من الغيظ ، فأنا أعلم أنى برىء » .

« أبقى فى قلبك شىء من هذا الغيظ ؟ »

فابتسمت كمن يسأل عن خرافة لا يتصورها العقل وقلت : « عجباً ، كلا ، البتة » .

والراجح أنه حكم علىّ بعد استجوابى بأنى رجل يستخلص لنفسه بعض الآراء ، ولكنها آراء سليمة لا ضير فيها ، وأننى رجل غير بارع الذكاء ، ولكن يمكن الاعتماد عليه . وكذلك زكتنى اللجنة المركزية .

وسرعان ما قدمت إلىّ نشرتان سريتان تتضمنان القواعد التى يجب أن يسير عليها موظفو الحزب فى الخارج . وفى النشرتين

تحذير من الشراك التى تكتنف المعيشة فى الدول الرأسمالية ، وهما تعرضان عليك صورة لعالم غريب مفطور على حب العداوة، همه الوحيد أن يوقع رعايا السوفيت فى حبائله وينتزع منهم أسرار دولتهم. فالمقدمون على خوض هذه اللجج المخوفة محرّم عليهم أن يتكلموا فى السياسة ، أو أن يتحدثوا فى أى موضوع بغير داعٍ . فإذا سئلنا عن الحياة فى روسيا السوفيتية وجب علينا أن نتهم هؤلاء السائلين النابشين بأنهم جواسيس .

وتتضمن هذه القواعد أن النظام الرأسمالى ثمرة تعفن قلبها ، وظلت قشرتها تبرق وتخلب الألباب. ويجب علينا فى أسفارنا فى الخارج أن لا ندع امرأة أبداً تجاذبنا الحديث، وبخاصة إذا كانت تتكلم الروسية، كما يجب علينا أن لا نضع أقدامنا فى الحانات وأندية الليل — اللهم إلا لعمل رسمى مأذون به . وأنذرتنا النشرتان بأن حقائبنا ستفحص فى أمريكا ، وأن جواز سفرنا قد يسرق منا لاستخدامه فى التجسس ، وأن محادثتنا التلفونية قد تُراقب .

وعدت فى اليوم التالى إلى مكتب رياسة الحزب حيث لقيت فى انتظارى موظفاً آخر أعلى درجة من السابق وقال لى :

« أيها الرفيق كرافشنكو ، إن خير وقاء تعتصم به من الأخطار فى الولايات المتحدة هو الحرص على تعلقك باليقظة البلشفية ، وإخلاصك للحزب . وأنت اليوم ذاهب إلى دولة بلغ فيها النظام الرأسمالى ذروة الرقى ، فإياك أن تثق بمن يزعم لك أنه صديق لأمتنا — وهذا ينطبق على المهاجرين الروس ، وعلى أصحاب المصارف والمصانع وغيرهم من الرأسماليين الذين أصبح من البدع الجديدة عندهم اليوم إظهار إعجابهم بالاتحاد السوفيتى » .

وعُهد إلى موظف ثالث أن يباحثنى فى واجباتِ المهندس عند سفره إلى الخارج، وقال لى إن أهمها هو جمع المعلومات الاقتصادية والعسكرية — ويجب أن أدرب نفسى على ملاحظة الدقائق الفنية ، ومناهج المصانع ، والتحسينات المستحدثة فى الآلات وطرق الإنتاج .

وصلت إلى فلادفوستك لأبحر منها إلى أمريكا ، فأخذ ثلاثة من موظفى الجمارك ينقبون فى كل قطعة من ثيابى ، ويدسون أصابعهم فى البطانة وينفضون كل ثوب ، ثم فحصوا بذلتى وقلبوا جيوبها وبطانتها ، وأخيراً أذن لى بالسفر .

وبعد ١٩ يوماً رست بنا الباخرة فى فانكوفر ، ففحص رجال الجمارك الكندية جوازات سفرنا بنظرة عابرة ، ولم ينقب أحد فى ملابسنا أو حقائبنا ، بل الأعجب



أن لم يسألنى إنسان عن شىء ما . فأين بغضاء طبقة الرأسماليين لغيرهم من الطبقات ؟

وسرنا ما وجدناه فى متاجر فانكوفر من وفرة الملبس والمأكل والمتاع ، وكأنما تحقق أمام أعيننا حلم الاشتراكية فى نشر الرخاء ، وأخذت أقول لنفسى : « أليس هذا هو الذى وُعدنا به فى مستقبل لا يزال فى عالم الغيب ، وبعد تنفيذ سلسلة لا تنتهى من برامج السنوات الخمس ؟ » . ولاحظنا فى القطار الذى أقلنا إلى وشنطن أن أحذية رفقائنا متينة وملابسهم جيدة ، وبدا لنا كل هذا الرخاء حلماً من الأحلام .

وكانت لجنة المشتريات السوفيتية قد استأجرت لى فى وشنطن حجرة فى مسكن أسرة أمريكية ، فوجدتها بادية السرور لعشرة رجل أجنبى من « هؤلاء الروس المدهشين » ، ولم تسألنى أن أبرز لها مستنداً يثبت شخصيتى ، والظاهر أنها لم تكن مكلفة أن تبلّغ خبرى إلى لجنة تراقب المساكن .

ولكنى حين ذهبت إلى عملى فى اليوم التالى ودخلت مكتب اللجنة فى وشنطن ، تنفست جوّاً من الريبة والتآمر يدل على جوّ السوفيت ، وقدمت نفسى إلى الرفيق سيروف ، فاستقبلنى بريبة ، وسلمته تذكرة عضويتى فى الحزب الشيوعى .

فبادرنى بسؤال مقتضب « رقمك ؟ »

فتلوت له دون أن أتلعثم رقم ٢٤٨٦٤٧٥ إذ لو نسى الشيوعى رقمه فى الحزب لعدّ ذلك دلالة على وهن إخلاصه .

ورياسة المبعوثين الشيوعيين فى الولايات المتحدة مسندة إلى سيروف ، لا لشىء إلا لأنه الممثل الأول للجنة المركزية للحزب ، مع أنه لا يشغل رسمياً إلا منصب مساعد صغير فى لجنة المشتريات . وليس بين جميع مبعوثى السوفيت فى أمريكا — فى الواقع — من يضارعه فى سلطانه ، فكلمته قانون نافذ على أكبر الممثلين العسكريين والاقتصاديين ، لأنه يتكلم بلسان الحزب .

ولم تكن لجنتنا — فى حقيقة أمرها — إلا قطعة منتزعة من النظام الجامع المطلق نقلت من موسكو . فها نحن نعيش ونعمل بين أناس أحرار ، إلا أننا لا نشاركهم حرية القول ، وحرية الصحافة ، وحرية الاعتقاد ، وحرية الأمن من الخوف ، بل ظللنا رعية مذعورة الجنان لدولة ذات بطش ، تفرض علينا نظاماً محكماً من التجسس على كل كلمة أو عمل يصدر منا . وكانت لنا — حتى فى أمريكا — لجنة للحزب ، وإدارة خاصة ، « الإدارة السرية » ، فلم ينقصنا شىء من تلك الإدارات المختصة بالإرهاب السياسى والتجسس على الناس .

وأكثر ما آلمنا من القيود هو القيد



المحكم المضروب على علاقاتنا بالأمريكيين ، فقد حُرّم علينا أشد التحريم أن نوثق الصداقة بيننا وبينهم ، اللهم إلا لأغراض تتعلق بالعمل . وفرض علينا أن نقدم عن كل من نعرفه تقريراً مسهباً ، لا يقتصر على التعريف به ، بل يشمل أيضاً ذكر آرائه في السوفيت . أما الإذن لنا بأن تتحول هذه المعرفة إلى صداقة ، فموكول إلى كبار الرؤساء .

وكان من الطبيعي أن أتعرف بكثير من الناس في مكاتب وشنطن المتصل عملها بقانون الإعارة والتأجير ، فكنت في حرج دائم لما ألقاه من تودّدهم ، فإن الموظف السوفيتي حين يصادف مثل هذه الصراحة والبراءة من الريبة يحسبها من خلق الأطفال .

وقد بلغ من شدة مراقبة علاقاتنا مع الأمريكيين أنْ كان لزاماً علينا أن نظفر بإذن رسمي يبيح لنا إرسال بطاقات التهنئة بعيد الميلاد إلى زملائنا في العمل ، فقد أمرنا أن نعدّ بياناً بأسماء من نريد أن نبعث إليهم بهذه البطاقات ، وأن نرفقه بصيغة التهنئة . وقد روجعت هذه البيانات وصدّق عليها ، وتولت اللجنة إرسال البطاقات بالبريد لكي تضمن اتباع الحدود المرسومة .

وليس من السهل أن نحمل الأمريكيين على تصديق مثل هذه التصرفات ، فقد حدث أن كنت مسافراً مرة بالقطار ، وجلست أقلب صحيفة ، فجاء زميل لي في اللجنة وجلس بجانبي ، فذكرت له مقالا منشوراً فيه نقد للحكومة وقلت : « إن هؤلاء الأمريكيين لا يحجمون عن إبداء رأيهم في رجال الدولة ، من روزفلت فنازلا » .

وهي ملاحظة عابرة سرعان ما نسيتها ، ولكني استدعيت بعد بضعة أيام إلى مكتب سكرتير شعبتي في الحزب ، وسألني :

« كيف كان سفرك ؟ »

« كانت رحلة طيبة » .

« لقد لقيت الرفيق ب . أليس كذلك ؟ »

« نعم ، لقيته » .

« فماذا كان موضوع مناقشتكما ؟ »

فركبتني الحيرة وقلت : « مناقشة ؟ لا أذكر أنه جرت بيننا مناقشة ما » .

« إنني أراك أيها الرفيق لا تصارحني بما في نفسك . فأنت ولا شك لم تنس أنك انتقدت الصحافة السوفيتية ، ونقِمت منّا أننا لا نهاجم المارشال ستالين » .

فصحت به : « هذا كذب . وأنا أصرّ على أن تستدعي الرفيق ب » .

ولكن الرفيق ب خانته الشجاعة فلم يستطع أن يصرّ على ما قال ، فصرفوا النظر

عن هــذا الموضوع ، ولــكنى زدت إيماناً بأن الحــكمة تقضى علىّ بأن أحبس لسانى .

وجرت لى حادثة أخرى : مرضت ذات يوم فوصلتنى رسائل مودّة من بعض الأمريكيين ، فسألت موظفاً فى اللجنة أن يترجمها لى ، فإذا سكرتير الحزب يستجوبنى بصراحة عن علاقاتى بهؤلاء الأمريكيين واحداً بعد واحد ، ثم عنّفنى تعنيفاً قاسياً ، وأمرنى أن أتحرز من حبائل المجتمع الرأسمالى الذى نعيش فيه . وحسبت نفسى سعيداً أنى نجوت بجلدى من هذا المأزق .

وقد بلغ نظام التجسس الذى يلاحق الموظفين السوفيتيين ، مبلغاً من التشعب والإحكام يذهل العقل ، فكل فرد منا يقتضيه إخلاصــه للحزب أن ينقل كل كلمة أو عمــل مريب يصــدر من الآخرين . وللحزب ، فضــلا عن ذلك ، جيش من الأعوان منبثّ بين موظفى اللجنة ، ويشغلون فى الظاهر بعض المناصب الفنية ، ولــكنهم فى الواقع منصرفون إلى التجسس على إخوانهم ، ومن ورائهم جماعة أخرى من موظفى قلم البوليس السرى ، وهؤلاء هم الجواسيس الفنيون . وحتى الضابط العظيم رئيس اللجنة ، والرفيق سيروف ذاته ، لا ينجوان من هذه المراقبة الدقيقة .

ومهما يكن نوع العمل الموكول إلى المثلين الاقتصاديين السوفيت ، فإن أهم واجب يطالبون به هو أن يجمعوا ما وسعهم من البيانات عن المؤسسات الصناعية الأمريكية والمسائل العسكرية والمخترعات العلمية . وحدث ذات يوم أن استدعى أعضاء الحزب فى هيئتنا ــ و ٩٠ ./. من كبار الموظفين منتسبة إليه ــ وقرأ علينا الرفيق سيروف تقريراً مسهباً يعدّد أنواع المعلومات التى يجب أن نبحث عنها ، وطريقة الظفر بها مع التكتم والتخفى ، وكيف ننقل هذه المعلومات إلى الاتحاد السوفيتى . فجاء هذا التقرير تذكيراً لنا بأن السلطات العليا تعتمد علينا فى أداء واجبنا فى هذا المجال .

على حين أننى لم أصادف إلا الصراحة ونقاء السريرة فى معــاملاتى مع رجال الأعمال وموظفى الحكومة من الأمريكيين . وقد زرت مصانع كثيرة ، فكان رؤساؤها يطلعوننى دائما على كل ما لديهم من الآلات والمواد ، ومن بيانات نفقات الإدارة ، وكأنهم لا يدرون أن ضيفهم مؤمن بأنهم من طبقة معادية لطبقته ، بل إنهم تجاوزوا حد المجاملة بين المضيف وضيفه ، وبذلوا لى كل ما أحتاج إليه من معونة فى أداء عملى . ومثل هذه الصراحة شىء لا يصدقه عقل الروسى .

ولا أدرى متى قر قرارى على التحــرر من نير النظام الجامع المطلق ، فهــذا قرار

ولده شعور أخذ يقوى شيئاً فشيئاً في دخيلة قلبي، ولكنني كنت أحس أنني سوف أخطو هذه الخطوة الحاسمة قبل أن أفعل ذلك بشهر كامل. ولم أكاشف أحداً من أصدقائي وزملائي بما انتويت، إذ كنت أعلم ما سوف يصيبهم إذا وقع عليهم ظل من الشك، حين تقوم إدارة البوليس السرى بالفحص عن أمرى.

وتسللت من وشنطن مساء يوم سبت ونزلتُ نيويورك، واستأجرت حجرة في فندق غير مشهور، وهناك أعددت البيان الذى أعلن فيه استقالتي وأسبابها. فلما ظهر البيان في الصحف، ادعت اللجنة في مبدأ الأمر أنها لا تعرفني، وكان من البيّن أنها تنتظر الأوامر من موسكو. ثم عدلت عن إنكارها وسارعت إلى نشر بيانات — لا مفرّ منها في مثل هذه الأحوال — يراد بها تشويه سمعتي.

وعلى رغم الحيطة المحكمة التي اتخذتُها، لم يمض وقت طويل حتى رأيت جواسيس السوفيت يتسكعون حول الفندق. وكنت أسارع مراراً إلى الترام الذى يسير تحت الأرض، أو أقفز إلى سيارة منطلقة في سيرها، وتنقلت من فندق إلى فندق، متسمياً كل مرة باسم مستعار. وكان يخيل إلى في بعض الأحيان أنني تملصت من قبضتهم، ولكن سرعان ما أجدهم من جديد يترصدونني على باب الفندق.

وذهبت مرة إلى مدينة في غرب أمريكا أزور بعض أصدقائي الأمريكيين، وظننت أنني ركبت القطار دون أن يقع بصر أحد علىّ، ولكني حين وصلت لم أجد في انتظارى هؤلاء الأصدقاء فحسب، بل ثلاثة من الجواسيس أيضاً. وركبنا سيارة، فركبوا أخرى وساروا خلفنا، ولم نفلح في التخلص منهم إلا حين وقفنا أمام نقطة بوليس، فتجاوزتنا سيارتهم، ومضت دون أن تتريث. وكتبنا رقم سيارتهم، ولكن تبين أن لوحتها مسروقة.

وفي أثناء إقامتي في تلك المدينة دعيت مرات إلى تلفون من نيويورك، فكنت أسمع أصواتاً غامضة مجهولة تنذرني — باسم الصداقة — بأن حياتي في خطر، وأنه ينبغي لي أن أجد لنفسي مخبأ. ومن الواضح أنهم كانوا يقصدون حملي على الالتجاء إلى مكان بعيد عن الأنظار أختبيء فيه، حتى يسهل عليهم عندئذ أن يفتكوا بي.

وقد ينجح هؤلاء السفّاحون ذات يوم في الفتك بي، وقد ألاقي حتفي في نهاية هذه الفسحة التي يعدّونها لي في عمرى، ولكن هيهات أن يفتكوا بهذه الشهادة التي أخلفها للناس من بعدى.

كيف تعيش على أربع وعشرين ساعة في اليوم

خلاصة كتاب بقلم أرنولد بينيت

هو كتاب جليل فى علم توجيه النفس — يصف دواء ناجعاً للترهُّل العقلى ، و يدل على الوسيلة التى تضاعف متعة النشاط اليومى فى كل شىء .

وقد اهتدى بهذا الكتاب آلاف ، وما زال محبوه القدامى يسرهم أن يرجعوا إليه ، وقد كتبه أرنولد بينت فى مفتتح حياته الأدبية ، ولا يزال معدوداً من خير آثاره ، وهو يقدم للقارىء خلاصة للطريقة المنظمة البديعة التى طبقها المؤلف الكبير فى حياته هو ، فكانت ثمراتها باهرة .

كيف تعيش
على أربع وعشرين ساعة في اليوم

المعجزة اليومية :

إن المثل القائل : « الوقت من ذهب » ، يصور الأمر دون الحقيقة ، فإن الوقت هو المادة الأولية الغامضة لكل شيء ، وما ميزتنا من الوقت فى الحق إلا معجزة يومية . فأنت تستيقظ فى الصباح فإذا كيسك قد امتلأ بسحر ساحر بأربع وعشرين ساعة من نسج حياتك غير المصنوع ، وإذا أنفس الأحراز يغدق عليك على نحو فذ لا يعدله إلا السلعة نفسها !

وانظر ! إنه ما من أحد يستطيع أن يسلبك إياها ، وهى لا تسرق ، ولا يأخذ أحد منها فوق ما تأخذ أو دونه ، وما تكافأ الثروة أو العبقرية أبداً بساعة واحدة إضافية فى اليوم . وليس ثم عقاب ، فبدد هذه السلعة النفيسة كما تشاء ، فإنك لن تحرم نصيبك منها .

وعليك أن تعيش على هذه الساعات الأربع والعشرين من الزمن اليومى ، ومنها تغزل خيوط صحتك ولذتك ومالك ورضاك واحترامك ، وتطور روحك الخالدة . وإذا كان المرء لا يستطيع أن يعيش على قدر معين من الدخل المالى فقد يستطيع أن يكسب قدراً آخر قليلا ، أو يتشدد فيحدث التوازن بين الدخل والنفقة . ولكن إذا لم يستطع المرء أن يجعل دخله ، وهو أربع وعشرون ساعة فى اليوم ، كافياً لكل وجوه الإنفاق الصحيحة ، فإنه يورث حياته كلها الاضطراب بلا شك .

وأينا لم يقل لنفسه فى حياته : سأغير هذا أو ذاك متى أتيح لى وقت آخر ؟ وأينا لا يساوره الإحساس بأن السنين تمضى وتنقضى ، وأننا لم يتيسر لنا أن نجعل لحياتنا نظاماً عملياً صالحاً ؟ وهذا الإدراك لهذه الحقيقة العميقة المهملة ، هو الذى حملنى على الفحص العملى الدقيق لما ننفق من الوقت كل يوم .

احتياطات قبل الابتدار :

إن أهم تمهيد لمهمة ترتيب حياة الإنسان بحيث يحيى الإنسان حياة وافية مريحة فى نطاق ميزانية يومية من أربع وعشرين ساعة ، هو الإدراك الهادىء للصعوبة القصوى فى هذه المهمة ، ولما تتطلبه من التضحيات والجهود التى لا آخر لها ، وكل

تأكيد لهذا لا يكون إلا دون الكفاية . فإذا كنت غير مستعد لاحتمال الشبطات ، وإذا كنت لاتقنع بثمرة يسيرة لجهد عظيم، فلا تبدأ إذن! وارقد مرة أخرى واستأنف الإغفاءة المضطربة التى تدعوها حياتك .

وإنه لأمر محزن ، أليس كذلك ؟ على أنى أرى أنه أمر حسن أيضاً — وأعنى به هذه الحاجة على عقد العزم قبل أن يستطاع فعل شىء يستحق الذكر ، وإنى لأشعر أن هذا أكبر مايميزنى من القطة الجالسة قرب الموقد.

وأراك تقول : «حسن. افرض أن عزمى صح على خوض المعركة ، فكيف أبدأ ؟ » فياسيدى العزيز ، إنك تبدأ ، وهذا كل ما هناك . وإذا رأيت رجلا فى حمام سباحة يريد أن يقفز إلى الماء البارد ، ويسأل : « كيف أبدأ بالقفز ؟ » فإنك لا تجيب إلا بقولك : « اقفز ! شدّ أعصابك ثم ثب ! »

وأبدع ما فى هذا الزاد الدائم من الوقت أنك لاتستطيع أن تبدده سلفاً ، فإن اليوم التالى والساعة التالية مهيّئان لك على أكمل صورة وأخلاها من العيب ، كأنما لم تبدد فى حياتك كلها لحظة واحدة . ولهذا فإنه لافائدة من الانتظار إلى الأسبوع القادم ، بل حتى إلى الغد . غير أنى أحب قبل أن تبدأ أن أحذرك من حماستك ، فإن الحماسة غادرة خوّانة ، وليس فى وسعك أن تبلغها مناها فى البداية ، فإنها تودّ لو حركت الجبال وغيرت مجرى الأنهار ، ثم إنها كثيراً ماتفتر فجأة وتخمد .

وحاذر أن تحاول ما هو فوق الطاقة فى البداية ، واحسب للحوادث والعوائق حسابها، وللطبيعة الإنسانية أيضاً، ولطبيعتك أنت على وجه خاص ، فإن الإخفاق المجيد لايؤدى إلى شىء ، ولكن النجاح اليسير قد يؤدى إلى نجاح غير يسير . ومن أجل هذا ينبغى حين نشرع فى هذه المهمة العظيمة — مهمة الحياة الوافية فى الحدود الضيقة لأربع وعشرين ساعة فى اليوم — أقول ينبغى أن نتقى ، مهما كان الثمن ، خطر الإخفاق فى البداية .

والآن فلنتدبر ميزانية الزمن اليومى . إنك تقول إن يومك ممتلىء وإنه يفيض ، فكيف ؟ إنك تنفق من الوقت فعلا فى كسب رزقك — كم ؟ سبع ساعات فى المتوسط ؟ وفى النوم ؟ سبعاً ؟ سأضيف ساعتين أخريين كرماً منّى ، وأتحداك أن تبين لى على الفور كيف تقضى الساعات الثمانى الأخرى ؟

عدو المتاعب :

ولكى يتسنى لى أن أعالج الموضوع على الوجه الصحيح ينبغى أن أختار حالة عادية

— ولتكن حالة رجل من أهل لندن يعمل في مكتب . والغلطة الكبرى التي يرتكبها هذا الرجل الكثير الأشباه فيما يتعلق بيومه ، هي غلطة نظرة عامة تفسد عليه ثلثي نشاطه ومصالحه ، وهو في الأغلب لا يشعر بحب لعمله ، فيبدأ عمل وظيفته متكرّهاً ، ومتأخراً على قدر مايستطيع ، ويفرغ منه بسرور ، وبأسرع مايستطيع ، ويندر أن تراه يشتغل بقوته الكاملة ، وهو يباشر عمله .

ولكنه على الرغم من كل هذا يصرّ على أن يعد هذه الساعات من العاشرة إلى السادسة هي « اليوم » ، أما الساعات العشر السابقة ، والست التالية فليست عنده شيئاً سوى مقدمة وخاتمة . مثل هذا الموقف يقضي بطبيعة الحال على اهتمامه بالساعات الست عشرة الأخرى ، وتكون النتيجة أنه لايحسبها حتى وإن كان لايبددها ، وأن لايراها أكثر من هامش . وإذا كان رجل يجعل ثلثي حياته تبعاً وذيلا لثلث واحد من المعترف به إنه لايحس له بحماسة قوية ، فكيف يمكن أن يرجو أن يحيى حياة تامة وافية ؟ إنه لايستطيع .

إن الحياة التامة الوافية تقتضي أن يرتب أمر يومه في نطاق يومه . وهذا اليوم الداخلي الذي يشبه صندوقاً صينياً داخل صندوق صيني أكبر منه ، يجب أن يبدأ في الساعة السادسة مساء وأن ينتهي في الساعة العاشرة صباحاً . وفي خلال هذه الساعات الست عشرة كلها ، ليس له من عمل سوى تعهد عقله وروحه والناس . وهو في هذه الساعات الست عشرة ، حر ، فهو لا يكدح في سبيل الرزق ، وإنما هو كأي رجل له دخل خاص . وهذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه ، وهو موقف له أهمية عظمى ، إذ كان نجاحه في الحياة رهناً به .

والنشاط التام في هذه الساعات الست عشرة يزيد على التحقيق قيمة الساعات الثماني المفردة للعمل ، فإن من أهم ما يجب على رجلنا أن يتعلمه أن الملكات العقلية قادرة على العمل الدائم ، وهي لا تكلّ كما يكل الذراع أو الساق ، وكل ما تحتاج إليه هو التغيير لا الراحة ، اللهمّ إلا في النوم .

وأنا حين أستعرض طريقة رجلنا الذي اتخذته مثالا لغيره ، في الانتفاع بالساعات الست عشرة التي هي له خالصة ، سأقتصر على بيان الأشياء التي يعملها والتي أرى أنه لاينبغي أن يفعلها ، مرجئاً ما أقترحه « لغرس » الأوقات التي سأكون قد هيأتها — كما يهيء المستوطن فضاء في الغابة .

ولا يسعني إنصافاً له إلا أن أقول إنه لايضيع إلا وقتاً قليلا قبل أن يغادر بيته صباحاً في الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة ،

ففى كثير جداً من البيوت ينهض الرجل فى الساعة التاسعة ويفطر فيما بين التاسعة والدقيقة السابعة والتاسعة والدقيقة التاسعة والنصف ثم يمضى. ولكنه لايكاد يغلق الباب الأمامى وراءه حتى تكسل قواه العقلية التى تكل، فهو يسير إلى المحطة فى شبه غيبوبة، ويصل إليها فيحتاج فى العادة إلى انتظار القطار. وأنت ترى فى مئات من محطات الضواحى كل صباح رجالاً يتمشون فى هدوء على الأرصفة، على حين تسرق شركات السكك الحديدية وقتهم بلا خجل — والوقت أغلى من المال — وتضيع من جراء ذلك مئات الآلاف من الساعات كل يوم، لأن الرجل الذى اتخذته للتمثيل لايقدر قيمة الوقت، ولايخطر له أن يتخذ احتياطات سهلة جداً ليتقى خطر تضييعه.

إن معه عملة صحيحة من الوقت ينفقها كل يوم — ولنقل أنها جنيه، وليس يسعه إلاأن يبدّلها بقطع نقدية صغيرة، وهو حين يبدلها يرضى بأن يخسر خسارة فادحة. فإن هذا هو مايفعله حين تسرق منه الشركة خمس دقائق مرتين كل يوم.

وقد تقول إن هذا منك دخول فى تفاصيل دقيقة، وهذا صحيح، وسأسوغ ذلك فيما بعد.

والآن هل لك أن تشترى جريدتك وتستقل القطار ؟

النفس والروح الخالدة :

تستقل قطار الصباح، وتعكف فى هدوء على جريدتك، وهيئتك هى هيئة رجل فى فسحة من أمره، رجل يملك من الزمن ثروة، رجل جاءته من كوكب يومه مئة وأربع وعشرون ساعة، لا أربع وعشرون فقط. وأنا رجل مشغوف بقراءة الصحف فليس من الرأى الصادر عن هوى أن أقول إنه لما كانت السرعة تتوخى فى إصدارها، وكانت مجعولة لتقرأ بسرعة، فليس لها محل عندى فى برنامجى اليومى، وأنا أقرأها فى فترات شتى. أما أن تقرر لها ثلاثين أو أربعين دقيقة من الوحدة الجميلة، فلست أستطيع أن أدعك لتبعثر هذه اللآلىء النفيسة فى الوقت بمثل هذا الإسراف. إنك لست « شاه » الزمن، واسمح لى أن أذكرك بأدب بأنك لاتملك من الوقت أكثر مما أملك، فلا قراءة للصحف فى القطار إذن ! فقد (ادخرت) لك نحو ثلاثة أرباع الساعة للانتفاع بها.

وقد بلغت الآن مكتبك، فأنا أتركك فيه إلى الساعة السادسة. وأنا أعلم أنك توهب ساعة فى منتصف النهار، تقضى أقل من نصفها فى الطعام. ولكن سأدع لك كل هذا لتنفقه كما تحب. ولك أن تقرأ جريدتك حينئذ.

وألقاك مرة ثانية حين تنصرف من مكتبك وأراك متغير الوجه متعباً ، وسواء أكان هـذا صحيحاً أم لم يكن ، فإن زوجتك على كل حال تقول إنك متغير الوجه ، وأنت تدعها تفهم أنك مكدود . ولست تتناول طعامك عقب دخولك مباشرة، ولكن بعد ساعة أو نحوها تحس أنك تستطيع أن تطعم شيئا ، ثم تروح تدخن جاداً ، وتقـابل أصدقاءك ، وتتمشى على غير هدى ، وتلعب الورق، وتعبث بكتاب، وتلاحظ أن الشيخوخة تدب إليك ، وتتمشى ، وتلمس البيانو . . . يا إلهى ! لقد جاوزت الساعة الحادية عشرة بربع ساعة! وآن أن تفكر فى النوم! وتبذل أربعين دقيقة فى التفكير فى النوم ، وأخيراً تأوى إلى مرقدك وقد نهكك عمل اليوم ، وقد مضت ست ســاعات أو أكثر منذ انصرفت من مكتبك — مضت كالحلم ، مضت كالسحر ، مضت لا تدرى كيف !

وهـذه حالة تعد عادية ، ولكنك قد تقول : « إن من السهل عليك أن تتكلم هكذا ، ولكن الإنسان يتعب حقاً . ولا بد أن يقابل الإنسان أصدقاءه ، فما يستطيع أن يظل دائماً غير مستقر ». وهذا صحيح ، ولكنك حين تذهب إلى المسرح (وخاصة مع امرأة جميلة) ماذا يحدث ؟ إنك لا تدخر وسعاً لتبدو فى آنق هندام ، وتنطلق عائداً إلى المدينـة ، وتظل غير مستقر أربع ساعات أو خمساً ، ثم توافقها إلى بيتها ، ثم تنصرف إلى بيتك ، ولا تقضى ثلاثة أرباع الساعة فى التفكير فى أن تأوى إلى فراشك بل تأوى إليه ، وتنسى التعب والأصدقاء على السواء ، وتبدو لك الأمسية طويلة بديعة (أو لعلها كانت أقصر مما يجب !) . وهل تذكر أيام أقنعوك بأن تغنى فى فرقة الجمعية من هواة التمثيل ، فكنت تقضى ساعتين كل ليلتين تكد وتكدح كالعبد مدة ثلاثة شهور ؟ هل تستطيع أن تفكر أنه حينما يكون هناك شىء معين تتطلع إليه فى المساء ، شىء تعلم أنه سيتطلب نشاطك كله ، فإن التفكير فى هـذا الشىء يلقى على اليوم كله وهجه ، ويجعل الحيوية فيه أزهر وأقوى ؟

والذى أقترحه هو أن تعمد فى الساعة السادسة إلى مواجهة الحقائق، وأن تعترف بأنك لست بتعبان (فإنك لتعلم أنك غير تعبان) . وأن ترتب أمر أمسيتك بحيث لا يقطعها الطعام فى منتصفها ، وبذلك تخلو أمامك مسافة من الزمن مقدارها ثلاث ســاعات ، ولست أدعوك أن تقضى ثلاث ساعات كل ليلة من حياتك فى استخدام نشاطك العقلى ، وإنما الذى أدعو إليه على سبيل الابتداء ، هو أن تشتغل ساعة ونصف ساعة مرة كل ليلتين بعمل مهم منتظم ،

كتعهد عقلك وتثقيفه ، وبذلك يبقى لك ثلاث أمسيات للأصدقاء ولعب البردج والتنس ، والخلافات المنزلية ، والقراءة العابرة ، والتدخين ، والحديقة والتمشى ، وتبقى لك ثروة عظيمة مقدارها ٤٥ ساعة بين الساعة الثانية مساء من يوم السبت إلى الساعة العاشرة صباحاً من يوم الاثنين .

فإذا واظبت، فربك سرعان ماتشتهى أن تقضى أربع أمسيات ، بل خمساً ، فى سعى جدى لأن تكون حياً بالمعنى الصحيح ، وتكف عن عادة تحديث نفسك فى الساعة الحادية عشرة والربع بأنه آن لك أن تفكر فى الذهاب إلى مخدعك ، فإن الرجل الذى يشرع فى الذهاب إلى فراشه قبل أن يفتح باب مخدعه بأربعين دقيقة، لهو رجل استحوذ عليه الملل ، إنه رجل لا يحيى .

ولكن تذكر فى البداية أن هذه الدقائق الليلية التسعين ثلاث مرات فى الأسبوع ، يجب أن تكون أهم دقائق الأسبوع كله . وينبغى أن تكون مقدسة وأن يكون لها من القداسة مثل ما للتجارب المسرحية أو مباراة التنس . فبدلاً من أن تقول : « إنى آسف لأن علىّ أن أذهب بسرعة إلى نادى التنس» تقول : « إن على أن أعمل» . وأنا أعترف أن هذا غاية فى الصعوبة ، فإن التنس ألح وألزم جداً من الروح الخالدة .

تذكر الطبيعة البشرية :

وأرى فى الحالة العادية أن تقصر برنامجك الرسمى على ستة أيام فى الأسبوع ، فإذا ألفيت نفسك راغباً فى مدّه، فلك أن تمده، ولكن عليك أن تعدّ الزمن الإضافى ربحاً عابراً لا دخلا منتظماً ،حتى تستطيع أن ترتد إلى برنامج الأيام الستة دون أن تشعر أنك أفقر ، أو أنك متخاذل .

والآن فلننظر أين نحن . لقد اتفقنا إلى الآن على أن ننقذ من الأيام الضائعة نصف ساعة على الأقل من صباح ستة أيام فى الأسبوع ، وساعة ونصف ساعة فى ثلاث أمسيات فى الأسبوع ، فالجملة سبع ساعات ونصف ساعة فى الأسبوع .

وكأنى بك تقول : « ماذا ؟ تزعم أنك تعلمنا كيف نحيا ، وكل ماتناولته هو سبع ساعات ونصف ساعة من ١٦٨ ؟ أتريد أن تأتى بمعجزة بهذه الساعات السبع والنصف؟» . وأوثر الصراحة فأقول نعم ، إذا تفضلت بالسماح لى ! فإن ما اذهب إليه هو أن الانتفاع الكامل بهذه الساعات سيجعل حياة الأسبوع كله أنشط وأسرع ، ويفيض عليها متعة ، ويزيد اهتمامك حتى بأتفه الأشياء . وإنك لتباشر الرياضة البدنية عشر دقائق ليس إلا فى الصباح والمساء، ومع

ذلك لا يدهشك أن ترى نفسك أصبحت أصح بدناً وأحسن حالا على العموم ، فلماذا يدهشك أن يؤدى إفراد ساعة وبعض ساعة فى المتوسط كل يوم لعقلك، إلى زيادة نشاطك العقلى كله ؟

إنه ليس بالمجهود التافه فى الحقيقة أن « تهيىء » سبع ساعات ونصف ساعة من الغابة اللفّاء . وعسى أن يكون المرء قد أساء قضاء الوقت ، ولكنه قضاه . فإذا فعل شيئاً آخر فإن معنى ذلك أنه غير عاداته ، والعادات عسيرة التغيير ، ولا بد لذلك من بعض التضحية ، ومن قدر عظيم من الإرادة . ومن أجل هذا أقول وأكرر : ابدأ فى سكون وبغير جلبة .

وقبل أن أقول شيئاً فى طريقة الانتفاع بهذه الساعات التى عيناها ، أعرض اقتراحاً أخيراً هو أن تخصص أكثر من ساعة ونصف ساعة لما يعمل فى ساعة ونصف ساعة : تذكر الحوادث ، وتذكر الطبيعة البشرية ، فاجعل ما بين التاسعة والحادية عشرة والنصف ، للعمل الذى تريد أداءه فى تسعين دقيقة .

السيطرة على العقل :

يقول الناس : « إن المرء لاحيلة له فى أفكاره » ولكن للمرء حيلة . فإن السيطرة على آلة التفكير ممكنة كل الإمكان . ولما كان لاشىء على الإطلاق يحدث لنا خارج عقلنا ، فإن الأهمية العظمى للقدرة على السيطرة على ما يجرى فى هذا العقل العجيب ، أوضح من أن تحتاج إلى بيان ، فبدون القدرة على تركيز الخواطر وحصرها — أى بدون القدرة على الإملاء على الذهن وضمان الطاعة — تصبح الحياة الصحيحة مستحيلة ، فالسيطرة على العقل هى العنصر الأول فى الحياة التامة الوافية .

ومن هنا يبدو لى أن أول عمل ينبغى أن يؤدى كل يوم هو تدريب العقل ورياضته . ولهذا الجانب من فن الحياة وصناعتها أفردت الوقت من اللحظة التى تتخطى فيها عتبة بيتك إلى اللحظة التى تصل فيها إلى مكتبك .

«ماذا ؟ أدرّب عقلى وأروضه فى الشارع ، وعلى الرصيف ، وفى القطار ؟» نعم ! ولاشىء أبسط من ذلك ! ولاحاجة بك إلى أدوات ! ولاحتى إلى كتاب ، غير أن الأمر مع ذلك ليس سهلا .

عندما تبرح البيت ، احصر ذهنك فى موضوع (أى موضوع ، فى البداية) . ولاتكاد تقطع عشر ياردات حتى تلفى عقلك قد تفلت هارباً منك تحت عينك ، وراح عند منعطف الطريق يعالج موضوعاً آخر . فاقبض على ناصيته وردّه إليك ، وسترى قبل

أن تصل إلى المحطة أنك احتجت أن تعيده إليك أربعين مرة . فلا تيأس فإنك لن تخفق أبداً إذا أنت ثابرت . ومن الخطل أن تزعم أن عقلك غير قادر على التركيز . أتتذكر ذلك الصباح الذى تلقيت فيه رسالة مقلقة تتطلب رداً دقيقاً ؟ وكيف حصرت ذهنك فى موضوع الرد حتى بلغت المكتب وهناك جلست على الفور وكتبت الرد ؟ فهذه حالة حركت الظروف فيها نفسك واستثارت حيويتها إلى حد استطعت معه أن تتحكم فى عقلك تحكم الطاغية ، فأصررت عليه أن يؤدى عمله ، فأداه .

وبالتدريب المنتظم على تركيز الذهن (وهو أمر لا سر فيه ولا وسيلة له إلا المثابرة) تستطيع أن تتحكم فى عقلك فى كل ساعة من ساعات اليوم ، وفى أى مكان تكون فيه . ولست أعبأ شيئا بالموضوع الذى تحصر فيه خواطرك ، مادمت تحصرها ، فإن الذى له قيمة هو إلزام آلة التفكير النظام . على أنه يحسن أن تقتل عصفورين بحجر واحد ، فتحصر خواطرك فى أمر نافع . وأقترح عليك — وهو مجرد اقتراح — فصلا صغيراً من ماركوس أوريليوس أو إبكتيتوس . اقرأ الفصل فى المساء ، وفكر فيه فى الصباح . وسترى .

والآن أراك تقول لنفسك : « لقد بدأت أشعر بالاهتمام بما يقول هذا الرجل ، ولكن مايقوله عن التفكير فى القطار وعن حصر الذهن وما إلى ذلك ليس لى ، فقد يكون هذا شيئاً حسناً إذا عمل به غيرى ، أما أنا فإنه ليس بسبيلى »

ولكنه بسبيلك ، وأنا أكرر هذا القول بقوة ، بل إنك للرجل الذى أتعمده . وإذا أنت رميت اقتراحى هذا أو أهملته فإنك ترمى أنفس ما أقترح عليك ، جربه ، وأمسك بزمام عقلك ، وتأمل كيف يداوى ذلك نصف أدواء الحياة — ولاسيما الهم ، ذلك الداء المخجل المنحوس الذى لا مهرب منه .

التفكير :

إن التدرب على حصر الذهن (وهو ماينبغى إفراد نصف ساعة له على الأقل فى اليوم) ليس إلا تمهيداً ، كسلم البيانو . ومتى أفدت القدرة على السيطرة على هذه الأداة الجامحة ، فإن عليك بطبيعة الحال أن تضع النير على عنقها ، ولا بد لهذا من دراسة مبدئية .

أما ماذا تكون هذه الدراسة ، فأمر لاخلاف عليه ، إذ هى دراسة النفس . « أيها الإنسان ، اعرف نفسك ! » لقد ابتذلت هذه العبارة حتى أنى لأخجل أن أسطرها ، غير أنه ما عمل بها إلا أحكم الحكماء .

ولا أدرى لماذا ؟ وإنى لمقتنع بأن الرجل الطيب من أوساط الناس لا ينقصه فى حياته شىء كما ينقصه التفكير .

إننا لا نفكر ، وأعنى أننا لا نفكر فى أشياء لها قيمة حقيقية — فى مسألة سعادتنا ، وفى الاتجاه الرئيسى الذى نحن سائرون إليه ، وفيما تعطينا الحياة ، وفى ما للعقل (أو ما ليس له) من أثر فى أعمالنا ، وفى العلاقة بين مبادئنا وسيرتنا ، فإن السعادة ليست ثمرة اللذة العقلية أو البدنية ، وإنما هى ثمرة نمو العقل وتفتحه ، والتوفيق بين السلوك والمبادىء .

ولا تخش أن أقحم عليك مبادىء معينة ، فإن كل ما أذهب إليه هو أن الحياة التى لا يتطابق فيها السلوك والمبادىء ، هى حياة سخيفة ، وأن هذا التطابق لا يتم إلا بالامتحان اليومى والتفكير والعزم .

وعلى قدر نقص تفكيرنا يكون نقص عقلنا . فإذا حدث لك مرة أخرى أن سخطت على النُّدُل لأن شريحة اللحم التى قدمها إليك مبالغ فى إنضاجها ، فادع إليك عقلك وشاوره ، والأرجح أن يقول لك إن النـدل ليس هو الذى طبخ اللحم ، وإنه لا سيطرة له على أعمال المطبخ ، وإنه حتى لو كان هو وحده الحقيق باللوم — فإنك لا تنال شيئاً بهذا الغضب ، وإنما تفقد وقارك وتبدو للندل أحمق شرساً ، ولا يؤثر غضبك أدنى تأثير فى شريحة اللحم .

وستكون نتيجة هذه المشاورة بينك وبين عقلك (وهو لا يتقاضاك أجراً عليها) أنك ستعامل الندل — إذا تكرر هذا — معاملة مخلوق مثلك ، وتحتفظ بسكينة نفسك ، وتصر فى أدب على أن يأتيك بشريحة أخرى . وسيكون الربح بديهياً ومادياً !

ومن الممكن الانتفاع إلى مدى بعيد بالكظم فى تكوين المبادىء وتكييف السيرة ، وقد ذكرت ماركوس أوريليوس ، وإبكتيتوس ويحسن أن أذكر أيضاً بسكال ، ولا بروير ، وإمرسون ، ولكن قراءة الكتب لا يمكن أن تغنى عن الفحص اليومى الصريح لما كان منك أخيراً ، ولما تهم أن تصنعه — وإدارة العين فى النفس والنظر إليها وجهاً لوجه (حتى وإن كان المنظر مما لا يخف وقعه !) .

ومتى نعالج هذا الأمر المهم ؟ يبدو لى أن الوحدة فى رحلة الإياب هى الوقت المناسب ، فإن المرء يذهب يفكر عادة بعد المجهود الذى بذله فى يومه لكسب رزقه ، فإذا كنت تؤثر أن تقرأ جريدتك (التى تستطيع أن تتصفحها وأنت تنتظر عشاءك) بدلا من أن تؤدى هذا الواجب الأولى المهم ، فإنه لا كلام لى غير أنه يجب عليك أن تنهض بهذا الواجب فى وقت ما . والآن أنتقل إلى ساعات المساء :

الاهتمام بالفنون :

ويقضى كثيرون فترة المساء فى غير شىء، لأنهم يظنون أنه لابديل من الكسل سوى درس الأدب ، وقد لا يكون لهم ميل إلى الأدب .

وهذا خطأ فاحش ، فإن ثم ميادين فسيحة للمعرفة خارج نطاق الأدب ، تؤتى مرتادها ثماراً يانعة . فأنت تذهب مثلا إلى الحفلات الموسيقية ، وتدخن سيجارتك (ويؤسفنى أن أقول أنك تشعل الكبريت أثناء عزف النغمات الرقيقة من فاتحة بتهوفن) وتستمتع بالموسيقى . غير أنك تقول إنك لا تستطيع العزف على البيانو أو القيثارة ، فما قيمة هذا ؟

وليس من شأن عجزك عن عزف لحن ما على البيانو أن يمنعك أن تعرف تأليف الفرقة التى تصغى إلى عزفها . فإن الحاصل الآن هو أنك على الأرجح تظن أن الفرقة مؤلفة من جملة آلات متنافرة تخرج جملة من الأصوات المختلطة المطربة . ولست تصغى إلى الدقائق، لأنك لم تدرب أذنك قط على الإصغاء إليها .

ولو أنك سئلت أن تسمى الآلات التى تعزف عليها سمفونية بيتهوفن التى هزتك ، لما وسعك أن تفعل . وكل ما يسعك أن تقوله عن هذه السيمفونية إنها «شىء جميل» ولو أنك كنت قرأت كتاب كريبل «كيف تصغى إلى الموسيقى» (وفيه صور شمسية لآلات العزف الموسيقية وترتيبها) لذهبت بعد ذلك إلى الحفلات الموسيقية وأنت على جانب مدهش من الفهم والاهتمام ، ولبدت لك الفرقة لا على هيئة جماعة مختلطة ، بل كما هى فى الواقع — كائناً متوازناً رائعاً ، لكل جماعة من جماعاته المتعددة وظيفة مختلفة لاغنى عنها ، وإذن لأرسلت لحظك باحثاً عن الآلات ، ومصغياً إليها ، ولوقفت على فرق ما بين البوق الفرنسى والبوق الإنجليزى ، ولعرفت السبب فى أن النافخ فى المزمار يتقاضى أجراً أكبر من أجر العازف على الكمان ، وإن كانت الكمان أصعب ، ولألفيت نفسك تحيى فى الحفلة على حين كنت قبل ذلك موجوداً فى حالة من الغيبوبة الجميلة ، كالرضيع الذى يحدق فى شىء ساطع .

ومن الممكن أن يوضع بهذه الطريقة أساس المعرفة المنظمة الصحيحة للموسيقى ، وفى وسعك أن تقصر دروسك على نحو خاص من الموسيقى (كالسيمفونيات مثلا) أو على ألحان مؤلف خاص . وفى نهاية عام من ٤٨ أسبوعاً تفرد فى كل أسبوع منها ثلاث أمسيات قصيرة للموسيقى ، فضلا عن درس

البرامج وشهود الحفلات الموسيقية التى تتخيرها بفضل اتساع معارفك، تلفى نفسك قد عرفت الموسيقى حقاً، وإن كنت مازلت أبعد ماتكون من القدرة على عزف « لحن لبتهوفن » على البيانو.

وقد تقول: «ولكنى أكره الموسيقى!» فياسيدى العزيز إعلم أنى أحترمك.

وما يقال عن الموسيقى يقال عن غيرها من الفنون. وإنى أذكر كتاب المستر كليرمونت ويت « كيف تنظر إلى الصور » أو كتاب المستر رسل سترجيس « كيف تقدر فن العمارة » على سبيل الابتداء (مجرد الابتداء) فى الدرس المنتظم لفنون أخرى.

وعسى أن تقول: « ولكنى أمقت كل الفنون! » فاعلم يا سيدى العزيز أنى أحترمك أكثر فأكثر. وسأعالج أمرك فيما يلى قبل أن أتناول الأدب.

لا شىء تافه:

الفن شىء عظيم، ولكنه ليس أعظم شىء. وأهم المدركات هو التفطن المستمر السبب والنتيجة — أو بعبارة أخرى للتطور المتواصل للكون. ومتى عرف الإنسان الحقيقة الأساسية، وهى أنه ما من شىء يحدث بلا سبب، فإنه يكبر عقلا وقلباً أيضاً.

وإنه لصعب على الإنسان أن تسرق ساعته. ولكن المرء يخطر له أن اللص إنما صار لصاً لأسباب مرجعها إلى الوراثة والبيئة يسهل فهمها علمياً. ويشترى المرء ساعة أخرى، وقد لا يكون مغتبطاً بذلك، ولكنه على الأقل يكون على حظ من الفلسفة لا يدع سبيلا إلى مرارة النفس. والمرء حين يدرس السبب والمسبَّب ينفض عنه تلك الحالة التى تجعل غرابة أمور الحياة تصدم أناساً كثيرين. وهؤلاء الناس يعيشون بين الطبيعة الإنسانية وكأن هذه الطبيعة بلاد أجنبية، غير أن الإنسان متى نضج ينبغى أن يخجل من الشعور بأنه غريب فى بلد غريب.

ودرس السبب والمسبَّب يلطف من آلام الحياة ويفيض عليها سحراً. فالرجل الذى لا يعرف من النشوء والتطور إلا اسمهما ينظر إلى البحر فلا يرى إلا منظراً جليلاً مملاً، أما الرجل الذى استقرت فى نفسه فكرة ارتباط السبب بالمسبب دائماً فإنه يرى فى البحر عنصراً كان أول من أمس بخاراً ثم صار أمس يغلى، وسيصبح غداً لامحالة جليداً. وما من شىء هو أبعث على رضى النفس الدائم كتقدير جمال الحياة وفتنتها العظيمة الدائمة التغير.

وقد تكون كاتباً لسمسار أرض، وقد

تكون الفنون بغيضة إليك ، وقد تريد أن تنمّى روحك الخالدة ، وقد لا تكون مرتاحاً إلى عملك لأنه تافه .

كلا ! ما من شيء تافه .

وإن ما تنطوى عليه الحياة من فتنة عظيمة ليتبدى فى مكتب سمسار الأرض . فقد اشتد الزحام فى شارع أكسفورد مثلا، وأراد الناس اتقاءه فجعلوا يسيرون فعلاً تحت السراديب والمصارف ، وكانت النتيجة ارتفاع الأجور فى هذا الحى ! أفليس هذا بديعاً ؟ وليتك تدرس بهذه الروح موضوع الأراضى مسافة ساعة ونصف ساعة ، مرة كل ليلتين ! أليس هذا خليقاً أن يجعل لعملك متعة جديدة وأن يغير حياتك كلها ؟ أو أنت كاتب فى مصرف ، ولم تقرأ تلك القصة التى تخطف الأنفاس (وهى متنكرة فى صورة بحث علمى) وأعنى بها كتاب وولتر بيجهوت « شارع لومبارد» . ومهما يكن من الأمر ، فإنك إذا كنت قد بدأت بهذا ثم توسعت فيه تسعين دقيقة مرة كل ليلتين، فإن عملك حقيق بأن يستولى على هواك ، وأنت جدير بأن تصبح أحسن فهماً للطبيعة الإنسانية .

أو أنت سجين فى مدينة ، ولكنك تحب الرحلات إلى الريف والتملى بشهود الحياة على الفطرة — وإنها الملهاة تجعل النفس أرحب — فلماذا لا تخرج فى بعض الليالى من باب بيتك وفى قدميك خُفّان ، إلى أقرب عمود عليه مصباح غاز ، وهناك تلاحظ الحياة الطبيعية للفراشات العادية والنادرة ، ثم تنسق ما تقف عليه من هذا الطريق ، وتقيم عليها بناء ، فتصبح آخر الأمر وأنت تعرف شيئاً عن شيء ما ؟

فلا حاجة بك إلى العُكوف على الأدب أو الفنون لتحيي حياة ممتلئة .

فإن ميدان المناظر والعادات اليومية فى انتظارك لإشباع تلك الرغبة التى معناها الحياة ، والتى يكون إشباعها معناه أن لك قلباً يعى .

والآن أنتقل إلى ذلك الذى « يحب القراءة » ومن حسن الحظ أن أمثاله كثيرون .

القراءة الجدية :

إن الروايات خارجة عن نطاق « القراءة الجدية » ، التى تفرد لها تسعين دقيقة ، ثلاث مرات فى الأسبوع ، لأن الروايات الرديئة لا ينبغى أن تقرأ ، ولأن الجيدة لا تتطلب من القارىء أى جهد عقلى محسوس . والرواية الجيدة تدفعك بقوة كما يدفع التيار الزورق ، فتصل إلى ختامها وأنت منبهر الأنفاس ، ولكنك غير منهوك . وخير

الروايات لا يتطلب إلا أيسر مجهود . وأهم العوامل فى تثقيف العقل هو الإحساس بالجهد، والصعوبة ، وبأن أمامك مهمة تودّ بجانب من عقلك أن تؤديها ، وبجانب آخر أن تهرب منها ، وهذا إحساس لايمكن أن يستفاد من قراءة رواية .

ولعل الشعر الخيالى أشد أنواع الأدب تطلباً للجهد العقلى ، وهو أسمى صور الأدب وضروبه . وأنا أقول هذا وأنا أشعر شعوراً أليماً بأن الجمهور الأكبر لايقرأ الشعر . فإذا كان الشعر « كتاباً مختوماً » فى نظرك ، فابدأ بقراءة مقال هازلت المشهور عن طبيعة «الشعر على وجه العموم» ، فإن من الصعب أن يتصور المرء الحالة العقلية لرجل يقرأ هذه المقالة ولا يشعر برغبة قوية فى قراءة شىء من الشعر قبل وجبة الطعام التالية . فإذا أحدثت المقالة هذا الأثر فى نفسك ، فإنى أرى لك أن تبدأ بقراءة الشعر القصصى البحت .

وإذا كنت تكره الشعر ، فإن عندك التاريخ أو الفلسفة، وهذا مثلا كتاب هربرت سبنسر « المبادىء الأولى » وهو يسخر مما يدّعيه الشعر ، ويأبى إلا أن يعد كتابه أجل ما أنتجه عقل بشرى . ولست أقترح هذا الكتاب على أنه صالح لمبتدىء فى المجهود العقلى ، ولكنى لا أرى سبباً يمنع أى رجل متوسط الذكاء ، بعد أن يقضى عاماً فى القراءة المتواصلة ، أن يصبح قادراً على الهجوم على أسمى ما أنتجه الإنسان من البراعات فى التاريخ أو الفلسفة . إن من أعظم مزايا هذه البراعات أنها واضحة جلية إلى حد مدهش .

وأنا أعرض اقتراحين عامين لتثقيف النفس بالقراءة : الأول أن تعين اتجاه جهودك ومداها . فاختر فترة معينة ، أو موضوعاً معيناً ، أو مؤلفاً واحداً ، وقل لنفسك : « أريد أن أعرف شيئاً عن الثورة الفرنسية ، أو عن اختراع السكة الحديدية ، أو عن شعر جون كيتس » وتفرغ فى زمن معين لما وقع عليه اختيارك ، فإن ثم متعة عظيمة تستفاد من التخصص .

والاقتراح الثانى : أن تفكر وتقرأ فى آن واحد . فإنى أعرف ناساً يقرأون ويفكرون كثيراً ، ولا يستفيدون شيئاً ، وما كان حالهم ليختلف لو أنهم انصرفوا إلى شىء مادى . ذلك أنهم يجوبون أقاليم الأدب فى سيارة ، وكل همهم الحركة ، ويفخرون بعدد ما قرأوا من كتب فى العام .

فإذا أنت لم تفرد ٤٥ دقيقة من وقتك على الأقل للتفكير الدقيق المتعب فيما تقرأ (وهذا معجز جداً فى البداية) ، فإن الدقائق التسعين التى تنفقها فى الليل تذهب

سدّى ، ومعنى هذا أن خطوك سيكون بطيئاً .

لا بأس ! انس الغاية ، ولاتفكر إلا فيا يحيط بك من المناظر ، وبعد فترة ، وعلى غير انتظار منك ، تلفى نفسك فجأة فى بلد جميل ، على تلّ .

أخطار تتقى :

ولايسعنى أن أختم كلامى على حسن الانتفاع بالوقت بغية الحياة (لامجرد الوجود الهامد) دون أن أشير إلى بعض الأخطار التى تعترض طريق الإنسان المخلص فى تطلعه إلى الحياة الصحيحة . والخطر الأول هو أنه يخشى أن يصبح المرء ذلك المخلوق الذى ليس أثقل منه ـ الصلف المزهوّ . وهو شخص مأفون منفوخ خرج يمشى مختالاً ، ففقد وهو لا يدرى أهم جزء من هندامه وهو روح الفكاهة . وهو شخص ممل استكشف شيئاً فوقع ذلك من نفسه وقعاً عميقاً ، جعله يشق عليه جداً أن لا يرى العالم كله يشاطره اهتمامه .

ولهذا ينبغى أن يتذكر المرء حين يشرع فى الانتفاع بوقته كله ، أن هذا وقته هو وليس بوقت غيره من الناس ، وأن الدنيا كانت تدور على عادتها فى سلام قبل أن يشرع فى موازنة ميزانيته من الساعات .

الخطر الثانى أن يصبح مقيداً ببرنامج يشدّ إليه كما يشدّ الرقيق إلى مركبة . وأنا أعرف ناساً حياتهم أعباء ثقال على أنفسهم وعلى ذويهم وأصدقائهم ، لأنهم لايدركون هذه الحقيقة البديهية ، وهى أن البرنامج يجب أن يحترم ، غير أنه لا يجوز أن يعبد عبادة . وقد سمعت امرأة متزوجة تقول : « كلا ! إن آرثر يخرج دائماً بالكلب للرياضة عند الساعة الثامنة ، ويشرع دائماً فى القراءة قبل التاسعة بربع ساعة . فمن غير الممكن أن .... » الخ . الخ . ونغمة الحسم التى تتبينها فى هذا الصوت الشجى هى التى تكشف عن مأساة خفية .

على أنه يجب أن يقال من ناحية أخرى أن البرنامج هو البرنامج ، وهو ينقلب فكاهة سخيفة إذا لم يراعَ .

وثم خطر آخر من أن يُغرَى الإنسان بالاندفاع والعجلة ، وأن يصبح شيئاً فشيئاً مهموماً بما ينبغى أن يفعله بعد ذلك . والعلاج الوحيد هو إعادة النظر فى البرنامج وتقليله وتضييقه . على أن من المفيد جداً أن ينتقل الإنسان من جزء إلى جزء من البرنامج بتمهل شديد ، أو بعبارة أخرى أن يضيع خمس دقائق وهو مدرك تماماً أنه يضيعها .

والخطر الأخير والأهم الذى أشرت إليه من قبل ، هو خطر الإخفاق فى البداية . فإن

هذا قد يقضى بسهولة على الحافز الوليد إلى طلب الحيوية التامة . ومن أجل هذا ينبغى إتخاذ كل حيطة لاتقاء ذلك ، ولا يجوز تكليف هذا الحافز فوق طاقته . ولتكن الخطوات الأولى بطيئة غاية فى البطء على أن تكون منتظمة متلاحقة .

ومتى استقر عزمك على أداء مهمة ، فإنه ينبغى أن تؤديها مهما عانيت من المشقة والاستكراه ، فإن ماتربحه من الثقة بالنفس إذا قمت بعمل ممل ، عظيم جداً .

وأخيراً لا تسترشد حين تختار ما تشغل به وقتك فى المساء ، إلا بذوقك وميلك .

وإنه لحسن أن يصبح الإنسان موسوعة حية للفلسفة ، ولكن إذا لم يكن لك ميله إلى الفلسفة وكنت أميل إلى دراسة نداءات الباعة فى الشوارع ، فخير لك أن تنصرف عن الفلسفة وبحارها العميقة ، وأن تعكف على نداءات الشوارع !

****

سلطان الألفاظ

كان عندنا بستانى مكسيكى ربعة القوام حلو الابتسام ، فظل عدة سنين يتعهد الحديقة أحسن تعهد ، ثم أغراه عمل آخر ينال عليه ضعف أجره عندى . فلم يجد توسلى إليه ولا رسائلى ، ولا ماعرضته عليه من مضاعفة أجره ، فى رده إلى .

وصرت أتعهد الحديقة بنفسى فى وقت فراغى حتى ضقت ذرعاً . وأخيراً رآنى جار لى ، هو قنصل فنزويلا فى كاليفورنيا ، ولاحظ سوء ما وصلت إليه الحال ، فعرض على أن يكتب رسالة بالإسبانية إلى جو جونزاليس البستانى يزين له فيها العودة إلى .

فخامرنى شك عظيم ، ولكن لم يمض على إرسال الرسالة يوم حتى كان جو دائباً كعادته يتعهد حديقتى . وقال وهو جذل نشوان : « أنا مسرور بعودتى إليك . فما كنت أعرف أنك تكتب الإسبانية ، إنه لشىء جميل . »

فلم أستطع صبراً وسألت صديقى القنصل عن السحر الذى طوى عليه رسالته ، فقال غير مكترث : إنه لأمر بسيط ، فما زدت على أن كتبت إليه : « رأيت الشجر قد انحنت أغصانه حزناً وكمداً ، وسقطت أوراقه كالدموع المنهمرة ، ورأيت الورد قد أشاح بوجهه عن وجه الشمس ، وأخذ يفقد ماعهدناه من شذاه وعطره ، ورأيت الطير كسيفاً حزيناً قد كف عن ترجيع أغاريده الحلوة — كل ذلك لأنها افتقدت صديقها جو ، الذى كان يتعهد الحديقة ويجملها » . وابتسم القنصل ثم قال : « كنت على يقين من أن هذه الرسالة ستبعث الحنين فى قلبه » .

[إدوارد ڤردير]

لا تضق صدرا بالأرق

الدكتور جورج والتن
متخصص في طب الأعصاب

مختصرة من كتاب "علام الهم؟"

إذا أنت توقعت أن ترى السكينة اللازمة للنوم المريح، تنزل فجأة على عقل أضناه الهمّ والكدّ طوال النهار، فقد طلبت عبثاً. فالذي يورث تهيّج الأعصاب المانع من النوم، هو الهمّ لا العمل. ولا يجوز لمن يأرق أن يتسرّع فيظن أن الأرق هو علة شقائه لا الهمّ. وقد يدهشك أن تعلم مقدار ما تطيقه من طول السهاد، دون أن يلحق بك أذى، على شريطة أن تنسى سُهادك.

بيد أن عمل يومك ينبغي أن يكون منوّعاً، وأن تتخلله فترات من الراحة. والذين يدرّبون الشبان على الرياضة يحرصون على أن يتّقوا كلّ مجهود عنيف قبل المباراة، فلمَ لا نجعل حظّ عقولنا من ذلك كحظّ أبداننا؟ فإذا أردت أن تروّض نفسك على عادة النوم، فينبغي أن تتعلم عادة الإكباب على ما بين يديك، فهذا يعينك حين تأوى إلى فراشك على أن تعدّ النوم هو ماينبغي أن تعنى به دون غيره، فلا تتخذ موعده فرصة لتسوية المشكلات والتأمل في مكاره المستقبل. ويغلب أن تصيب نفعاً إذا أنت مشيت قليلا أو أخذت حماماً، أو زاولت بعض الرياضة، ولكن إذا أنت فعلت هذا كله وأنت مهتاج، فإنه قلما يجديك.

وأنفع ماتتأهب به للنوم هو الثقة بأنك سوف تنام، وأنك لن تبالي إذا لم تنم؛ فلا النوم العميق ولا النوم الطويل ضروري لطول الحياة أو للقدرة على العمل. وقد قال جورج أنجل المصلح وهو في الرابعة والثمانين ولا يزال موفور النشاط، إنهُ ظلّ أسبوعاً كاملاً لم ينم، وبقي ثلاثة أشهر متوالية لا يصيب من النوم أكثر من ساعتين كلّ يوم، وإنه لا يذكر أنه نام ملء عينيه ليلة واحدة. وثمة كثيرون ظلوا سنين لا ينامون أكثر من بضع ساعات كلّ ليلة، دون أن يلحق بصحتهم أو راحتهم أذى.

وفي طليعة العادات العقلية الضارة التي لها صلة بالنوم، هي أن تظن حين تأوى إلى مضجعك أن نومك ثماني ساعات ينبغي أن يبدأ لساعتك، وأنه ينبغي لك أن تحصى ساعات الأرق وتطرحها من العدد المقرّر. وهذا الحرص نفسهُ مانع من النوم، فإذا قلت لنفسك: « إن لم أنم الليلة فسوف

أنام فى ليلة أخرى » ، وجدت فى هـذا أعجب معوان على النوم . والاحتفاظ بضجعة مريحة يسترخى فيها بدنك دون أن تُغفى أنفع من التقلب . وتدريب نفسك خلال يومك على الحدّ من حركتك التى تنشأ من ثورة أعصابك، هو مما يعينك على اكتساب هذه القدرة . والإيحاء الذاتى ينفع أيضاً . فإذا أردت أن تمتحن أثر القلق والإيحاء الذى لا خير فيه ، فانبطح على وجهك ثم تقلب على الفراش من جنب إلى جنب حتى تعود كما كنت ، واقطع تقلبك بفترات من السكون ، وقل لنفسك : « لا أستطيع أن أنام وانا على هذه الهيئة » ، فالحركة السريعة والإيحاء يمنعان النوم. وإذا أردت أن تتبين أثر استرخاء البدن والإيحاء النافع، فاضطجع الضجعة نفسها وتقلب كما فعلت أولاً وأطل فترات السكون وأنت مسترخٍ وقل لنفسك: « أستطيع أن أنام مهما كانت ضجعتى » فالضجعة المريحة والإيحاء الملائم يجلبان النوم قبل أن تتم الدورة .

ومنّا من يأرق لأنه يظنّ أنه يعجز عن النوم قبل أن يسوّى مشكلاته ، ولو فعل الناس كفعله لما نام أحد . فخير ما يفعلونه هو أن يروضوا أنفسهم على أن يرجئوا بعض أمورهم إلى ما يأتيهم به الغيبُ والغد .

وصرف الذهن عن كلّ فكر بغيض ، عادة يشقّ تعودّها ولكنه ليس مستحيلا . وقد عاش الأسقف بيكون حتى نيّف على المئة ، فقال إن سرّ تعميره ، هو امتناعه عن التفكير فى شىء بغيض بعد العاشرة ليلاً .

وحرص المرء على أن ينام فى حجرة يجد فيها درجات معينة من الهدوء ، والضوء أو الظلام ، والهواء أو قلة الهواء ، هو من العادات المدمّرة للراحة . ومن كان هذا شأنه ينبغى أن يقول لنفسه : « كل امرىء يستطيع أن يحتمل ما يطيب له ، والفيلسوف وحده هو الذى يستطيع أن يحتمل ما لا يحبّ » ، وليحاول أن يكون فيلسوفاً لا مخلوقاً رقيقاً يُدمى بنانه لمس الحرير . وإذا تنقل المرء باحثاً عن مكان هادىء ينام فيه ، فلربما وجد الهدوء نفسه ثقيل الوطأة ، وشرّ من ذلك أنه ربما سمع صوت الدم وهو يجرى فى عروقه ، وهو أمر لامفرّ له منه .

ولا تنسَ أن علة أرقك إنما هى العقل . ومن أراد أن ينام ليله فينبغى له أن يحسن تنظيم نهاره ، فلا يأخذ على عاتقه من العمل أكثر مما يطيق إنجازه دون كدّ أو ضيق ، وأن ينجز ما يأخذهُ على عاتقه دون أن تمزّق قلبه الشكوك والهموم .



فهرس

المختار

المجلد (٦)

العدد ٣١-٣٦ — من مارس إلى أغسطس ١٩٤٦ — السنة الثالثة

جاسوسية :

جرائم وقضايا :

حرب :

رياضة :

زراعة :

سينما :

سياسة :

الشخصيات التى لا تنسى :

صحة وطب :

صناعة :



إعلان لبيع عدد أقل من أقلام باركر

Kenneth Parker

رئيس شركة قلم باركر
جاينزفيل ، وسكونسن ، الولايات المتحدة

اتضح أخيراً بناء على استفتاء أجرى فى ١٩ بلداً مختلفاً أن عدداً أكبر من الناس يفضلون «باركر» على جميع أنواع الأقلام الأخرى مجتمعة. وهذا التفضيل قد أوجد حالة تشبه السوق السوداء ، يقع فيها الغُرم كله على الشارى .

ونحن الذين نصنع هذه الأقلام لا نملك إلاّ الفخر بهذا الإقبال ، ولكن شركة أقلام « باركر » تقدم على ذلك حرصها على أن لا يغبن الشارى ، وعلى أن لا ينفق ماله جزافاً . وهذا أمر لا يحدث إلاّ فى أسعار السوق السوداء .

وإن سعر التجزئة الرسمى المناسب المعقول لأقلام «باركر» يتوقف ، فى كل بلد ، على رسوم الشحن والتأمين ، كما يتوقف على ضريبة الاستيراد والضرائب المحلية (إذا كانت تُفرض) . وعلى كل فلا يجوز أن يصل السعر المحلى فى أى بلد إلى ضعف أو ضعفى أو ثلاثة أضعاف سعر التجزئة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، والسعر المقرر فى الولايات المتحدة الأمريكية لقلم « باركر ٥١ ستاندارد » هو إثنا عشر دولاراً أمريكياً ونصف دولار ، ولقلم « باركر ٥١ ذى الغطاء الذهبى » ١٥ دولاراً أمريكياً .

إن ندرة أقلام باركر ترجع إلى امتيازها المعترف به ، وإلى أن شركة « باركر » تأبى أن تنتج منه مجموعات كبيرة على وجه السرعة وبغير عناية دقيقة. وجرياً على هذا المبدأ الذى لم تحد عنه شركة « باركر » منذ ٥٨ عاماً صرفت نظرها أخيراً عن بضعة ملايين من الدولارات كانت فى متناول يدها

ثم إن استيراد أقلام الحبر فى بعض البلدان محدد وفى بعضها الآخر ممنوع على الاطلاق فإذا كان بلدك أحدها ، فتذكر أن لحكومتك أسباباً وجيهة حملتها على اتخاذ مثل هذه الإجراءات

وعلى كل حال فعاجلا أو آجلا ستتاح أقلام « باركر » فى منطقتك بأسعارها المعتدلة . وإلى أن يأتى ذلك اليوم تزوّد بقلم آخر — إذا مست الحاجة — أو تزوّد بالصبر ! لا تشجع السوق السوداء . إن نقودك تؤتى ثماراً أطيب حين تنفقها فيما تفضله أنت من أعمال البر والإحسان .

لكل ما يسير
على عجلات

أعظم
إطارات
في العالم

لأن « جوديير » يصنع لك أوفق إطار - وهو أجود إطار أيضاً - لأداء الغرض الذى تريده له . فلا عجب أن ترى تجارب السنين تؤيد هذه الحقيقة : وهى أن إطارات « جوديير » تنقل فى العالم كله من الناس ومن البضائع أكثر مما ينقله أى نوع آخر من الإطارات .

وتستطيع أن تثق بأن إطارات « جوديير » ستستمر على هذا الأداء الممتاز فتحملك أطول مسافة وتهيء لك أكبر قسط من الأمان والإقتصاد مهما كان نوع الخدمة التى تؤديها . ذلك أن منتجات « جوديير » لابدّ أن تكون اليوم أفضل مما كانت أمس . ولابدّ أن تكون غداً أفضل مما هى اليوم .

إطارات مطاط
GOODYEAR

إطارات جوديير تنقل في
العالم كله من الناس ومن البضائع
أكثر مما ينقله أي نوع آخر من الإطارات

أنابيب من الصّلب

إن أنابيب «بثلهم ستيل» المصنوعة من الصلب تمتاز بنوعها العالى الذى لا يطرأ على جودته تغيير. وهى تقطع وتخرم بسهولة كما أنها تلحم دون مشقة. وأنابيب «بثلهم» يمكن الاعتماد عليها ويسهل تركيبها والإنتفاع بها. فلك أن تنتفع بها انتفاعاً طويلا خالياً من التاعب.

وإن شركة « بثلهم ستيل » التى تعد من أكبر الشركات لإنتاج الصلب فى العالم تقدم أيضاً مجموعة كاملة من منتجات الفولاذ كالأسلاك والرقائق والصفائح الفولاذية وهيا كل البناء والصلب الخاص بالسكك الحديدية والطرق العظيمة، الخ

وان مصنع « سباروز بوينت » التابع لشركة بثلهيم ، هو مصنع الصلب الوحيد فى الولايات المتحدة ، المشيد على حافة ماء المد. فالرسائل المعدة للاصدار تنقل رأساً من المصنع الى السفينة ، فيقلل ذلك ما قد يلحق بالبضاعة من ضرر ، من جراء الزيادة فى شحنها وتفريغها ونقلها قبل أن تبلغ السفينة.

Bethlehem Steel Export Corporation

25 BROADWAY, NEW YORK, U.S.A.

الوكلاء فى القطر المصرى : شركة الدلتا التجارية ش. م. م.

فى العراق : ستانلى شعشوعة — فى فلسطين : رافائيل ملتز

فى سوريا ولبنان : مشيل صحناوى وولده



... ما أعظم الفرق الذى يهيّئوه البريد الجوى فى مراسلاتك كل سنة !

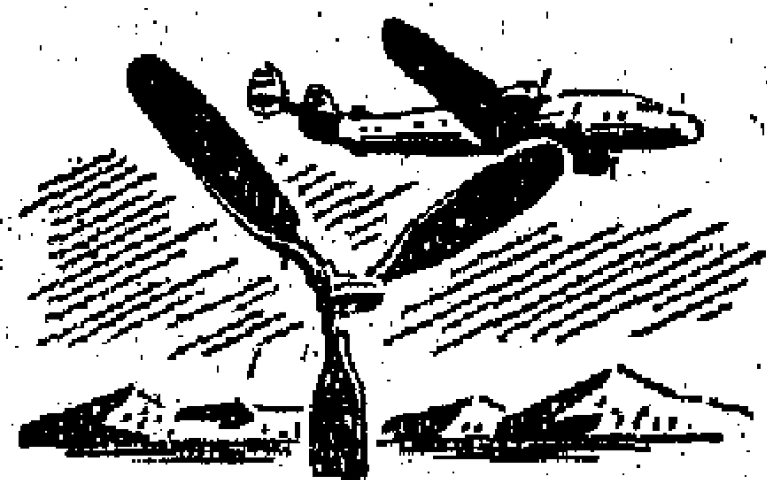
كان من المتبع أن يستغرق تبادل الرسائل بين القارات من ثلاثة أسابيع إلى عشرة . وكان عدد الرسائل المتبادلة على مدار العالم ، لتنمية العلاقات التجارية أو لتوطيد الصداقة لا يتجاوز بحال ما خمسة خطابات أو عشرة .

إن خطاباً بالبريد الجوى هو أسرع وسيلة كتابية تمكنك من أن تقول ما تريد على أكمل صورة .

استخدم إذن طوابع البريد الجوى — وعليك بمجموعات البريد الجوى العالمى فالمجموعات الكبيرة منها تتيح لك خصماً فى أجور البريد .

أما الآن فقد زادت سرعة تبادل الرسائل بنسبة ١٠ إلى ١ على الأقل بفضل الخطوط العالمية المزودة بمعدات أمريكية .

مراوح « كرتيس » الكهربائية للخطوط الجوية العالمية الحديثة



فى الوقت الذى تتسلم فيه الخطوط الجوية العالمية معداتها الجديدة يزداد التفضيل المتجه نحو مراوح « كرتيس » الكهربائية وضوحاً وسيقدر الركاب الراحة الزائدة التى تهيؤها مراوح « كرتيس » كما سيقدرون أيضاً ما تتيحه مراوح « كرتيس » التى يمكن تغيير اتجاه دورانها ، للطائرة من سرعة الهبوط على الأرض ويسره

Curtiss Wright

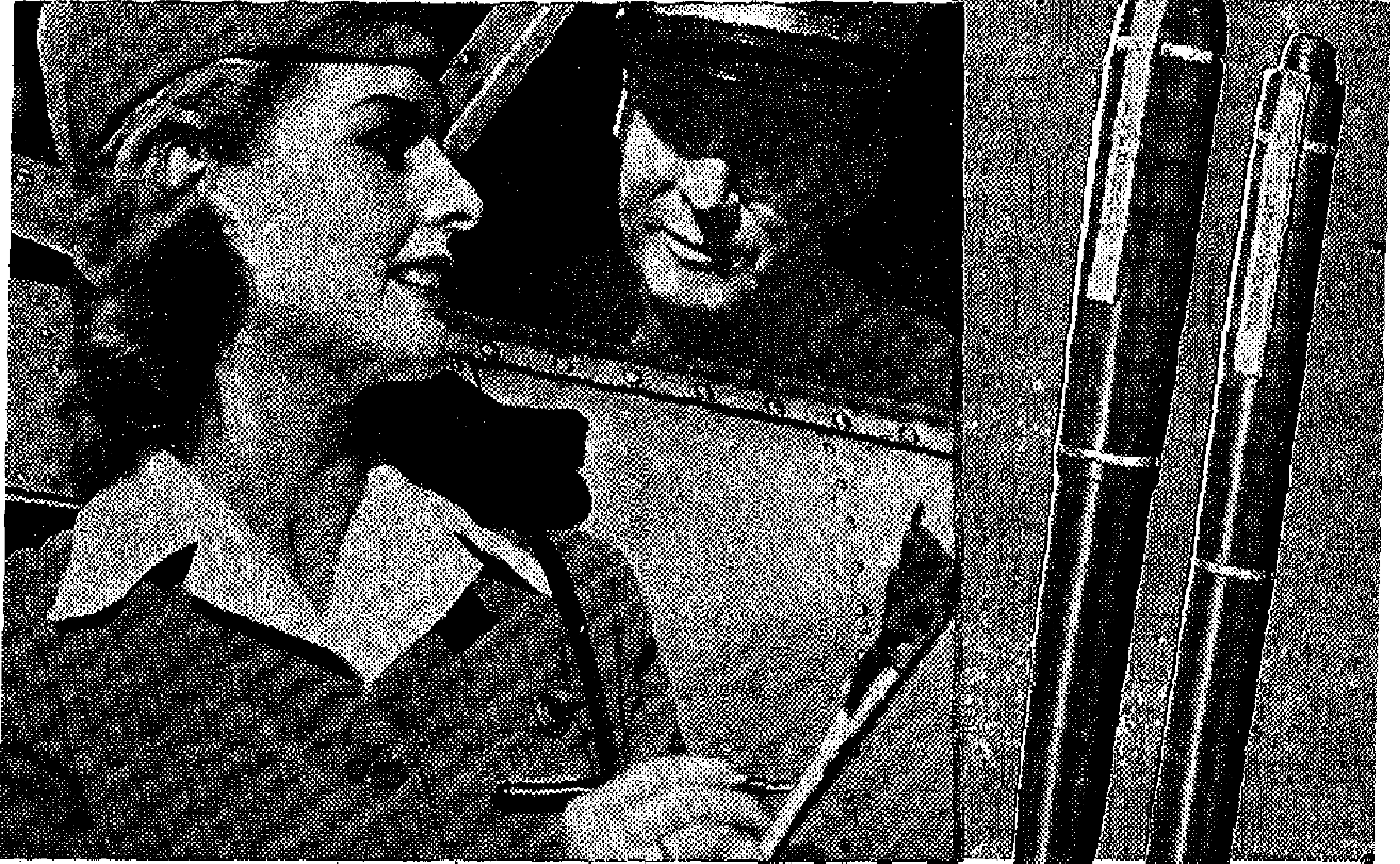
Export Division

30 ROCKEFELLER PLAZA, N. Y. 20, N. Y.

REPRESENTATIVES: AMERICAN EASTERN, TRADING & SHIPPING CO., S.A.E. ALEXANDRIA

تصوَّر قلماً يستطيع أن يطير !

إنه قلم ايڤرشارپ الذى يعتز به طيارو الخطوط العالميّة "پان أميريكان".



لا عجب أن يكون قلم ايڤرشارب هو الوحيد المفضل عند كل من يمتطى جناح الجو ! فخزانه العجيب الفريد يمنع رشح الحبر وتسربه فى الطبقات العليا — وعلى اليابسة أيضاً بالطبع . فلا مضايقة ولا أصابع ملطخة ! وفى الطبقات العليا تنضح الأقلام الأخرى ويسيل حبرها — أما قلم ايڤرشارب فيستمر فى كتابته — على أكمل وجه !

والخزان السحرى علاوة على ذلك يهيىء لقلم ايفرشارب كتابة عدد أكبر من الكلمات ، بسهولة أوفر ، وحاجة أقل إلى التعبئة .

أما قلم الرصاص ايڤرشارب ، ذو الطلقات ، المعروف بـ « وزن الريشة » فيكفى ضغط بسيط على زره السحرى ليظهر الرصاص — تماما على طريقة المدفع الرشاش !

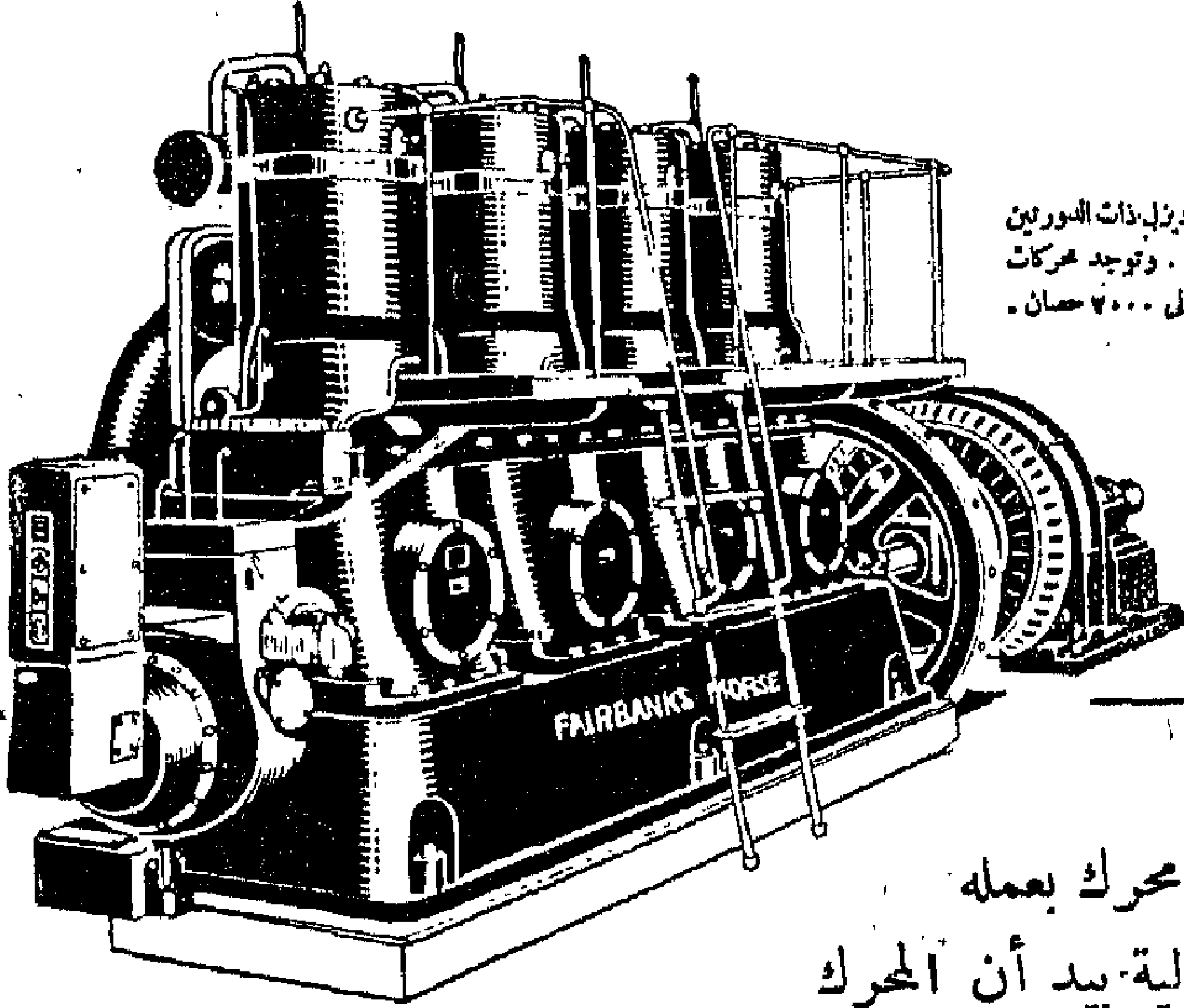
ايڤرشارب

ضمان مستمر

خدمة أقلام الحبر ايڤرشارب وأقلام الرصاص ايڤرشارب مضمونة — ولا يقتصر هذا الضمان على عدد معين من السنين ولا حتى على الحياة بل هو ضمان للأبد .

قدم ايڤرشارب ... تكون قدمت أبدع هدية !

عطل أقل بفضل
هذا الدّيزل



« فيربانكس مورس » موديل ٣٢ ، محركات ديزل ذات الدورتين للعمل الضخم ، قوتها من ١٢٠ إلى ٤٥٠ حصاناً . وتوجد محركات « ديزل فيربانكس مورس » تتراوح قوتها من ٥ إلى ٢٠٠٠ حصان .

كثير أن يقوم أي محرك بعمله خلال ثلاثين سنة متوالية بيد أن المحرك المبين هنا أدى هذا النوع من الخدمة وقام بهذا الضرب من العمل مرات عديدة ، في أحوال عديدة ، ولمؤسسات عديدة .

فسواء كنت تتأهب لمشروع بلدي ، أو صناعي ، أو زراعي يلزمه القوة المحركة فهيء لنفسك أقصى ضمان وأقل نفقة باستشارة وكيل « فيربانكس مورس » لتظفر بالمحركات التي تعطيك هذه الخدمة القياسية التي قام عليها البرهان!

شركة شمال شرق أفريقيا التجارية القاهرة ـ الاسكندرية	ف . ا . كتانه دمشق بيروت — طهران	ف . ا . كتانه وشركاه لميتد بغداد	جوزيف ج . روزجولد . تل أبيب (مضخات الترين ذات التشحيم المائي)	م . برجر . تل أبيب (جميع المنتجات ما عدا مضخات الترين ذات التشحيم المائي)

Fairbanks, Morse & Co., Inc.

تأسس سنة ١٨٣٠



إسم جدير بأن تتذكره

محركات ديزل . محركات كهربائية . مولدات . مضخات . أجهزة مائية . معدات المزارع . مطاحن هوائية . مقاييس . معدات السكك الحديدية .

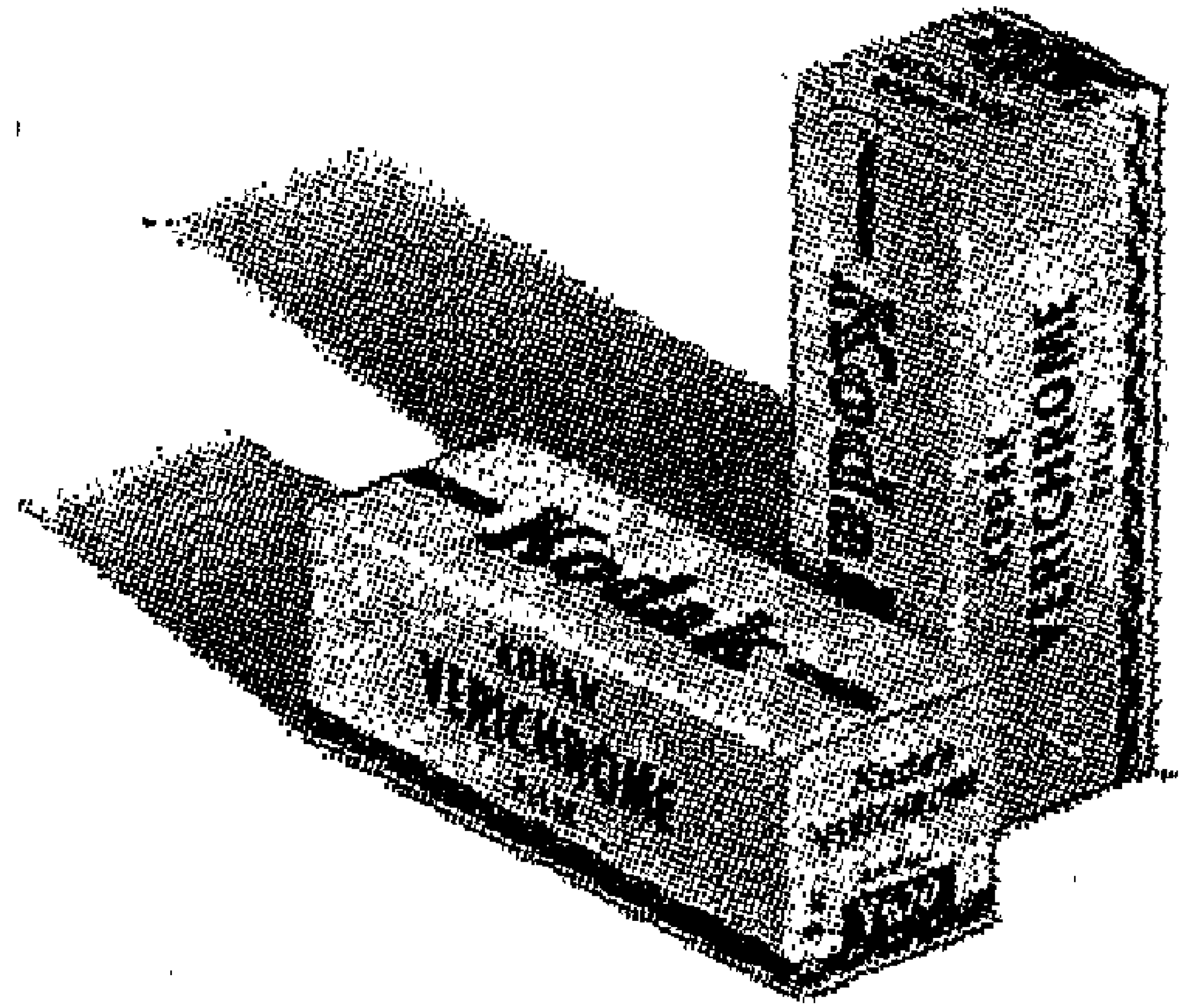
Export Division
80 Broad St. New York 4, U. S. A.

... باللغــة العــربيــة هو "غطّاس"

... باللغــة الإنجليزية هو *"a diver"*

... باللغــة السويدية هو *"dykare"*

ولـكنك تجـد فى جميـع لغات الأرض كلمة واحدة تدل على كل مايلزم لالتقاط الصور، من أفلام، وآلات تصوير، ومعدات وأدوات هى كلمة : *Kodak**



Kodak* ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٨ سنة شركات «كوداك» والشركات المنتمية إليها، و«كوداك» لها هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين، تيسر لكل إنسان أن يظفر بمنتجات «كوداك»، فى أنحاء الأرض .

EASTMAN KODAK COMPANY, ROCHESTER N. Y. U. S. A.


Kodak

وفر الوقت والعطل والنقود في مصنعك



فشهرة منتجات جارجويل تستند الى ٨٠ عاماً من الابحاث والخبرة والى الخدمة الفنية الممتازة التي تقدمها شركة سوكوني - ڤاكوم الى عملائها في جميع أنحاء العالم.



سوكوني - ڤاكوم



C.R. 4954

فى طريقها إلى الشرق الأوسط



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تنتجها خبرة مئة عام فى صناعة أرقى مستحضرات الزينة للرجال . وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط. ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد .

أكوا فلفا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة.

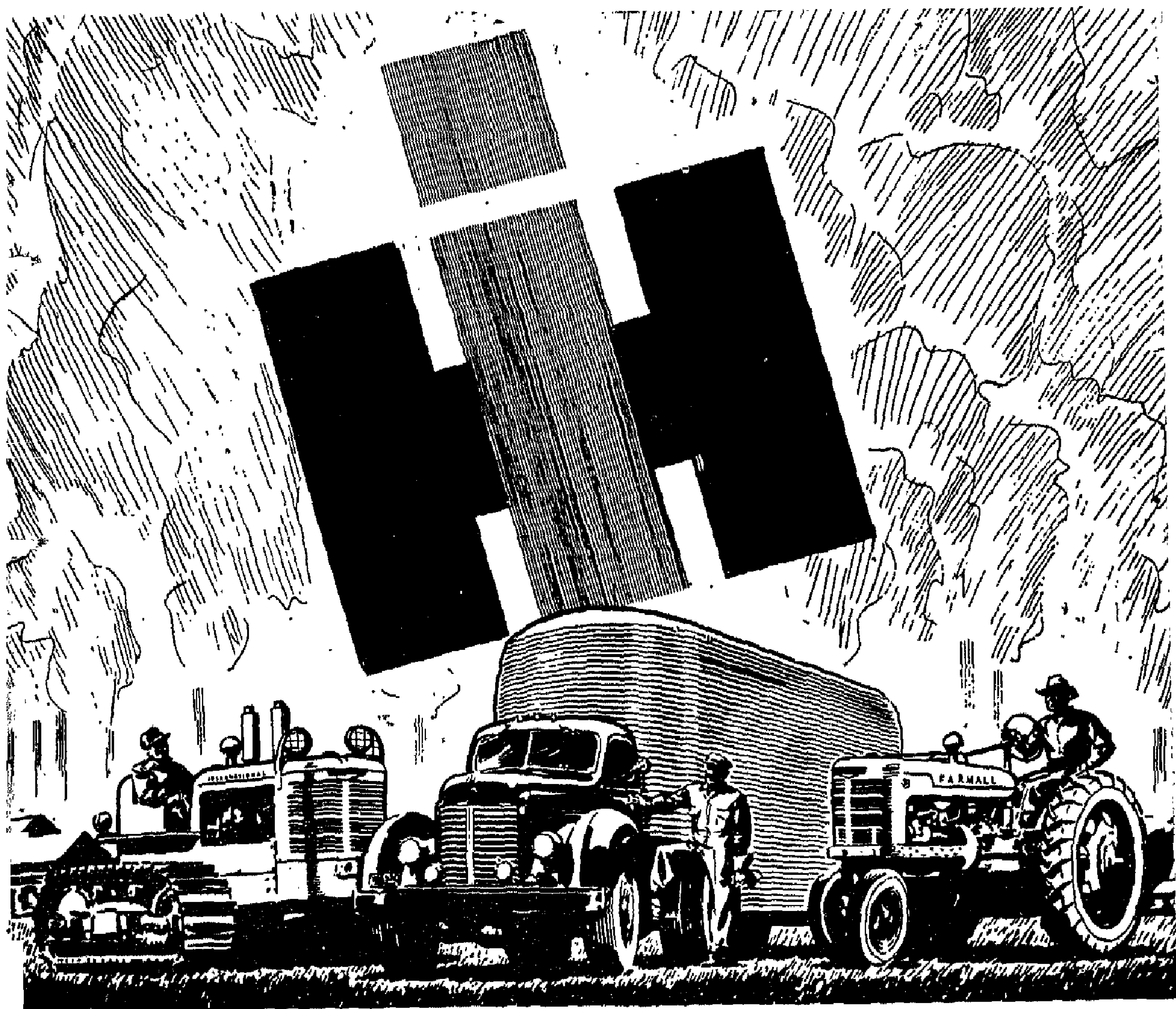
كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة

The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من ١٠٠ سنة



هذا الرمز الجديد دليل على منتجات إنترنشونال هارفستر

... إنه رمز الخبرة والخدمة

مرت سنون عديدة منذ أن اتخذ رمز «IHC» دليلا على كل آلة تنتجها شركة « إنترنشونال هارفستر » . ومنذ ذلك الوقت اتسع إنتاج شركة « إنترنشونال هارفستر » وأصبح يشمل مجموعات كاملة من كميونات « إنترنشونال » وآلات القوى الصناعية « إنترنشونال » وجرارات « ماك كورميك ديرنج » ومعدات المزارع « إنترنشونال ... » وهذه الآلات تخدم الصناعة والزراعة فى جميع نواحيها وإن ما تمتاز به منتجات « إنترنشونال هارفستر » من متانة البناء ، وكمال الأداء ، والاقتصاد ، تبرهن عليه الخدمات الفائقة التى تؤديها لمستعمليها فى جميع أنحاء العالم . فابحث إذن عن هذا الرمز الجديد حينما تحتاج إلى مثل الآلات التى تنتجها مؤسسة « إنترنشونال هارفستر » . إن هذا الرمز عنوان الشهرة المرموقة والتقدير العظيم فى العالم أجمع ، كما أنه عنوان على الخدمة الفائقة للصناعة والزراعة :

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Bu·ding Chicago 1, U. S. A.

سيارات النقل إنترنشونال — آلات القوى الصناعية إنترنشونال
جرارات ماك كورميك ديرنج ومعدات الزراعة إنترنشونال

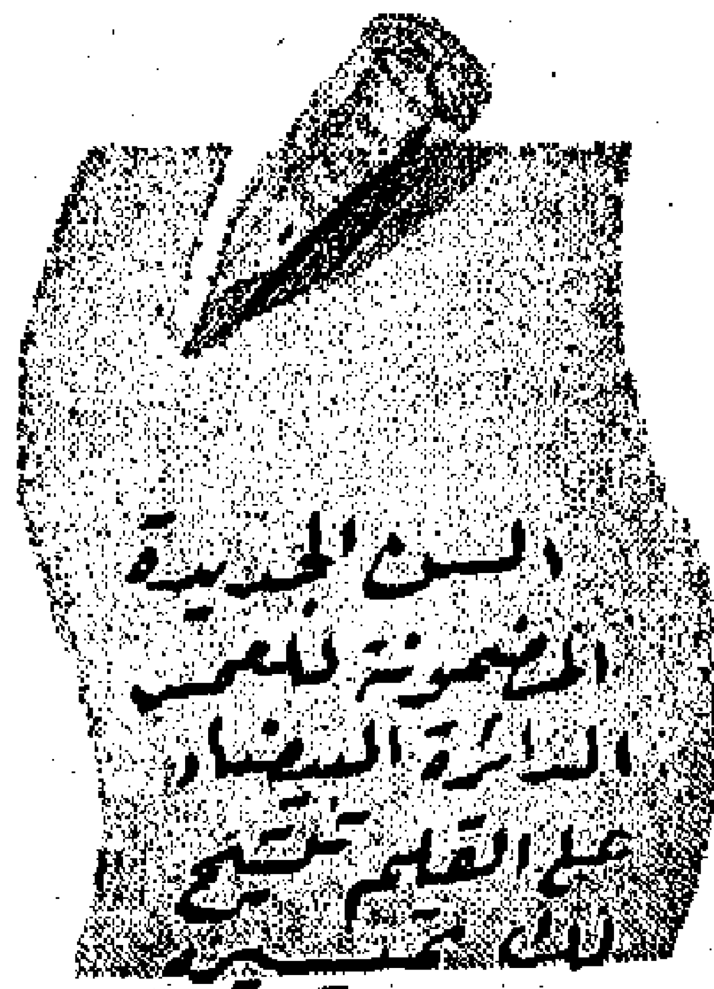
INTERNATIONAL HARVESTER

أترضى أن تكون القاضى والحكم فى هذا ..؟

أرشق الهدايا

إن أدوات الكتابة — مثلها كمثل أى شئ آخر — بعضها أفضل من البعض الآخر — وأحدها أفضل من الجميع . وإذا كنت تنشد قلماً لاستعمالك الخاص ، أو لتقديمه ، هدية لشخص عزيز عليك تحرص على أن تظل الهدية مقرونة بذكرك أعواماً طويلة ، فلا بدّ من الاختبار لكى تختار ! فأنت وحدك خير من يحكم على أحسن قلم يوافقك للحيازة أو للإهداء — وذلك بالمقارنة مع سائر الأنواع !

W. A. Sheaffer Pen Co., Ft. Madison, Ia., U.S.A.



شيفرز

أقلام الحبر الجديدة "تريومف"
أقلام الرصاص الجديدة "فاينلاين"

SHEAFFER'S

وصفة لأسنانك



كيفية الاستعمال : استعمله مرتين فى اليوم على الأقل كما تستعمل أى معجون عادى للأسنان . نظف أسنانك بالفرشة تنظيفاً محكماً بأن تحرك شعر الفرشة على ميناء الأسنان حركة سريعة حثيثة من أعلى إلى أسفل .

أكثر من ١٤ عنصراً : إن معجون الأسنان LISTERINE مركب من ١٤ مادة انتخبت بعناية فائقة وأحكمت موازنة مقاديرها بحيث تعطيك أعظم مزايا الصقل والتنظيف بلا أدنى خطر على ميناء الأسنان .

المزايا التى تترقبها : ينفذ إلى أدق ثنايا الأسنان (بفضل عنصر منظف خاص) فيصل إلى البقع الميكروسكوبية الدقيقة التى تهمل وتظل بغير تنظيف لو استعمل أى معجون أضعف أثراً من هذا .

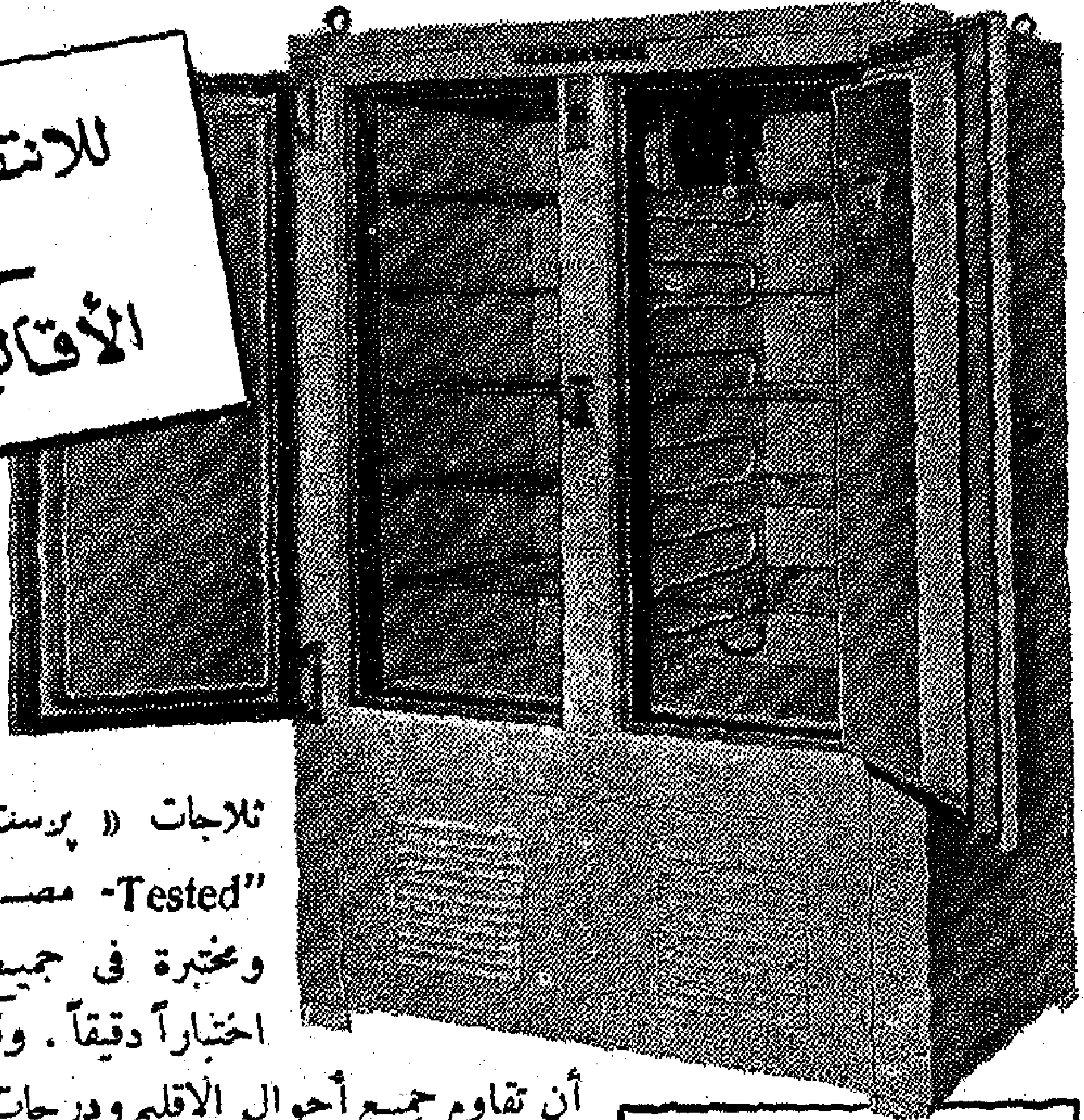
طعم جديد ، لذيذ ، منعش ، يستطيبه ذوقك تشعر بعده أن فمك صار أطرى وأنق وأعذب .

اقتصاد حقيق من الممكن تسجيله بالقرش والمليم ! لاحظ بنفسك المقدار البسيط الذى يلزمك من هذا المعجون العصرى للحصول على نتيجة باهرة !



معجون الأسنان
لیسترین LISTERINE

صممت خصيصاً واختبرت خصيصاً ...



للانتفاع بها في الأقاليم الحارة

ثلاجات « برست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكوّن بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بمينا بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD
للتبريد



شركة E.A.S.T. ٣ شارع نمر بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ليتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولانى هانكى وشركاه (السودان) ليتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

شركة برسد ستيل ليمتد

THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND



مرحباً بالعالم

إن توفير أسباب الراحة والمتعة فى الرحلات الجوية على نطاق عالمى واسع ، مهمة ميسورة هيِّنة لمؤسسة مثل TWA وقد كانت TWA أول شركة جوية استطاعت منذ نيف وستة عشر عاماً أن تهيء للمسافرين فى الولايات المتحدة رحلات تصل بين الشاطئين الشرقى والغربى ، تخصصت منذ ذلك الحين جزءاً كبيراً من مجهودها لتوفير أسباب الراحة الجوية للمسافرين فى جميع أنحاء العالم.



ما هى TWA

* TWA لها خبرة نيف و٢٠ عاماً فى الطيران.
* TWA أول من استخدم طائرات النقل ذات المحركات الأربعة فى الأسفار التجارية .
* TWA لها بين شركات الطيران ، أكبر هيئة من خبراء الظواهر الجوية .
* TWA سبّاقة فى الطيران فوق أطباق الجو المضطرب ، وقد صنعت لذلك طائرات خاصة تطير على ارتفاع عظيم .
* TWA سجلت ٤٠٠٠٠٠٠٠ ميل فى المواصلات الدولية تشمل أكثر من ٩٠٠٠ رحلة فوق المحيطات .
* TWA أول من نظم رحلات منتظمة الجداول على مدار العام فوق شمال المحيط الأطلسى.
* TWA صممت طائرة لوكهيد كونستليشن ذات الشهرة العالمية ، التى سجلت فى طيران المدى البعيد أرقاماً قياسية للسرعة لم تسجلها طائرة تجارية أخرى .
* TWA أول شركة طيران وضعت نظاماً لخط جوى يدور حول العالم ، وتراعى فيه حاجات النقل لجميع شعوب الأرض .

TWA

TRANS WORLD AIRLINE

رحلات مباشرة مصرح بها بين : الولايات المتحدة . نيوفوندلاند . إرلندة . فرنسا . سويسرا . إيطاليا . اليونان . مصر . فلسطين . شرق الأردن . العراق . المملكة العربية السعودية . اليمن . عمان . الهند . سيلان . البرتغال . إسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا .

غـذاء أفضـل لعـالم أفضـل ...



كيف أمكن رفع مستوى النوع في المنتجات الغذائية

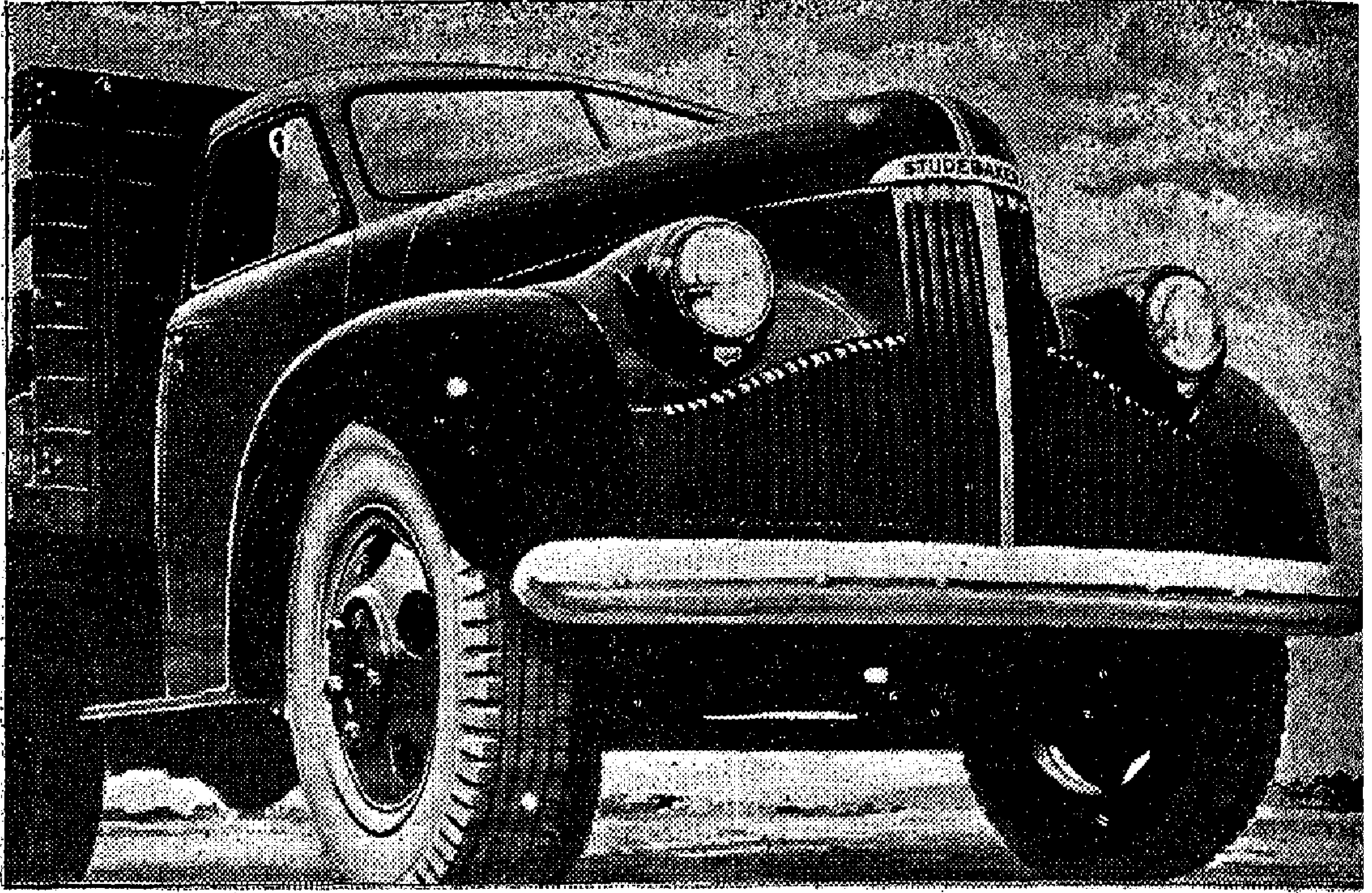
يمكن أن يقال إن الاهتمام بالأساليب الصحية وجودة النوع في المنتجات الغذائية هو وليد هذا الجيل . وقد تمّ ذلك عن طريق التقدم التجاري وقد ساهمت مؤسسة « سويفت » فيه مساهمة عظيمة بفضل نظامها الفريد وخبرتها الطائلة. فالاختبارات المتكررة، والعناية الفائقة في انتخاب المواد الأولية، والتحسينات المستمرة، وتطبيق أحدث الأساليب العصرية . . . كانت هي الخطوات التي تقدمت بها « سويفت » نحو هذا النصر الذي يشترك فيه ملايين من المستهلكين ونعني به أن تقدم للناس منتجات غذائية تتوفر فيها أعلى قواعد الصحة وأدقها .

COMPAÑIA **Swift** INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

شركة "سويفت" الدولية

مصانع في الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواي توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً



أنت تحصل على مركبات نقل تستطيع الاعتماد عليها حين اقتنائك مركبات ستوديبيكر الضخمة

حين يتجه تفضيلك نحو مركبات النقل «ستوديبيكر» تحصل مقابل نقودك، على أكثر من تلك القوة والقدرة التي قام البرهان عليها في الحرب.

إنك تحصل على ذلك الأداء الاقتصادي الذي تنفرد به «ستوديبيكر» — وفر في الوقود وفي الإطارات وفي الصيانة... ينتزع إعجابك ويظفر بثنائك ميلا بعد ميل وعاماً بعد عام.

ومركبات النقل «ستوديبيكر» الجديدة الضخمة تمتاز بالصلابة وبإمكان الاعتماد عليها في كل أرض وكل مناخ مهما كانت أوصافهما، بل يمكنك أن تنتظر منها احتمالا منقطع النظير وأداء باهراً في أي مكان — شأنها في ذلك شأن الـ ٢٠٠,٠٠٠ مركبة نقل «ستوديبيكر» التي ساهمت في الحرب الأخيرة

وفي وراء هذه المركبات البديعة تجد شهرة الشركة التي أنتجتها والتي دأبت على تزويد العالم أجمع بأفضل وسائل النقل وأجودها وأقلها نفقة خلال نيف و ٩٤ سنة.

وتذكر أن ثمة كميات متزايدة من سيارات «ستوديبيكر» الفخمة تتاح لطلابها على مر الأيام. فللحصول على أفضل وأجود شيء في السيارات الجديدة أو مركبات النقل الجديدة، بادر بقيد إسمك في قائمة أقرب وكيل «ستوديبيكر» إليك.

The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

Studebaker

مشهور في جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز في السيارات ومركبات النقل



امتياز قديم مأثور
فى الراديو والأجهزة الأليكترونية

إن علامة RCA التجارية ترمز إلى خير أجهزة الراديو والمعدات الأليكترونية التى تملأ النفس بروعتها ومزاياها — وهى ثمرة الخبرة والتجربة التى كسبتها شركة « راديو كوربوريشن أوف أمريكا » خلال ٢٦ سنة قضتها فى الأبحاث الفنية والهندسية . إن RCA رمز يدل على اختيار قديم مأثور . تراه بيناً فى إقبال الزبائن على منتجات RCA وحرصهم على اقتنائها .

وشركة RCA تفوق كل شركة أخرى فى مالها من قدم راسخة وأصل ثابت فى كل ميدان من ميادين الراديو . . . والصناعة الأليكترونية . . . والتلفزيون . . . والصمامات ... والأسطوانات ... والإذاعة ... وأجهزة الصوت فى المدارس والمصانع ... وتسجيل الصوت على الأفلام ... وآلات عرض الأفلام المسجلة ، وكثير غيرها من المنتجات المماثلة .

والمنتجات التى عليها علامة RCA يراها كل مشتر حصيف فى جميع أرجاء العالم أفضل المنتجات .

RCA INTERNATIONAL DIVISION

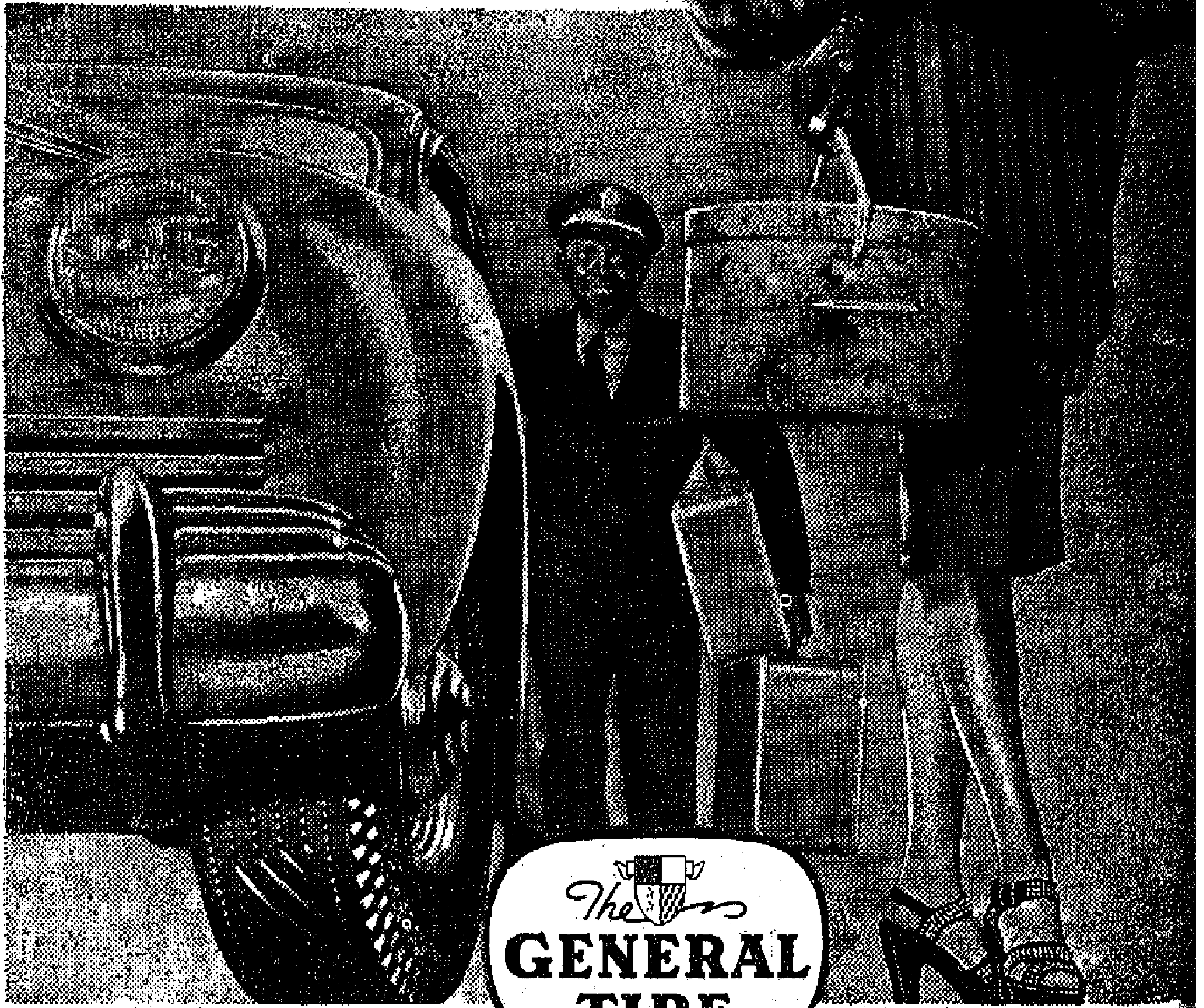


RADIO CORPORATION of AMERICA

745 FIFTH AVE., NEW YORK, N.Y., U.S.A.

كل ميل يقطعه يقدم الدليل على امتياز نوعه

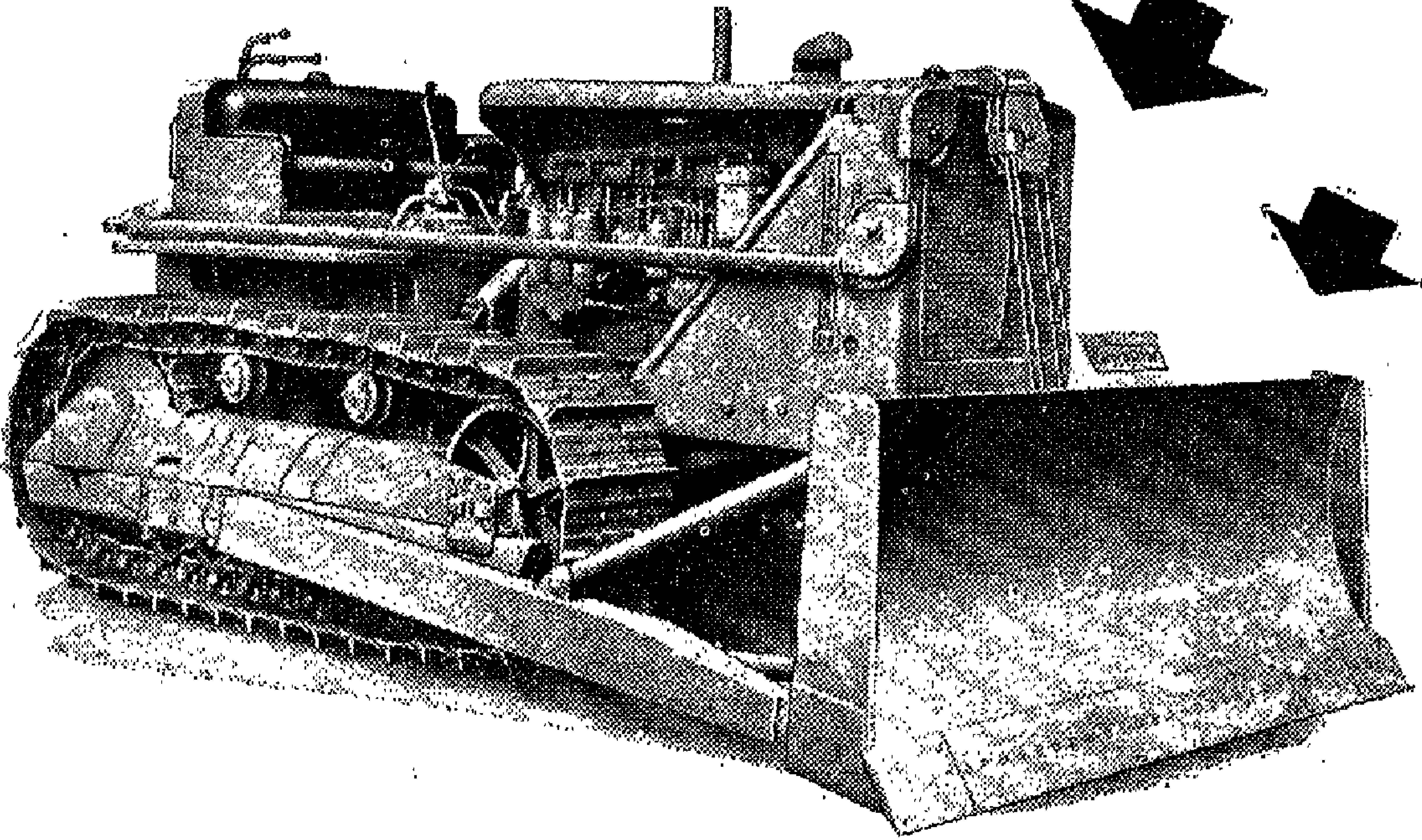
شركة جنرال تير أند رابر اكسپورت.
أكرون، أوهايو، الولايات المتحدة
تلغرافيا: جنتيروكو أكرونوهايو
مصانع في الولايات المتحدة . وكندا . ومكسيكو . وفنزويلا . وشيلي . والارجنتين



يقطع مسافة طويلة ليكسب الأصدقاء

© The General Tire & Rubber Co.
AKRON, OHIO

المسالف الجديدة
"كاتربيلر"



إن شركة « كاتربيلر » تتيح الآن مجموعة كاملة من المسالف (ممهدات الطرق) تضارع فى صنعها الممتاز وأدائها الفريد جرارات « كاتربيلر » ديزل . وتمتاز هذه الوحدات الجديدة بجميع المميزات التى كسبتها الشركة خلال سنين طويلة من الخبرة فى صناعة معدات نقل التراب .

واسمع جميع من اقتنوا هذه المسالف يخبروك أنها أبسط المسالف التقنة وأسهلها قيادة وأكفأها عملا . فهى خالية من العوارض المركبة فوق رأس السائق وهى التى تزيد وزنها بلا ضرورة وتقلل من مدى الرؤية . ونصلها القوى ، المثنى بشكل خاص يمكن لها أن ترفع أثقالا أعظم كما يهيء لها بمعاونة جرارات « كاتربيلر » ديزل أن تؤدى عملا أكبر فى مدة أقصر وبتكاليف أقل . وستجد الحكومات والمقاولون والزراع أن معدات « كاتربيلر » الجديدة تسد حاجات حيوية عديدة — فهى تمهد الأرض ، وتعبد الطرق ، وتنشىء الخزانات وتحفر الترع للرى ، وغيرها من الأعمال .

CATERPILLAR TRACTOR Co., PEORIA, ILL., U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

محركات • جرارات • ممهدات الطرق • معدات جرف التراب

[تتمة مقالة الغلاف]

وهذا قليل من كثير من المقالات الحديثة التي نالت حفاوة قراء المختار . وهذه الدلالات العظيمة وأمثالها تؤيد محرري المختار فيما يعتقدونه من أن قراءهم يريدون أن يظلوا على صلة وثيقة بكل ما يجدّ في جميع أرجاء العالم من الآراء والأفكار .

وصدق فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية حين قال : « التعارف أفضل وسائل التفاهم بين الشعوب ، وأفضل وسائل التعارف ما كان الفكر رائده والعلم سبيله . ويسرنا أن تكون مجلة المختار التي تنشر في مصر بلغة عربية مبينة ، وتحمل إلى سائر الأقطار العربية صفحات مختارة تبحث في جميع نواحي الحياة . من رسل التعارف والتفاهم بين أبناء هذه الأقطار ، بل بينهم وبين تلك الأقطار النائية التي طوت الحضارة مراحلها البعيدة ومسافاتها العظيمة فجعلتها قريبة دانية » .

ونحن نأمل أن تكون أنت نفسك قد أصبحت على ثقة من أن هذه المجلة ينبوع يمدّك بأنباء العالم ومعارفه ، وبما يسليك ويرضيك ويخفف عنك . ونحن حِرَاصٌ، كدأبنا أبداً ، على أن نقف على ما تراه أنت وتقترحه علينا في شأن المختار ، حتى نستطيع أن نجعله أقربَ إليك وأبلغ إلى رضاك في الشهور المقبلة .

فؤاد صروف

٣ يوليه ١٩٤٦

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 6, No. 36, AUGUST 1946.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين

مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .

مدير الطبعات الدولية : باركلى أتشيسون — المدير المساعد : مارفن لوز .

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : ولبم ف . جيلسبي .

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً ، الاشتراك ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

رسالة من رئيس التحرير

— ٢ —

محرر المجلة التى يتداولها الناس، كصاحب المحل الذى يقصده الناس، ينبغى على كليهما — إذا أراد أن يبلغ رضى الجمهور — أن يقدم إليه موادّ مختلفة الألوان والأشكال، يكون فى كل منها نفع لطائفة من القراء، ويكون فى معظمها نفع لهم جميعاً. فالبحث عما يحتاج إليه القراء هو أعظم شطر من عمل المحرر، فلذلك ترى محررى المختار لا يفتأون يلتمسون كل طريق جديد لتجويد العمل الذى يؤدونه [للقارئ ا]لعربى، من تزويده بالأنباء والمعلومات والمقروءات النافعة، [من] الكتب والمجلات والصحف.

و[أنت أحد] المشتركين فى المختار، فقد وصلتك ولا بدّ رسالة من[ا نس]ألك عن المقالات الست التى استحوذت على رضاك، وعن رأيك فى المجلة بوجه عام. وإذا كنت ممن يشتريها من الباعة، فلعلك وجدت فى قلب المجلة بطاقة تتضمن نفس السؤالين.

ونحن نتقدم بالشكر إلى آلاف من قرائنا الذين وافونا بآرائهم فيما طلبناه منهم، فقد أعانونا على اختيار أوفق ما ينفع هذه الشعوب التى تفور فوراناً بنهضة خالصة صادقة، والتى لا ينطفىء لها ظمأ إلى معرفة ما يدور فى هذا العالم المحيط بها.

وإليك عناوين المقالات التى حازت اهتمام قرائنا فى الأشهر الأخيرة. فانظر، وأنت تقرؤها، كيف أنها تدلّ على صحة التقدير وعظيم الاهتمام بأشياء كثيرة فى الحياة خارجة عن نطاق ما نألفه فى حياتنا:

قضية السلام، بطولة رائعة فى المنطقة المتجمدة، آسية ينبغى أن تعيش حرة، شعب يكافح الأمية، أحدث أعجوبة بين العقاقير الطبية، ثمانية مبادىء لمعاملة روسيا، ليوناردو دافنشى، صفقة فى جزيرة تاهيتى، بوليفار المحرر الأعظم، حكومة عالمية أو خراب عالمى.

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية